الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم
General Secretariat for Fatwa Authorities Worldwide

المعلمة المصرية للعلوم الإفتائية

المجلد التاسع

المستقبليات الإفتائية

إعداد

إدارة الأبحاث والدراسات الإفتائية
الأمانة العامة لدور وهيئات
الإفتاء في العالم

تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور
شوقي إبراهيم علام

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

الطبعة الأولى
رقم الإيداع: ١١٥٥٣/ ٢٠٢١م
الترقيم الدولي: ٦ - ٣٨ - ٦٧٢٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة

إنَّ التسارع الذي تشهده الأحداث اليومية في هذا العصر، مع ترابط وتعقد العلاقات وتشابكها، والانفتاح الكبير على العالم، وانتقال التأثيرات في ثوانٍ معدودة من بلد إلى آخر، تطلَّب هذا محاولةً لتفهم هذه التشابكات ودراستها؛ لكي يستطيع أصحاب القرار أن يتوقعوا الأحداث التي قد تؤثر في الواقع ومعرفة مقدار التأثير واتساعه، ومن هنا تكمن أهمية الدراسات المستقبلية.

ولأن رسالة الإسلام رسالة ربانية عالمية فإنَّ أهل الحل والعقد والمفتين يقع على عاتقهم دورٌ كبير ومسئولية بالغة في استشراف المستقبل، وتفهم التغيرات المتسارعة حولهم، سواء على الصعيد المحلي أو العالمي، وإن كان الفقه غلب عليه المحلية فإنه مع التغيرات التي تشهدها الساحة العربية والدولية تؤذن الأوضاع بدخول مرحلة جديدة للفكر والخطاب الإسلامي يكون عالمي الطابع، يستوعب الشعوب والأمم قاطبة؛ خصوصًا مع تيسر وسائل التواصل والاتصال، وانتشار المسلمين في كل بلاد الأرض.

وهذا يتطلب الإعداد لهذه المرحلة الجديدة لما يمكن أن نتوقعه في المستقبل، من خلال اقتناص الفرص وتجنب المخاطر.

ولا يهدف استشراف المستقبل إلى التكهن بتفاصيل أحداث المستقبل، لا للأفراد ولا للمجتمع الإنساني، فهذا مجاله التنجيم والكهانة المنهي عنها شرعًا، ولكن الدراسات المستقبلية هي مهارة عملية تهدف إلى استقراء التوجهات العامة في حياة البشر، التي تؤثر بنظام معين في مسارات الأفراد والأمم.

واستشراف المستقبل من الموضوعات الحديثة، وهو يجعل الفقيه ذا سعة واطلاع على الأمور الفقهية، وله اعتبارمهم في استنباط الأحكام وتنزيلها؛ لما يُبنى عليه من تحقيق للمقاصد، لكن ينبغي التحوط في تقديره حتى لا ينتهي الأمر إلى الاستشراف الموهوم فيبنى عليه حكم في غير موضعه، فيكون في ذلك خطأ في تقرير أحكام الشريعة أو تنزيلها، ولذلك ينبغي ألا يعتبر في الاستشراف إلا ما يتحقق العلم به على وجه اليقين أو الظن الغالب.

والأمة بها حاجة إلى استشراف المستقبل في كل مجالات الحياة، وبخاصة في مجال الفقه وقضاياه المستحدثة ونوازله الممكنة الوقوع، لاسيما وأن الشريعة الإسلامية اهتمت بالمصالح والمفاسد في الحاضر والمستقبل، وقعَّدت لذلك القواعد الكثيرة؛ فلا بد من الاستعداد لكل نائبة متوقعة من نوائب الدهر عن طريق الاستشراف والتخطيط المسبق.

لذا ينبغي للعقل الإسلامي المعاصر التصالح مع المستقبل والانفتاح عليه استشرافًا وتخطيطًا وعملًا كي نحرر العقول من التعصب، ونأخذ من الماضي المشرق والحاضر المستنير بالدليل من أجل الاهتمام بقضايا المستقبل.

التمهيد:

تعريف بالدراسات المستقبلية ونشأتها

ويشتمل على ثلاثة أمور:

- **أولًا**: أهمية الدراسات المستقبلية وأشهر المؤسسات المُتَّجِهة إليها.
- **ثانيًا**: تأصيل استشراف المستقبل في القرآن والسنة.
- **ثالثًا**: أساليب استشراف المستقبل.

أولاً تعريف استشراف المستقبل لغة واصطلاحًا

قولنا: «استشراف المستقبل» مركب إضافي من كلمتي (استشراف)، وهو مضاف، و(المستقبل) وهو مضاف إليه.

وتتوقف معرفة المركب الإضافي على معرفة معنى جزأيه. وعلى ذلك نقول:

الاستشراف لغة واصطلاحًا:

الاستشراف في اللغة: «مأخوذ من الشرف، وهو العلو والمكان العالي. ومنه قول الشاعر:

آتي النديَّ فلا يُقرَّب مجلسي وأقود للشرف الرفيع حماري

يقول: إني خرفت فلا يُنتفع برأيي، وكبرت فلا أستطيع أن أركب من الأرض حماري، إلا من مكان عال.

والمُشرَف المكان الذي تشرف عليه وتعلوه. ومشارف الأرض أعاليها، ولذلك قيل: مشارف الشام.

والشرف من البعير: سنامه، وهو مجاز. واستشرف الشيء: رفع بصره إليه، وبسط كفه فوق حاجبه، كالمستظل من الشمس»[١].

فأصل هذه المادة يدور حول النظر في الأمور من مكان مرتفع.

التعريف الاصطلاحي:

الاستشراف اصطلاحًا: اجتهاد علمي منظم، يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة التي تشمل المعالم الأساسية لأوضاع مجتمع ما أو مجموعة من المجتمعات عبر مدة زمنية معينة، وذلك عن طريق التركيز على المتغيرات التي يمكن تغييرها بواسطة إصدار القرارات، ومن ثم فالاستشراف

١ انظر: لسان العرب وتاج العروس، مادة «شرف».

يتعلق بقضايا مجتمعية جوهرية ويوظف متغيرات قابلة لأن تتأثر بسياسة التغيير[١].

تعريف المستقبل لغة واصطلاحًا:

المستقبل لغة: «قبل نقيض بعد، والقُبْل والقُبُل من كل شيء: نقيض الدُّبْر والدُّبُر، وجمعه أقبال.

وعام قابل خلاف دابر، وعام قابل: مقبل، وكذلك ليلة قابلة، ولا فعل لهما.

والاستقبال: ضد الاستدبار. وأفعل ذلك من ذي قبل أي فيما أستقبل. ويقال: فلان قبالتي أي مستقبلي»[٢].

و«المستقبل: هو ما يُترقب وجوده بعد زمانك الذي أنت فيه، يسمى به؛ لأن الزمان يستقبله»[٣].

فكل ما سيقابله الإنسان بعد اللحظة التي هو فيها الآن يُعد من المستقبل، سواء كان قريبًا أم بعيدًا، خيرًا أم شرًّا.

تعريف استشراف المستقبل اصطلاحًا:

هو محاولة استكشاف المستقبل وفق الأهداف المخططة، باستخدام أساليب كمية تعتمد على قراءة أرقام الحاضر والماضي، أو أساليب كيفية تُستنتج أدلتها من الآراء الشخصية القارئة لمجرى الأحداث.

ويمكن تعريفه أيضًا بأنه: اجتهاد علمي منظم، يرمي إلى صياغة مجموعة من التوقعات المشروطة (المحددة سابقًا)، التي تشمل المعالم الأساسية لأوضاع مجتمع ما أو مجموعة من المجتمعات في مدة زمنية مقبلة، تمتد قليلًا لأبعد من عشرين عامًا[٤].

١ تأصيل استشراف المستقبل من خلال السنة النبوية (بحث مقدم لمؤتمر جامعة القصيم بعنوان «الفتوى واستشراف المستقبل»)، من إعداد الدكتور محمد سيد شحاتة، السجل العلمي للمؤتمر (ص١٩٤).

٢ انظر: لسان العرب، مادة «قبل».

٣ التعريفات للشريف الجرجاني ص٢١٣.

٤ تأصيل استشراف المستقبل من خلال السنة النبوية (ص١٩٥).

ثانيًا الدراسات المستقبلية

عرِّفت الدراسات المستقبلية بتعريفات كثيرة، وكل تعريف منها لا يخلو من اعتراض عليه.

ولعل أفضل التعريفات ما يأتي:

الدراسات المستقبلية: جهد علمي منظم يسعى إلى تحديد احتمالات وخيارات مختلفة مشروطة لمستقبل قضية أو عدد من القضايا خلال مدة مستقبلة محددة، بأساليب متنوعة، اعتمادًا على دراسات عن الحاضر والماضي، وتارة بابتكار أفكار جديدة منقطعة الصلة عنهما.

فكلمة (جهد) في هذا التعريف تحدد أولًا نوع هذه الدراسات فهي ليست علمًا ولا منهجًا ولا أسلوبًا بل هي جهد، وتشير ثانيًا إلى حجم العمل المبذول في إعداد هذه الدراسات؛ إذ الجهد هو الوسع والطاقة.

كما أن كلمة (علمي) تعني اعتماد هذه الدراسات على المناهج والأساليب العلمية، فيخرج بهذا القيد: الكهانة والسحر والتنجيم، ونحوها من الوسائل غير العلمية.

وكلمة (منظَّم) تعني اتصال هذه الجهود العلمية ببعضها، وبناء بعضها على بعض.

و(الاحتمالات والخيارات المختلفة المشروطة) مع كلمة (علمي) تفيد أن الإنسان ليس له قدرة يقينية تامة على إدراك ما سيكون عليه المستقبل بتمامه وحقيقته، بل هذا من خصائص الرب سبحانه وتعالى؛ لذا يلجأ المستقبليون إلى ذكر أكثر من مستقبل محتمل، وذكر مستقبل مختار منها أو أكثر، وتلك المستقبَلات مشروطة بإنْ أو إذا أو لو، مثل: إن استمر الأمر على ما هو عليه الآن فسيحدث في الغالب كذا وكذا، وإذا فُعل كذا فسيحدث في الغالب كذا.

وقيل في هذا التعريف كلمة (قضية) ليشمل جميع أنواع الدراسات المستقبلية، مثل: الدراسات التي تتناول مستقبل الناس أو أخلاقهم، أو الجمادات مثل الماء والنفط، أو السياسات، أو الشعوب أو الأقطار أو العالم أجمع، فلذا غير سديد أن تُقصر الدراسات المستقبلية عند تعريفها على الظواهر الاجتماعية، أو الاجتماعية والاقتصادية، كما ورد في بعض التعريفات.

ونظرًا لأن المستقبليين يشترطون تحديد مدة زمنية تستشرفها الدراسة -لتكون منضبطة- قيل في التعريف: (خلال مدة مستقبلة محددة)، وغير سديد ما ورد في بعض التعريفات من جعل أقل مدة تُستشرف هي خمس سنوات، ولا جعل مدة الاستشراف تمتد قليلًا لأبعد من عشرين عامًا؛ إذ إن تحديد المدة يعود إلى طبيعة الشيء المراد دراسته وطبيعة الحاجة إليه.

وقيل في التعريف: (اعتمادًا على دراسات عن الحاضر والماضي) لبيان أساس المنهج العلمي في الدراسات المستقبلية؛ فإذا لم يكن أساسها الكهانة ولا الادعاءات المجردة فهي إذن نتاج دراسات عن الماضي بعبره والحاضر بوقائعه وتجاربه، وهذا وجه كونها علمية.

وليس دائمًا يكون اعتماد الدراسات المستقبلية على الماضي، بل تتجاوزه أحيانًا لابتكار أفكار جديدة في حدود ما هو معقول؛ فليس حتمًا أن يكون المستقبل كالماضي لا يتغير، بل قد يأتي في صورة جديدة لم تُعهد من قبل.

ولم يرد في التعريف ذكر أهداف الدراسات المستقبلية؛ لأن الأهداف منفصلة عن الدراسات المستقبلية؛ فذكرها في التعريف ليس من الصواب[1].

١ الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (رسالة لنيل درجة الماجستير) من إعداد: عبد الله بن محمد المديفر، (ص٢٩-٣١).

ثالثًا

نشأة الدراسات المستقبلية وتكونها



يرى كثير من العلماء والمؤرخين أن استشراف المستقبل جِبِلة أصيلة في النفس الإنسانية. يقول ابن خلدون: «اعلم أنَّ من خواص النفوس البشرية التشوُّف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر، سيَّما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها، ولذلك تجد الكثير من الناس يتشوَّفون إلى الوقوف على ذلك في المنام، والأخبار من الكهَّان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسُّوقة معروفة، ولقد تجد في المدن صنفًا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرَّضون لمن يسألهم عنه، فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة، وأمثال ذلك»[١].

ولذا لم يكن الاهتمام بالمستقبل والتطلع إليه والإعداد له وليد هذا العصر، بل كان منذ القدم بألوان وطرق مختلفة.

ولقد مرت محاولات اكتشاف المستقبل بمجموعة من التطورات المتلاحقة عبر التاريخ، غير أن هذه المحاولات لم ترقَ إلى درجة البحث العلمي إلا في العصور الحديثة.

ويتضح ذلك مما يلي:

تميزت معظم المجتمعات في العصور القديمة والوسطى بمحاولة التنبؤ بالمستقبل على النحو التالي:

١. فالرعاة القدماء كانوا وهم يحرسون قطعانهم بالليل في وادي نهر دجلة والفرات ينظرون إلى السماء، وتصوروا أن الكواكب والأبراج السماوية تمثل حيوانات تخيلية وأشياء أخرى.

٢. ربط الكهنة والبابليون بين الكواكب وبعض مقدساتهم، ومن هنا توصلوا إلى فن الفلك، وهي ممارسة للتنبؤ بحوادث المستقبل من دراسة الكواكب وأماكنها بالنسبة لبعضها البعض.

٣. وكان للملوك والأباطرة في العصور الوسطى أناس خصيصون يقرءون لهم الطالع ويقدمون لهم النصح في أمورهم المختلفة[٢].

١ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (ص٤١١).

٢ أسس دراسة المستقبل في التربية الإسلامية (دراسة تأصيلية) «رسالة لنيل الماجستير» من إعداد: محمد بن أحمد النعيري، (ص٢٧).

أما عن البدايات العلمية للدراسات المستقبلية الحديثة فقد اختلفت آراء الكتَّاب بشأنها، غير أن ثمة تطورات متلاحقة يمكن الجمع بينها من خلال كتابات الباحثين على النحو التالي:

١-يرى البعض أن أول محاولة استشرافية علمية ترجع إلى نهاية القرن الخامس عشر، الذي شهد ظهور كتاب توماس مور المعروف باسم «اليوتوبيا» الذي يطرح فيه تصورًا مستقبليًّا للمجتمع المثالي الذي يخلو من كافة أشكال الاضطهاد والظلم والأنانية.

ثم وضع فرنسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦م) الذي يعد رائد المادية الإنجليزية مؤلفه «الأطلنطيس الجديدة» حيث تصور فيه مجتمعًا مثاليًّا مبنيًّا على العلم في جزيرة خالية أطلق عليها (جزيرة بن سالم)، وفيها معهد للأبحاث يُعرف باسم (بيت سليمان).

٢-ويرى هارلود شان أن أول من قام بعملية استشراف للمستقبل هو الفيلسوف الفرنسي فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨م) حيث اقترح مصطلح (prévoyance) بمعنى الاستبصار؛ ليستخدم لوصف هذه العملية الاستشرافية.

٣-وفي فرنسا عام ١٧٥٠م قدم تورجو –الذي اشتهر فيما بعد كسياسي واقتصادي- دراسة مستقبلية سماها (التقدمات المتتالية لعقل الإنسان). وبعد سنوات ألَّف الماركيز دو كوندروسيه كتاب (رسم تخطيطي لتطور عقل الإنسان خلال الحقب التاريخية) تنبأ فيه بكثير من تطورات القرنين التاسع عشر والعشرين.

٤-ويعزو البعض الآخر أول محاولة لاستطلاع مستقبل الجنس البشري على أسس علمية إلى القرن التاسع عشر، والذي شهد النبوءة المشهورة الخاصة بعدد السكان للاقتصادي الإنجليزي توماس مالتوس (ت١٨٤٣م)، والتي نشرها في كتابه «مقال في نمو السكان» عام ١٧٩٨م، وهي رؤية مستقبلية تتسم بالتشاؤم بسبب التناقض الاجتماعي الذي ينتج عن تزايد السكان[١].

ومن الدراسات الأولى أيضًا كتاب (في مئة سنة) لشارل ريشيه، نُشر عام ١٨٩٢م، حدد فيه اتجاهًا إحصائيًّا لنمو السكان في العالم من عام ١٨٩٢م إلى عام ١٩٩٢م، واستنتج أن أقوى دولتين في العالم عام ١٩٩٢م ستكونان الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا؛ إذ سيبلغ مجموع سكانهما حوالي ٦٠٠ مليون، وسيتفوقان على أوروبا نتيجة لانخفاض معدلات الولادة فيها.

١ انظر: أسس دراسة المستقبل في التربية الإسلامية (دراسة تأصيلية). (ص٢٨، ٢٩).

وتحدث الكاتب عن مجالات أخرى، مثل توقع بقاء الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، وأن مصر ستستطيع أن تتحرر من الاستبداد البريطاني، وتوقع للنفط أن يحل محل الفحم بصفته مصدرًا للطاقة، وغير ذلك[١].

٥-وثمة إجماع بين مؤرخي علم دراسة المستقبل على أن هربرت جورج ويلز-أشهر كتَّاب روايات الخيال العلمي- هو أول من صك مصطلح «علم المستقبل»، وقد قدَّم إضافات عميقة في تأصيل الاهتمام العلمي بالدراسات المستقبلية، ودعا صراحة في محاضرة ألقاها في ٢٦ يناير ١٩٠٢م أمام المعهد الملكي البريطاني إلى «علم المستقبل»، وقام فيما بعد بتأصيل دعوته في مؤلفاته: تكوين الإنسان (١٩٠٢م) واليوتوبيا الجديدة (١٩٠٥م)، وشكل الأشياء المستقبلية (١٩٣٣)، وجميعها تدور حول حياة وهموم الأجيال المقبلة[٢].

٦-ويعزو إدوارد كورنيش بدايات استشراف المستقبل الحديث إلى الفيلسوف الفرنسي سارتر، الذي وضَّح في سنة ١٩٤٦م الفكرة المستقبلية قائلًا: (أنت حر في ابتكار المستقبل).

وتلا سارتر سنة ١٩٦٠م فرنسي آخر هو (برنارد دي جوفنال) الذي قام بإعداد سلسلة أوراق علمية لتقدير الأحداث السياسية تحت عنوان (مستقبليات). وفي سنة ١٩٦٤م نشر مؤلفه (فن الحدس) رسم فيه الخطوط العريضة لمنهجية تهدف إلى دراسة المستقبل وتأييد فكرة عقد ملتقيات يناقش في إطارها المستقبل[٣].

٧-وتؤرخ أكثر الكتابات لنشأة الدراسات المستقبلية بتكوُّن مؤسسة (Rand) الأمريكية، وتحديدًا عند استقلالها عام ١٩٤٨م.

وكان الداعي إلى تكوينها سعي الولايات المتحدة إلى تعزيز إمكاناتها الدفاعية بعد الحربين العالميتين، للحفاظ على أمنها القومي، لاسيما بعد تسلح عدد من الدول بالصواريخ العابرة لآلاف الأميال.

وقد أصبحت مؤسسة (Rand) من أهم الهيئات في الولايات المتحدة التي تُعنى بالتطوير والاستطلاع والتخطيط في الشئون العسكرية والاجتماعية والتعليمية وغيرها، ومثلًا يُحتذى به في البلاد الأخرى.

١ الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (رسالة لنيل درجة الماجستير) (ص٥٤).

٢ توطين الدراسات المستقبلية في الثقافة العربية الأهمية والصعوبات والشروط، لمحمد إبراهيم منصور، (ص١٨).

٣ أسس دراسة المستقبل في التربية الإسلامية (دراسة تأصيلية) (ص٣٠).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أخذت الدراسات المستقبلية تتعدى المجالات الحربية البحتة إلى المجالات الأخرى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية وغيرها.

فكما توسعت مؤسسة (Rand) في مجالاتها فقد تكونت بعدها عدد من المؤسسات المعنية بشئون المستقبل من جوانب متعددة[١].

٨-وفي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ازدهرت الدراسات المستقبلية وشهدت انطلاقًا وتوسعًا حقيقيين، فقد أنشئت في هذه الفترة المئات من المؤسسات والجمعيات العلمية والبحثية المختصة في الدراسات المستقبلية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، بالدرجة الأولى، وعُقد عدد من المؤتمرات الدولية المختصة في الدراسات المستقبلية، كما ظهرت كثير من الدراسات المستقبلية في الدول الغربية، حيث توافر في مكتبة (الكونجرس) حتى عام ١٩٧٤م أكثر من خمسة عشر ألف دراسة علمية في الدراسات المستقبلية، كما كوَّنت دول كثيرة جماعات ولجانًا خاصة كجماعات العام ٢٠٠٠ أو جماعات المستقبل وغيرها، أوكلت إليها أمر استشراف المستقبل والتخطيط له في كافة المجالات.

كما اتجهت الدراسات المستقبلية إلى محاولة التحكم في المستقبل وتغييره عن طريق صياغة أشكال من المستقبلات الممكنة، وتطويرها إلى مستقبلات مرغوبة يمكن التخطيط لتحقيقها بأشكال متعددة. كما قرِّرت مناهج الرؤية المستقبلية في التعليم المدرسي والجامعي، وقد بلغ عدد المقررات الدراسية المختصة بالدراسات المستقبلية في المدارس والمعاهد الأمريكية حوالي ٤١٥ مقررًا دراسيًّا موزعًا على ثماني عشرة ولاية أمريكية، كما منحت بعض الجامعات الدرجات العلمية العالية في الدراسات المستقبلية.

كما اتجهت هذه الدراسات نحو العالمية؛ فظهرت دراسات أمريكية عن المستقبل النووي في القارة الآسيوية، وعن الطاقة في العالم العربي، وظهرت دراسات إسرائيلية عن مستقبل اقتصاديات الشرق الأوسط.

١ الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٥٦).

كما ظهر أيضًا ما يسمى بـ (النماذج العالمية) التي تناولت جوانب متعددة للنشاطات الإنسانية على مستوى العالم والصور المستقبلية لها. ومنها: النمو السكاني، والموارد الطبيعية، والزراعة، وتلوث البيئة، والتقنية، والتعليم وغير ذلك.

وهذه المظاهر الكثيرة المتعددة التي تميزت بها فترة الستينيات وما تلاها جعلت بعض الباحثين في الدراسات المستقبلية يعدونها التاريخ الحقيقي لبداية هذه الدراسات دون ما قبلها[١].

١ الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٥٧-٥٩).

الباب الأول

المستقبليات والشريعة الإسلامية

(وفيه ثلاثة فصول):

- الفصل الأول: أهمية الدراسات المستقبلية وأشهر المؤسسات المُتَّجِهة إليها.
- الفصل الثاني: تأصيل استشراف المستقبل في القرآن والسنة.
- الفصل الثالث: أساليب استشراف المستقبل.

الفصل الأول

الفتوى في عصر الرسالة

(وفيه أربعة مباحث):

١. أهمية دراسة المستقبل على وجه العموم.

٢. أهمية دراسة المستقبل في العالم الإسلامي.

٣. أشهر المؤسسات العالمية ذات النوجه المستقبلي.

٤. أشهر المؤسسات العربية ذات التوجه المستقبلي.

المبحث الأول

أهمية دراسة المستقبل على وجه العموم

لقد أصبحت الدراسات المستقبلية يومًا بعد يوم منهجًا شائعًا في كثير من مجالات الحياة، تحاول تقديم الحلول لكثير من المشكلات الاقتصادية والسياسية والثقافية والبيئية والعلمية وغيرها، وباتت همًّا يشغل بال المنظمات الدولية والمعاهد العلمية ومراكز الأبحاث علاوة على الحكومات منفردة أو بصورة جماعية، ولقد أخذت مكانتها في التأثير في رسم السياسات والخطط العالمية والمحلية.

ويعتبر الاهتمام بالمستقبل واستشرافه ووضع الأسس لما ينبغي أن يكون هو الأسلوب الأفضل في التعامل مع التطورات المستجدة، ويمثل ذلك كله اهتمامًا حضاريًّا وعلامة من علامات رقي المجتمع وتقدمه.

ويمكن إجمال أهمية دراسة المستقبل فيما يأتي:

١. التنبؤ بالصعوبات والمشكلات المتوقعة والاحتراز منها أو مواجهتها.

٢. اكتشاف مطالب المستقبل والاستعداد له بما يمكن إعداده من أجل حياة أفضل.

٣. التغلب على خطر المفاجأة.

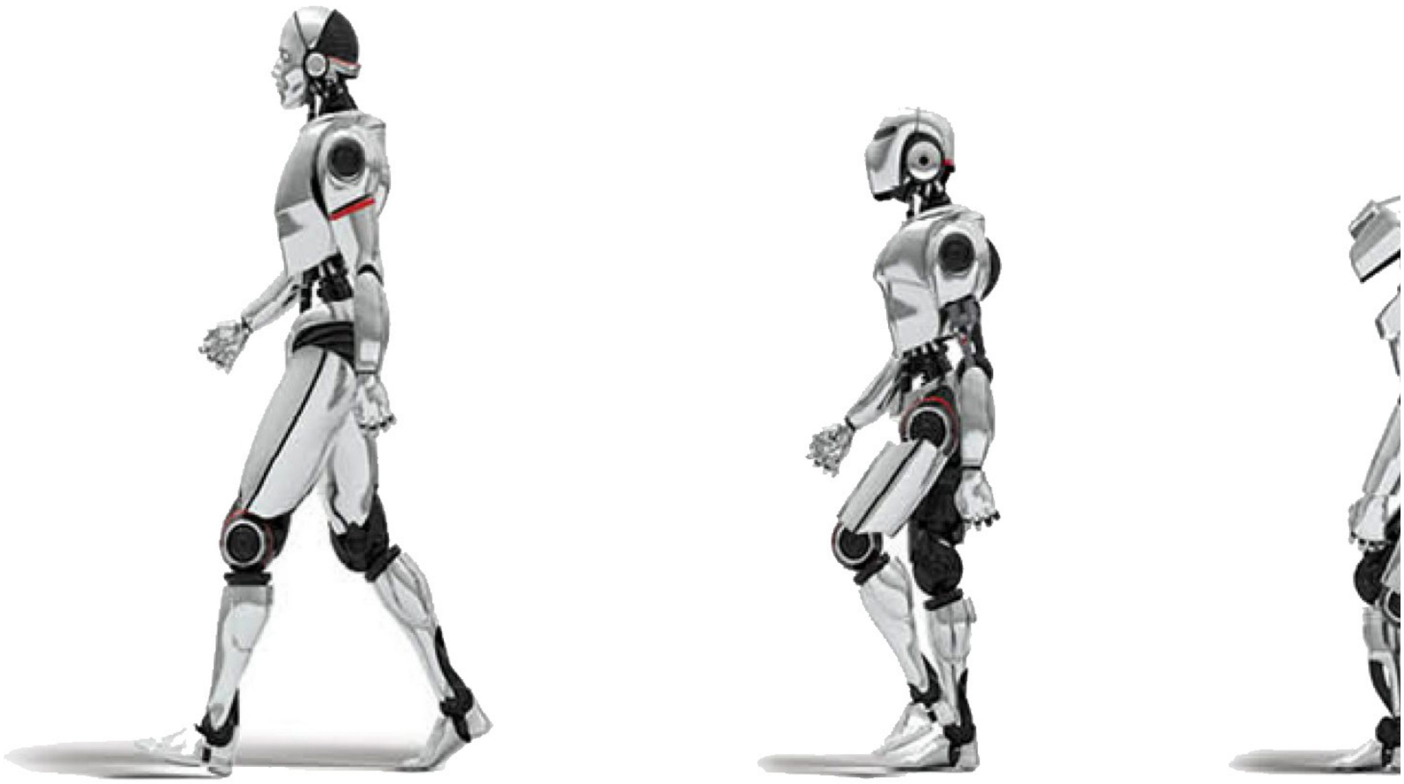


٤. قيام عمليات التخطيط واتخاذ القرار على ضوء أسس علمية مدروسة ووفق تصورات مستقبلية مرسومة.

فعملية استشراف المستقبل هي أحد المقومات الرئيسة في نجاح المجتمعات بشكل عام، والمؤسسات بشكل خاص، وتجنب الوقوع في أزمات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها.

وتعطيل العقل عن التفكير في المستقبل والتأمل فيه والجمود عن العمل للتخطيط المستقبلي من شأنه أن يعيق مسار الحياة، وأن يحول دون الإبداع والابتكار في شتى المجالات[١].

١ انظر: أسس دراسة المستقبل في التربية الإسلامية (دراسة تأصيلية) (ص٣١، ٣٢).



المبحث الثاني

أهمية دراسة المستقبل في العالم الإسلامي

يمكن إجمال أهمية دراسة المستقبل في العالم الإسلامي خاصةً في النقاط التالية:

١. الحاجة الماسة إلى هذا النوع من الدراسات في العالم الإسلامي؛ حيث لم يوجد منها إلا محاولات فردية قليلة.

٢. الحاجة إلى النهوض بالأمة من معاناتها، والمساهمة في حل مشكلاتها والتغلب على التحديات التي تحول بينها وبين التقدم والنصر.

٣. ضرورة الإسهام في صنع مستقبل الأمة وفق ما ارتضاه الله سبحانه لها من الخيرية وقيادة البشرية؛ حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

ولكي يشارك المسلمون في صنع مستقبلهم فإنه لا يتأتى لهم ذلك إلا عن طريق بحوث استشراف المستقبل[١].

١ انظر: أسس دراسة المستقبل في التربية الإسلامية (دراسة تأصيلية). (ص٣٣).

المبحث الثالث

أشهر المؤسسات العالمية ذات التوجه المستقبلي



سبقت الإشارة إلى أن دراسة المستقبل لم تنضج ولم تكتمل ملامحها إلا بعد الستينيات، ولهذا فإن المؤسسات التي تخصصت في دراسة المستقبل لم تظهر إلا في هذه الفترة وما بعدها.

وتعد مؤسسات استشراف المستقبل ذات أهمية بالغة للمجتمع، ولهذا عُنيت الدول الغربية -وتبعتها دول الشرق- بإنشاء الكثير منها، وقد بلغ عدد المؤسسات التي تهتم بدراسة المستقبل في أمريكا فقط في عام ١٩٦٧م (٦٠٠) مؤسسة، وبلغت في أوروبا عام ١٩٧٠م (٢٩٣) مؤسسة، ولا يكاد يوجد في أمريكا مؤسسة أو شركة لا تتضمن وحدة لاستشراف المستقبل.

وهناك معاهد ومراكز مستقبلية في أمريكا اللاتينية، وفي بعض البلدان الأفريقية، وفي الصين واليابان والفلبين وباكستان والهند وغيرها.

وفيما يلي نعرض أشهر هذه المؤسسات والمراكز:

١. جمعية المستقبل العالمية: أنشأها في العاصمة الأمريكية واشنطن مجموعة أشخاص عام ١٩٦٦م، ونمت سريعًا وأصبحت تضم أعضاء من مختلف أنحاء العالم، ويرى الكاتب إدوارد كورنيش أنها أكبر جمعية مستقبلية في العالم، وللجمعية ممثلون في حوالي مئة مدينة في العالم ويصدر عن هذه الجمعية أكثر من ستة إصدارات، ما بين نشرة ومجلة ودورية، منها ما هو موجه لعامة الناس، ومنها ما يخص المختصين المستقبليين.

٢. مؤسسة (راند) في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد سبقت الإشارة إلى أنها استقلت بذاتها في عام ١٩٤٨م، وأصبح التفكير المستقبلي علامة لها، وقد نشأت أولًا لصالح الشئون العسكرية المستقبلية للولايات المتحدة، ولكن بحلول عام ١٩٧٠م أضافت إلى جدول أعمالها مشاريع غير عسكرية بنسبة حوالي ٣٥٪ من أنشطتها.

٣. مركز بحوث الأمور المستقبلية في جامعة كاليفورنيا الجنوبية.

٤. مؤسسة التنبؤ الدولي في أرلنجتون بولاية فيرجينيا.

٥. معهد المستقبل: وهو مجموعة غير ربحية تتخذ مقرًا لها في ميلنو بارك بولاية كاليفورنيا.

٦. مجموعة الأمور المستقبلية: أنشأ هذه المؤسسة الربحية سنة ١٩٧١م ثيودورج جوردون وعضوان آخران من مجلس إدارة (معهد المستقبل)، ومقرها في جلاستون بري بولاية كونيتيكت الأمريكية.

٧. معهد هدسون: أنشأه عام ١٩٦١م هيرمان كاهن، والمحامي ماكس سنقر، وأسهم المعهد إسهامًا كبيرًا في الأبحاث الاستراتيجية الحربية. وتُعد وزارة الدفاع الأمريكية العميل الرئيس لمعهد هدسون. وجرى في المعهد تطوير أسلوب المَشاهد وأسلوب المستقبلات البديلة.

٨. نادي روما: أسسه في إيطاليا عام ١٩٦٨م رجل الأعمال الإيطالي (أوريليو بيتشي)، وهو منظمة غير حكومية، وقد صدر عنه أكثر من خمسة تقارير عالمية تتعلق بمستقبل البشرية في القرن الحادي والعشرين الميلادي.

٩. الاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية: أُنشئ في باريس عام ١٩٧٣م، ويضم أكثر من خمسمئة عضو، ينتمون إلى تسعين دولة، ويعقد كل عامين مؤتمرًا دوليًا متنقلًا.

١٠. واهتمت كثير من الجامعات الأمريكية بالدراسات المستقبلية، ومن أشهر الجامعات الأمريكية جامعة (هيوستن)، وهي تمنح الماجستير والدكتوراه في الدراسات المستقبلية.

وفي أوروبا كانت هناك اهتمامات مبكرة بالدراسات المستقبلية في بعض الجامعات منها جامعة (بودابست) للعلوم الاقتصادية في المجر، حيث بدأت بإجراء الأبحاث عام ١٩٦٨م، وأقيمت في الجامعة سلسلة من الحلقات النقاشية حول الدراسات المستقبلية، وفي عام ١٩٧٦م اعترفت هذه الجامعة بعلوم الدراسات المستقبلية بصفتها فرعًا معرفيًّا مستقلًّا.

وفي الهند تأسس قسم الدراسات المستقبلية بجامعة (كيرالا) عام ١٩٩٠م، ويمنح القسم درجات الماجستيروالدكتوراه في البحوث المستقبلية.

ويوجد اليوم -على مستوى العالم- آلاف المحاضرين والباحثين العاملين في مجال التعليم المستقبلي[١].

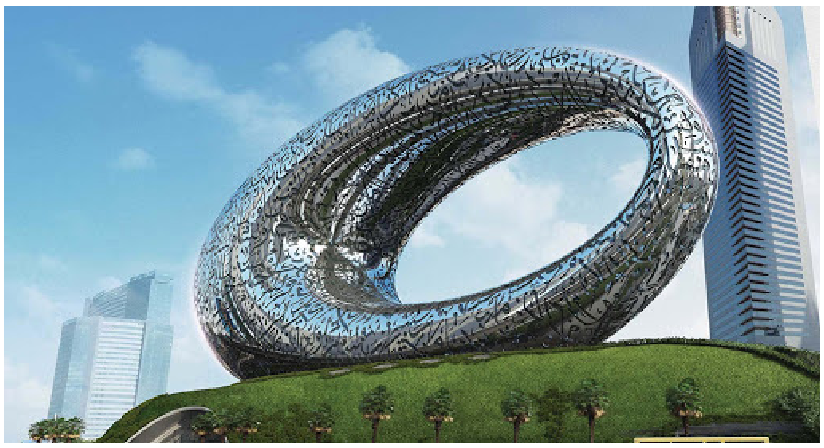
١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٧٠-٧٨)، وأسس دراسة المستقبل في التربية الإسلامية (دراسة تأصيلية) (ص٣٧، ٣٨).



المبحث الرابع

أشهر المؤسسات العربية ذات التوجه المستقبلي

مؤسسة دبي للمستقبل:



وهي أول مؤسسة وقف بحثي في المنطقة العربية، تم تأسيسها في أبريل ٢٠١٦م بهدف تعزيز مكانة دولة الإمارات ومدينة دبي كمركز عالمي لاستشراف وصناعة المستقبل.

وتشرف هذه المؤسسة على تنفيذ أجندة دبي المستقبل، والتي تندرج تحتها مجموعة واسعة من المبادرات الهادفة لتعزيز قدرات الأفراد وبناء الثقافة في مجال استشراف المستقبل، إضافة إلى زيادة جاهزية المؤسسات للمتغيرات المستقبلية، وأخيرًا بناء قطاعات مستقبلية ذات تأثير إيجابي على الاقتصاد الوطني[١].

٢- مؤسسة استشراف المستقبل للاستشارات والتدريب:

وهي مؤسسة وطنية تتخذ من «أبو ظبي» مقرًا لها، تختص بتقديم الاستشارات والتدريب في مجالات استشراف المستقبل.

وتعتبر واحدة من أهم مقدمي خدمات الاستشارات والتدريب في منطقة الشرق الأوسط من خلال توفير التدريب والحلول الأكثر ابتكارًا للمؤسسات الحكومية والخاصة عبر خبراء ومدربين مؤهلين من جميع أنحاء العالم[٢].

١ انظر: موقع صحيفة البيان الإماراتية: الرابط:
https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports/2016-09-07-1.2711335

٢ انظر: موقع مؤسسة استشراف المستقبل للاستشارات والتدريب الرابط: http://uaefuture.ae/initiatives.

٣-المركز الإقليمي لدراسات التنمية المستدامة واستشراف المستقبل:

وهو شركة مساهمة مصرية، ويهتم هذا المركز -كمركز فكر مستقل- بقضايا السياسات العامة ودعم متخذي القرار بالدولة (الحكومة –القطاع الخاص–المجتمع المدني– الهيئات والمؤسسات الإقليمية في مصر والوطن العربي والقارة الإفريقية) مع القدرة على طرح بدائل لصانع القرار للتوجه إلى حلول لمشكلةٍ ما أو رؤيةٍ معينة، في إطار نظرة مستقبلية تساعد على التنبؤ لكل القضايا المطروحة.

كما يسعى هذا المركز إلى تنمية جيلٍ من الاستشاريين، قادر على دعم الدراسات المستقبلية للمؤسسات[١].

٤- مركز الخليج العربي للدراسات والبحوث بالكويت:

يعد هذا المركز أول منصة فكرية مستقلة كويتية، هدفها التشجيع على البحث والابتكار والإبداع. وهو يوفر تقارير ودراسات وتحاليل تصدر من الكويت تُعنى ببحث ودراسة وتحليل وتقييم أهم القضايا الآنية والمستقبلية للكويت والعالم العربي. كما تقدم توصيات يمكن لصناع القرار أو المجتمع المدني أو لمجتمع الباحثين الاستفادة منها في جميع المجالات.

كما يسعى المركز للمساهمة في تقديم رؤية أوضح لمسار مستقبل التنمية وأهم إشكالياتها والحلول الممكنة لازدهار أجيال المستقبل[٢].

١ انظر: موقع المركز الإقليمي لدراسات التنمية المستدامة واستشراف المستقبل. الرابط: https://sdfscenter.com/about

٢ انظر: موقع مركز الخليج العربي للدراسات والبحوث. الرابط: https://www.csrgulf.com.

٥- مركز دراسات الوحدة العربية:

تأسس هذا المركز عام ١٩٧٥م في بيروت. وهدفه البحث العلمي حول مختلف نواحي المجتمع العربي والوحدة العربية، بعيدًا عن كل نشاط سياسي أو ارتباط حكومي أو انتماء حزبي. وعني هذا المركز في مطبوعاته ومجلته الشهرية بقضايا المستقبل.

٦- الجمعية المغربية للدراسات المستقبلية:

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٧٩م في الرباط، وتضم نحو ٤٠٠ عضو من المفكرين والمسئولين في القطاع العام والخاص، ويصدر عنها عدد من المنشورات.

٧- منتدى الفكر العربي:

تأسس عام ١٩٨١م في مدينة عمَّان بالأردن، وهو جمعية أهلية ثقافية تنموية. من أهدافه: الاهتمام بالفكر العربي وتطويره ونشره وترسيخ الوعي خاصة فيما يتعلق بقضايا الوحدة القومية المشتركة.

وقام المنتدى بمشروع كبير في استشراف مستقبل التعليم في الوطن العربي، وهو جزء من برنامجه حول الدراسات الاستراتيجية المستقبلية.

٨- مركز دراسات المستقبل:

أنشئ هذا المركز عام ١٩٩٤م في جامعة أسيوط في مصر.

ومن أهدافه: الاهتمام باستشراف المستقبل، وتقديم أفضل البدائل الممكنة لترشيد القرارات والتحكم في مسار التحولات المستقبلية، ووضع ذلك تحت تصرف دوائر صناعة القرار.

المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

ويصدر عن المركز مجلة نصف سنوية بعنوان (دراسات مستقبلية)، وله إصدارات أخرى منها كتاب «التطرف في أسيوط ومصر وطرق المواجهة المستقبلية»[1].

فما أحرى الدعاة إلى الله –لا سيما المفتين-إلى غرس مهارات التخطيط واستشراف المستقبل فيهم منذ مرحلة مبكرة، وأن يمروا بالمراحل المتتابعة التي توصل إلى النضج والمهارة، وذلك عبر أكاديميات أو مؤسسات إسلامية، أو دورات تقيمها المؤسسات المعنية بشئون الدعوة والإفتاء،

فإن الداعية والمتصدر للإفتاء يفيد من الدراسات المستقبلية محاولة التخطيط والتهيؤ والاستعداد لتوظيف التغيرات المستقبلية لصالح الدعوة الإسلامية، وفي تلافي ما ينتج عن هذه التغيرات من سلبيات.

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٧٨-٨٣).

الفصل الثاني

تأصيل استشراف المستقبل في القرآن والسنة

(وفيه ثلاثة مباحث):

١.تأصيل استشراف المستقبل في القرآن الكريم.

٢.تأصيل استشراف المستقبل في السنة النبوية.

٣.نماذج من استشراف المستقبل في السنة النبوية.

يزعم أعداء الأمة الإسلامية أن الحضارة الإسلامية تفتقر إلى العقلية المستقبلية، فهي غير قادرة على إرساء قواعد علمية للدراسات المستقبلية، وهذا زعم باطل وادعاء كاذب؛ فشريعة الإسلام تتميز بأن مصدرها إلهي سالم من الخطأ والضعف والوقتية؛ فلا غرو ألا تُهمل هذه الشريعة أمر المستقبل بل يكون لها منهجها الخاص معه.

المبحث الأول

تأصيل استشراف المستقبل في القرآن الكريم



إن النظر المستقبلي في القرآن يفوق الحصر، والحديث فيه يطول، لذا فإننا سنتعرض إلى إشارات للدلالة على وجود النظر المستقبلي في القرآن الكريم، وذلك فيما يأتي:

الآيات القرآنية الدالة على الاستشراف والتخطيط المستقبلي:

-تتردد في القرآن الكريم كلمات «الدهر»، و«الغد»، و«الحين»، «والوقت»، وجميع هذه الكلمات تدعو إلى الالتفات إلى الزمن وإلى الاهتمام بالمستقبل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨]. قال الإمام الشوكاني: «أي: لتنظر أي شيء قدمت من الأعمال ليوم القيامة، والعرب تكني عن المستقبل بالغد»[١].

فمن هذه الآية الكريمة يتبين حرص الإسلام على تربية الفرد المسلم على العناية بمستقبله عناية لا تقل عن العناية بحاضره، وحثه على أن يكون استشراف المستقبل على الصعيد الدنيوي أو الأخروي قيمة من قيمه الحضارية، ومقومًا من مقومات شخصيته.

-وقد أرشد القرآن الكريم إلى التخطيط الاستراتيجي، والاستعداد للمستقبل فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فهذه الآية الكريمة دعوة للإدارة الإسلامية بالعمل والتخطيط والاستعداد بقوة لمواجهة أمر مستقبلي قد يحدث لدار الإسلام وأمته، والقوة في الآية مطلقة تفهم بمفهوم العصر؛ فتفهم بالقوة الفكرية والمهارية في بناء الأفراد والكوادر، والقوة البدنية ببناء الرجال الأشداء الأقوياء في

١ «فتح القدير» للإمام الشوكاني (٢٤٤/٥).

إيمانهم وأبدانهم، وقوة السلاح بكل أنواعه، حتى القوة والطاقة الذرية، وذلك ببناء المصانع النووية الإسلامية وحمايتها من ضرب الأعداء لها، وذلك كله لإرهاب عدو الله وأعداء الإنسانية، وحماية دار الإسلام من الأعداء، ويتضح من قوله تعالى: ﴿وأَعِدُّوا لهم﴾ مفهوم التخطيط الطويل الأجل الذي يجب أن تأخذ به الدولة الإسلامية وإدارتها الحكيمة حتى تحمي شوكة وقوة الإسلام[١].

-وفي حديث القرآن عن السنن الإلهية شاهد جلي على ملاءمة هذا الكتاب الكريم لتكوين نظرة مستقبلية نافذة تتجاوز الخلل في المنظورات البشرية، وتحقق ما أمرنا به من السير في الأرض والنظر والاعتبار.

والذي يقترب من دراسة المنظور المستقبلي هو ذلك الشق المتعلق بسنن الله في الأمم والمجتمعات؛ أي تلك السنن التي تتعلق بسلوك البشر وأفعالهم ومعتقداتهم وسِيَرهم في الدنيا وفق أحوال الاجتماع والعمران البشري، وما يترتب على ذلك من نتائج في العاجل والآجل[٢].

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم:١-٥].

لقد رأى بعض المفسرين أن القرآن الكريم يعدُّ الوعي الإسلامي الناشئ والجماعة المسلمة الفتية إلى التعاطي بالشئون الدولية، وإلى إدراك أبعاد الصراع القائم بين القوتين العظميين في ذلك الوقت؛ لكي تستعد القوة الإسلامية الجديدة الصاعدة لحسم هذا الصراع لصالحها، ليس بنصر قوة على أخرى، وإنما بإبعاد القوتين معًا عن مركز الصدارة لصالح القوة المسلمة.

والبشارة في الآية للمؤمنين بالنصر هي في الواقع بشارة النصر للجماعة الإسلامية على المدى البعيد، وإن اتخذت صفة الإشارة للنصر المؤقت الذي سيحرزه الروم في بضع سنين في صراعهم مع الفرس على أن يأتي أمر الله في النهاية بنصر رسالة الحق والقائمين بها، يتأكد ذلك من الآية الكريمة التالية للآيات المذكورة، وهي الآية الحاسمة والمؤيدة لهذا التفسير، وهو قوله تعالى:

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم:٦].

١ انظر: التخطيط والرقابة أساس نجاح الإدارة، لعبد الفتاح حسين ذياب، ص٩٧.

٢ إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية، للدكتور توفيق بن علي زبادي (ص١٨).

فوعد الله هنا بالنصر هو للجماعة المسلمة في نهاية المطاف وليس لقياصرة الروم البيزنطيين، وقد تحقق وعده سبحانه في واقع التاريخ عندما هزمت القوة المسلمة القوتين العظميين معًا في وقت واحد تقريبًا، إلا أن وعده سبحانه تحقق أولًا بعودة الروم للانتصار على الفرس في المدى القريب، وجاء هذا النصر متزامنًا مع بداية النصر الإسلامي في معركة بدر الكبرى، فأخل هذا التزامن بمعنويات المشركين على الصعيدين الداخلي والخارجي في وقت واحد.

وهذه الإشارة القرآنية الكريمة فيها معنيان: معنى الإنباء بالغيب، وذلك من اختصاص الله سبحانه عالم الغيب والشهادة، أما المعنى الثاني فهو توجيه الوعي الإنساني للتفكير في مصير البشرية ومصير العالم، وما سيشهده من أحداث تستدعي الحكمة أن يكون الإنسان المسلم متحسبًا لها حماية لدينه ومصيره ومصلحته، وهو ما يسمى بالتفكير المستقبلي؛ الذي لا يمكن أن يستشرف آفاق الغد إلا إذا أدرك القوانين والسنن الكونية والتاريخية التي يسير بمقتضاها العالم، والتي تؤثر في مصائر الأمم ومنعطفات التاريخ.

لذلك أتت آية تالية في السورة نفسها تستحثنا إلى النظر في السنن والقوانين التاريخية لطبيعة سير العالم، وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

وفي السورة نفسها أيضًا: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [الروم: ٤٢].

والتعبير القرآني المتكرر «سيروا في الأرض» و«فانظروا»، وما يأتي بنصه أو ما يقرب منه يحمل طابع الدعوة إلى الاستقراء العلمي التجريبي الذي كان ميزة من ميزات العقل والفكر الإسلامي في الحضارة الإسلامية؛ فالسير في الأرض دعوة عملية وعقلية لاستقراء وتتبع ورصد آثار الحضارات الماضية مع مظاهر الحضارات القائمة من واقع التجربة الإنسانية.

والتأمل في المصائر التي آلت إليها طبقًا للسنن التي قررها الله لهذا الكون هي هنا قوانين التاريخ الفاعلة فيه من البداية، والتي ستظل تؤثر فيه إلى النهاية، وسنة الله لا تتبدل، وهذا يعني أنه من إدراك سنن الله في الماضي نستطيع أن نستشرف فعلها وأثرها في المستقبل، ومن هنا فإن دعوة القرآن الكريم للسير في الأرض واستخلاص مصائر الأمم من آثارها تتضمن وتترتب عليها الدعوة للتفكير في المستقبل أيضًا؛ انطلاقًا من سنن الله الفاعلة في الماضي والحاضر، وذلك ما يتوافق تمامًا مع ما هو متعارف عليه لدى مفكري المستقبل وعلومه في عصرنا الحاضر من أن إدراك فلسفة التاريخ أي

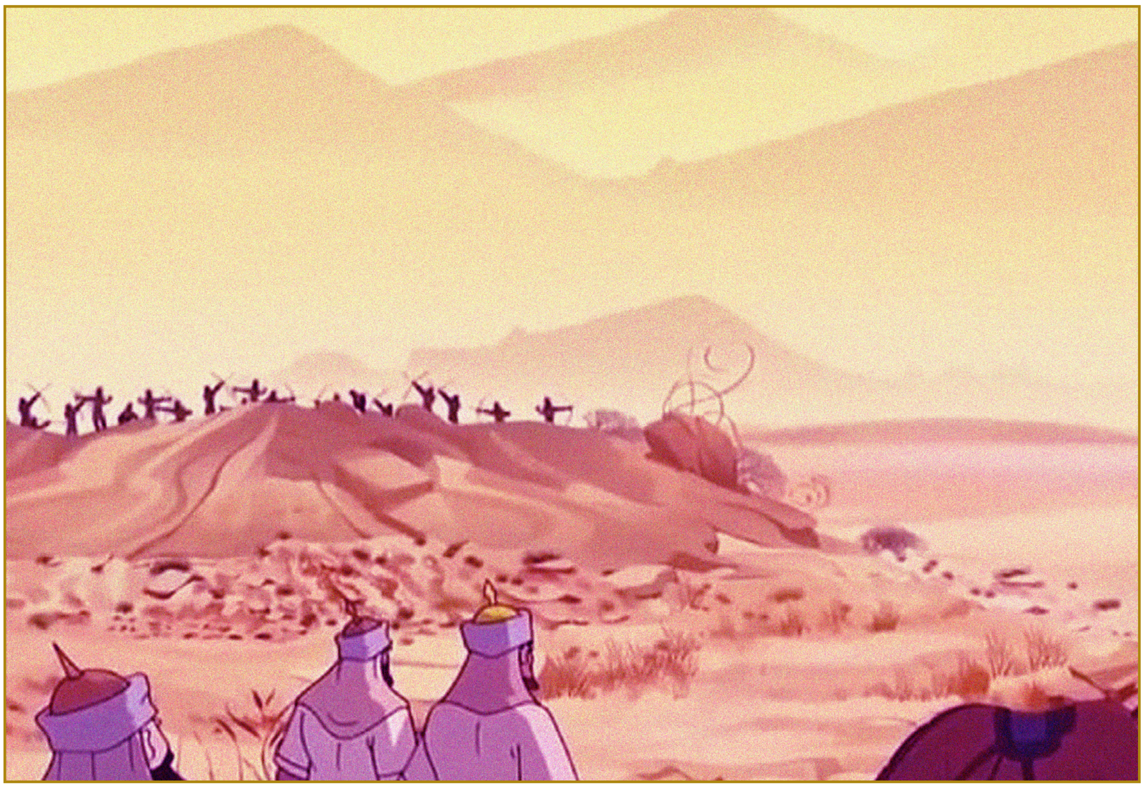
القوانين المؤثرة في ماضي البشرية هو المنطلق والبداية لاستشراف توجهات المستقبل[١].

-وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة الالتزام بتنفيذ الخطط لتحقيق النتائج المرسومة؛ إذ تعد مرحلة تنفيذ الخطة هي الاختبار الحقيقي لجودة التخطيط وسعة خيال فريق التخطيط ومدى حذقهم في وضع الخطط التطبيقية، وإسناد الأعمال إلى المنفذين، وما الذي يجب عمله بدقة، وهذه المرحلة بالغة الأهمية والصعوبة؛ فقد تُرسم أفضل الخطط الاستراتيجية بصورة نظرية لكنها إذا لم تُدعم بالانضباط والتغيير الملائم لها سيكون مصيرها الفشل.

وقد ذكر القرآن الكريم حادثتين، إحداهما عن الالتزام بالخطة، والأخرى بإهمال تنفيذها، ويتضح من خلال التأمل في هاتين الحادثتين أهمية وخطورة الالتزام بالخطط المرسومة في تحقيق النتائج المرجوة.

١ انظر: رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية، للدكتور محمد جابر الأنصاري (ص٢٢-٢٤).

الصورة الأولى: مخالفة الرماة في غزوة أحد لخطة النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة المعركة:



حيث يقول سبحانه عن الخطة التي أدار بها النبي معركة أحد، واستشرف الموقع الاستراتيجي للمعركة من أجل النصر: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[آل عمران: ١٢١].

«ولا بد لكل قائد حربي من وضع خطة استراتيجية للمعركة التي يخوضها مع الأعداء، ولا بد من تنظيم صفوف المقاتلين وترتيب مواقعهم وإنزالهم في أماكن معينة يتم من خلالها لقاء المحاربين، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بوصفه قائد الحرب في معركة أحد، كما أشارت الآية: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾»[1].

وجاءت الآية الأخرى تبين الضعف في تنفيذ هذه الخطة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ

١ انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي (٤/ ٧٦).

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾ [آل عمران: ١٥٢، ١٥٣].

وفي الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرَّجَّالة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلًا عبد الله بن جبير، فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتين الناس، فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلًا، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا[١].

«ولا بد للبشر في كل أمورهم من اتخاذ الأسباب والقيام بواجباتهم المعتادة سواء في حال السلم أو في حال الحرب والقتال، ومنها إعداد القوة وتعبئة الجيش وتنظيم المقاتلين.

ومن اتخاذ الأسباب المطلوبة في الظاهر والفعل: إطاعة أوامر الله والقائد، فقد انتصر المسلمون في بدر، وأمدَّهم الله تعالى بالملائكة فعلًا، وشاركوهم في القتال، لما صبروا وثبتوا واتقوا وأطاعوا الله سبحانه، وهُزموا في أحد لما خالفوا أوامر النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا مواقعهم في جبل الرماة، وهذا دليل واضح على أثر التقوى والصبر في غزوتي بدر وأحد، كما أن لهما أثرًا في التعامل مع الأعداء، فإن يصبروا ويتقوا لا يضرهم كيدهم شيئًا، كما في الآية[٢].

ولقد كان العصيان وحب الدنيا مبررين كافيين لفشل الخطة التي رسمها النبي عليه الصلاة والسلام في بداية المعركة، وقد انتهى المطاف لصالح خطة خالد بن الوليد آنذاك، وقُتل فيها بقية الرماة.

١ أخرجه البخاري، (٣٠٣٩).

٢ انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٤/٧٥، ٧٦).

الصورة الثانية: إدارة النبي يوسف عليه السلام للأزمة الاقتصادية في مصر:



بعد أن فسَّر يوسف عليه السلام الرؤيا، وأمرهم باتخاذ التدابير اللازمة طلب من عزيز مصر أن يجعله على خزائن الأرض ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

قال القرطبي: (قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للميرة، وذاع أمر يوسف عليه السلام في الآفاق، للينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته، وكان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه، فيعطيهم من الطعام على عدد رؤوسهم، لكل رأس وسقًا)[١].

وقد وصفت الآيات الكريمة يوسف عليه السلام بالصفات التي إذا توافرت في شخص فإنه يكون جديرًا بتأهيله للقيام برسم الخطط وتنفيذها؛ فقد وصفته الآيات بأنه ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقد ذكرت الآيات أيضًا قوة الذاكرة التي يتمتع بها يوسف عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، وكذا الذكاء والنباهة كما في قوله: ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٠].

١ الجامع لأحكام القرآن، (١١/ ٣٩١).

وغيرها من المؤهلات والصفات التي تمكِّن صاحبها من تولي المسئوليات ورسم الخطط وتنفيذها.

وبالنظر في أهم المواصفات الواجب توافرها في القائمين بالمهام والأعمال نجد أن القوة والأمانة هما أبرزها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وتختلف طبيعة القوة باختلاف المواقع الإدارية، والأمانة تعني الشعور بالمسئولية والقيام بها خير قيام؛ حيث إن العائق الأول في تنفيذ الخطط هي أن تكون القدرات ومهارات مناسبة لنوعية المهام.

وفي المؤسسات المعاصرة إذا أريد إنجاح خطة بعد اعتمادها فإنه يجب حصر كل العوائق التي تحول دون نجاح هذه الخطة من حيث المهارات والهيكل التنظيمي ووضوح الخطة وعدمه بالنسبة للمنفذين ونحو ذلك.

* صور من الاستشراف المستقبلي في رسالات الأنبياء:

-ولقد عرض القرآن الكريم صورًا للاستشراف المستقبلي تدل على اهتمام القرآن به في بيان رسالات الأنبياء إلى قومهم.

أ-ملمح الاستشراف المستقبلي في قصة نوح عليه السلام:

ففي قصة نوح عليه السلام نلحظ ملمح الاستشراف المستقبلي لأعمال قومه بواسطة قِيَمهم وطباعهم؛ فلقد مكث نوح عليه السلام يدعو قومه -كما وردت بذلك الآيات- ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولم يؤمن بدعوته إلا قليل، فبعد أن توارثت الأجيال الطباع والكفر دعا نوح ربه تعالى بقوله: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

قال القاسمي: «وإنما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم، بعدما جرَّبهم، واستقرأ أحوالهم قريبًا من ألف سنة»[١].

ب-ملمح الاستشراف المستقبلي في قصة يوسف عليه السلام:

وفي قصة يوسف عليه السلام نلحظ ملمح الاستشراف الاقتصادي بواسطة قانون السببية، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ

١ محاسن التأويل، القاسمي، (٩/٣٢٧).

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [يوسف: ٤٧، ٤٨].

فنحن هنا أمام طريقة من طرق الاستشراف المستقبلي بقانون السببية والاستقراء، والذي يعني أن الاستفادة من الزرع المحصود بعد انتهاء السنوات السبع السمان لن يتأتى إلا بإبقائه في سنبله؛ حيث يعد إخراجه منها هلاكًا له، وقد أثبت العلم الحديث أن القمح إذا خُزّن في سنابله فتلك حماية ووقاية له من السوس.

فقد أشارت الآيات الكريمة إلى أهمية إعمال قانون السببية في تقدير مآلات الأمور.

وقصة يوسف عليه السلام دليل واضح على بناء الخطط طويلة الأجل كأهم أسس النجاح في إدارة وتدبير الأمور، وخاصة موارد الدولة الاقتصادية.

ج-ملمح الاستشراف المستقبلي في قصة موسى عليه السلام:

يقول الله تعالى عن موسى عليه السلام في بيان دعوة فرعون: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٤-٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٣-١٩].

لقد أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون الذي طغى وادعى الألوهية؛ وذلك حتى يدعوه إلى الإيمان بالله تعالى ويمنع طغيانه واستعباده لبني إسرائيل، فكان رده عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترئ به على خطاب فرعون ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾ يقول: وسهّل عليَّ القيام بما تكلفني من الرسالة، وتحملني من الطاعة ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ يقول: وأطلق لساني بالمنطق ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ يقول: واجعل لي عونًا من أهل بيتي ﴿هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ يقول: اشدد به أمري، وقوّني به، فإن لي به قوة[1].

فقد قام موسى عليه السلام بطلب الإعانة من الله لتبليغ الرسالة.

١ انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، (١٨/٢٩٩-٣٠١).

وقد أشارت الآيات الكريمات إلى أهمية استشراف ردود الأفعال من قِبَل الآخرين، والمحت إلى أهمية سد الثغرات التي يُتوقع ولوج الخصم منها؛ فعند التأمل فيما قاله موسى عليه السلام نجد أنه حكى عن عوائق أمام تنفيذ مهمة أو خطة البلاغ فأوضح عن خطر يتوقع صدوره من فرعون وهو خوفه من أن يقتادوا للرجل الذي قتله موسى، وذكر عائقًا ذاتيًا وهو عقدة لسانه وضعف منطقه –مقابل فصاحة أخيه هارون- والتي قد تعيق فقه فرعون وقومه لحديثه، وسأل تقويته وشد أزره بأخيه هارون.

وقد استجاب الله تعالى لطلبه فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وتتضح المهارة الحوارية من موسى عليه السلام بعدما حل الله عقدة لسانه، فعندما سأله فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقد أجاب موسى عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] أي: وما أحسنت إلي وربيتني إلا وقد أسأت إلى بني إسرائيل قومي، فجعلتهم عبيدًا وخدمًا، يقومون في أعمالك وأعمال رعيتك الشاقة، فهل الإحسان إلى رجل واحد منهم له قيمة بالنظر إلى الإساءة إلى مجموعهم؟ فليس ما ذكرتَه شيئًا بالنسبة إلى ما فعلتَ بهم[١].

وأما بخصوص الذنب الذي اقترفه موسى عليه السلام فقد أجاب عنه عليه السلام بقوله: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

أي قال موسى لفرعون: فعلتُ تلك الفعلة السيئة -وهي قتل القبطي في تلك الحال- وأنا من المخطئين لا المتعمدين قبل أن يوحى إلي وينعم الله علي بالرسالة والنبوة، كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل، أو: وأنا من الجاهلين بأن ضربتي تؤدي إلى القتل، فإني تعمدت الوكز دفاعًا وتأديبًا، فأدى ذلك إلى القتل، أي إن القتل الذي تعاتبني عليه لم يكن مقصودًا مني[٢].

ويتأكد من هذه الآيات الكريمة أهمية التأهيل التربوي والمهاري للمكلفين بتنفيذ البلاغ الدعوي بوجه خاص، أو تنفيذ الخطط وإسناد المهام للأكفاء من الناس، والعمل على تدريب وتطوير الضعفاء وذوي الخبرة القليلة قبل إسناد الأعمال إليهم في المستقبل حتى لا يكون مصيرها الفشل.

١ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (١٣٣/١٩).

٢ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٣٢/١٩).

المبحث الثاني

تأصيل استشراف المستقبل في السنة النبوية

لقد ندبت السنة النبوية المطهرة إلى استشراف المستقبل، ورغَّبت في التخطيط المستقبلي، وأكدت دوره في صنع القرار، وتطوير مجالات الحياة المختلفة، وكان لنظرة النبي صلى الله عليه وسلم المستقبلية وإعداد العدة لكثير من الأحداث أثر كبير في تطور الدولة الإسلامية، ولم يكن ازدهار الحضارة الإسلامية إلا أثرًا لاستشراف المستقبل في العهد النبوي.

نماذج من استشراف النبي للمستقبل:

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم دائم النظر إلى المستقبل حتى في أحلك المواقف وأكثرها حرجًا؛ فها هو يقول لخباب بن الأرت لما شكا له الشدة التي أصابت الصحابة في العهد المكي: «والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[١].

ومن أبرز الأحاديث النبوية الداعية إلى التخطيط للمستقبل حديث أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»[٢].

فالناظر في هذا الحديث يتساءل: إذا غرست هذه الفسيلة وقامت الساعة ومات الناس جميعًا فمن سيستفيد منها؟ ويبدو جليًّا أن الرسول يريد أن يعلِّم أمته درسًا، وهو أننا علينا العمل وبذل الجهد ولسنا علينا تحصيل النتائج.



١ أخرجه البخاري، (٣٦١٢).
٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٩٠٢)، (١٢٩٨١).

ومن خلال هذا الحديث يتضح أن الرسول يدعو أمته إلى التخطيط للأعمال المستقبلية، حتى لو شعروا بدنو القيامة أو بالقيامة نفسها، على الرغم من أن فسيلة النخل لا تثمر إلا بعد سنين.

إن الحديث يشير بوضوح إلى التخطيط الدقيق لمستقبل الأمة، والتطلع إلى الأجيال القادمة؛ فالذي يغرس قد لا يأكل من غرسه، ولكن ذلك من باب «غرس غيرنا فأكلنا، ونحن نغرس ليأكل غيرنا».

ولا شك أن السنة النبوية ميدانها واسع فيجد كل صاحب بغية فيها مبتغاه، والنماذج الدالة على استشراف المستقبل كثيرة لا تحصى، سنقتصر منها على ما يأتي:

استشراف المستقبل التشريعي: التخفيف في الصلاة: فعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل في حجرته، وجدار الحجرة قصير فرأى الناس شخصَ النبي صلى الله عليه وسلم فقام أناس يصلون بصلاته فأصبحوا فتحدثوا بذلك، فقام الليلة الثانية فقام معه أناس يصلون بصلاته، صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثًا حتى إذا كان بعد ذلك جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج، فلما أصبح ذكر ذلك الناس فقال: «إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل»[١].

قال ابن حجر: (إن الرسول صلى الله عليه وسلم توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها)[٢].

استشراف المستقبل السياسي: عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول: الموت، قال صلى الله عليه وسلم: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر»[٣].

يقول الإمام النووي: (فليس فيه نص على خلافته وأمرها، بل هو إخبار بالغيب الذي أعلمه الله تعالى به والله أعلم)[٤].

استشراف المستقبل الدعوي: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية» قالوا: يا رسول الله،

١ أخرجه البخاري، (٧٢٩).

٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر (٣/١٣).

٣ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٣٦٥٩)، ومسلم، (٢٣٨٦).

٤ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (١٥/١٥٥).

كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»[١].

فهذا استشراف منه صلى الله عليه وسلم لمستقبل هذا الفعل ونظر في مآله. ولقد أحسن القاضي عياض في بيان هذا الاستشراف النبوي حين قال: (فيه ترك تغيير بعض الأمور التي يجب تغييرها، مخافة أن يؤدى تغييرها إلى أكثر منها)[٢].

فبالتأمل في هذا النص النبوي الكريم نجد أن من الأمور التي تجب مراعاتها في استشراف المستقبل هو اعتبار المسبَّبات عند فعل الأسباب، وهذا ما قرره الإمام الشاطبي حين قال: (فإن الأعمال -إذا تأملتها- مقدمات لنتائج المصالح، فإنها أسباب لمسببات هي مقصودة للشارع، والمسببات هي مآلات الأسباب، فاعتبارها في جريان الأسباب مطلوب، وهو معنى النظر في المآلات)[٣].

ومما يؤكد على اهتمام الشريعة الإسلامية باستشراف المستقبل أنها ألزمت المفتي بمعرفة مآلات الفتوى وذرائعها المفضية إليها، فإن مما يتعين على من يتصدر للإفتاء أنه حين يقوم بتنزيل الحكم على الواقعة فإنه لا بُدَّ له من إمعان النظر في هذه الواقعة بأن يلتفت إلى عواقب ومآلات ما يقرره، بأن يحافظ على مقاصد الأحكام المقررة، المتفق على أن الأحكام شرعت لتحقيقها، والتي تقررها النصوص الشرعية عمومًا، وإلا جانبت فتواه الصواب؛ لأن النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة. يقول الإمام ابن القيم: (فالحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات، ودلائل الحال، ومعرفة شواهده، وفي القرائن الحالية والمقالية، كفقهه في جزئيات وكليات الأحكام - أضاع حقوقًا كثيرة على أصحابها، وحكم بما يعلم الناس بطلانه، لا يشكون فيه اعتمادًا منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرائن أحواله)[٤].

استشراف المستقبل المعيشي: لتدبير حياة الأسرة وتلبية مطالبها: فعن عمر رضي الله عنه: «أن

١ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٤٩٠٥)، ومسلم، (٢٥٨٤).

٢ إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (٥٤/٨).

٣ الموافقات، (١٧٨/٥).

٤ الطرق الحكمية، للإمام ابن قيم الجوزية (ص٤).

النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم»[١].

قال الإمام ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: في الحديث جواز الادخار للأهل قوت سنة. وفي السياق ما يؤخذ منه الجمع بينه وبين حديث «كان لا يدخر شيئًا لغد»، فيحمل على الادخار لنفسه، وحديث الباب على الادخار لغيره ولو كان له في ذلك مشاركة، لكن المعنى أنهم المقصد بالادخار دونه حتى لو لم يوجدوا لم يدخر)[٢].

«وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن ندخر لأسرنا، وفيه تنبيه على الادخار لما هو أكبر منها كالشعب أو الأمة؛ لهذا ينبغي للدولة المسلمة أن تكون لها سياسة مدروسة للادخار المستقبلي في جميع المجالات، خاصة تلك التي تتعلق بالنواحي الاستراتيجية في حياة الأمة، أو ما يطلق عليه: الأمن الغذائي والأمن الدفاعي والأمن السكاني.. إلخ»[٣].

-ويرتبط بذلك استشراف مستقبل الأبناء من أجل تلبية مطالب حياتهم، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة، وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، قال: «يرحم الله ابن عفراء»، قلت: يا رسول الله، أوصي بمالي كله؟ قال: «لا»، قلت: فالشطر، قال: «لا»، قلت: الثلث، قال: «فالثلث، والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»[٤].

وفي ذلك إشارة للأمة للعمل والتخطيط من أجل الأجيال القادمة؛ فتشريعاته صلى الله عليه وسلم ليست لزمن واحد بل لكل الأزمان.

---

١ أخرجه البخاري، (٥٣٥٧).

٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٥٠٣).

٣ استشراف المستقبل في الحديث النبوي، للدكتور إلياس بلكا، (ص١٢٩، ١٣٠).

٤ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٢٧٤٢)، ومسلم، (١٦٢٨).

المبحث الثالث

نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية الشريفة

التخطيط للمستقبل من بعد الهجرة إلى قُبيل غزوة بدر:



لقد أولى النبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة بالتخطيط للمستقبل لدرجة جعلته يتفوق على واضعي الخطط والإستراتيجيات الذين جاءوا من بعده.

فقد حفلت السنتان الأوليان من الهجرة بجملة من الأعمال تنبئ عن بصيرة ورؤية ثاقبة للرسول في التنظيم الاجتماعي والتخطيط العسكري المبنيان على نظر مستقبلي.

ويمكن تلخيص هذه الأعمال فيما يأتي:

1-تأمين الجبهة الداخلية:

لقد كان أول ما عمد إليه النبي بعد الهجرة هو أن وحَّد صف الأنصار من الأوس والخزرج، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدة بين المسلمين واليهود والمشركين في المدينة، وقد أدى ذلك إلى تماسك الجبهة الداخلية للمدينة، وتمكينها من صد أي هجوم يستهدف المدينة.

2-دراسة مسرح العمليات:

كانت الغارات شكلًا للقتال قبل الإسلام، وهي محدودة منحصرة في أرض العدو، ولقد تغيَّر شكل الصراعات بعد الهجرة النبوية، فقد اتسع مسرح عمليات المسلمين فشمل الجزيرة العربية كلها، وقد بدأ الرسول في دراسة هذا المسرح مبكرًا ففي غضون عشرة أشهر قاد بنفسه -قبل معركة بدر الكبرى- أربع غزوات، وبعثَ أربع سرايا، جرى فيها تغطية الطرق المؤدية إلى المدينة.

التخطيط للمستقبل من بعد الهجرة إلى قُبيل غزوة بدر:

لقد أولى النبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة بالتخطيط للمستقبل لدرجة جعلته يتفوق على واضعي الخطط والإستراتيجيات الذين جاءوا من بعده.

فقد حفلت السنتان الأوليان من الهجرة بجملة من الأعمال تنبئ عن بصيرة ورؤية ثاقبة للرسول في التنظيم الاجتماعي والتخطيط العسكري المبنيان على نظر مستقبلي.

ويمكن تلخيص هذه الأعمال فيما يأتي:

1-تأمين الجبهة الداخلية:

لقد كان أول ما عمد إليه النبي بعد الهجرة هو أن وحَّد صف الأنصار من الأوس والخزرج، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدة بين المسلمين واليهود والمشركين في المدينة، وقد أدى ذلك إلى تماسك الجبهة الداخلية للمدينة، وتمكينها من صد أي هجوم يستهدف المدينة.

2-دراسة مسرح العمليات:

كانت الغارات شكلًا للقتال قبل الإسلام، وهي محدودة منحصرة في أرض العدو، ولقد تغيَّر شكل الصراعات بعد الهجرة النبوية، فقد اتسع مسرح عمليات المسلمين فشمل الجزيرة العربية كلها، وقد بدأ الرسول في دراسة هذا المسرح مبكرًا ففي غضون عشرة أشهر قاد بنفسه -قبل معركة بدر الكبرى- أربع غزوات، وبعثَ أربع سرايا، جرى فيها تغطية الطرق المؤدية إلى المدينة.

3-معاهدة القبائل المجاورة:

أدت معاهدة النبي لعدد من القبائل المجاورة إلى نتائج إستراتيجية منها كفالة حرية المسلم في نشر الدعوة، وحرمان قريش من الحصول على معاونة هذه القبائل، وتحييد القبائل التي بينها وبين قريش موادعة.

4-إضعاف قوة العدو الاقتصادية:

سعى الرسول إلى تهديد تجارة قريش، ونجح في ضرب حصار اقتصادي عليها، بحرمانها من طريق (مكة-الشام) وطريق (مكة-العراق).

٥-الاحتكاك المباشر بالعدو:

فقد تحقق للمسلمين قبل معركة بدر قدر من الاحتكاك المباشر لا يصل إلى حد نشوب القتال، ولكنه ينمي في المسلمين ثقتهم في قدرتهم على الدفاع عن عقيدتهم وأنفسهم عند الحاجة، وهو ما يطلق عليه في العلوم العسكرية (تطعيم المقاتلين ضد شدائد المعركة)، وهكذا كان المسلمون قادرين على مواجهة المشركين في بدر[1].

-الأساليب المستقبلية المستخدمة في غزوة بدر الكبرى:

استخدم صلى الله عليه وسلم لخوض معركة بدر جملة من الأساليب المستقبلية، وقد تعددت هذه الأساليب نظرًا لأن هذه المعركة أول لقاء للمؤمنين مع الباطل، فكان لا بد من الإعداد الجيد والتهيئة المناسبة، لا سيما مع تفوق العدو في العدد والعدة.

وأبرز هذه الأساليب ما يأتي:

١. إشراك الجميع بالرأي والتخطيط لمستقبل المعركة.

٢. إخباره صلى الله عليه وسلم بوعد الله له بإحدى الطائفتين: قافلة أبي سفيان ومن معه، وجيش مكة الذي خرج لحماية القافلة.

٣. تبشيره صلى الله عليه وسلم بقتال الملائكة معهم.

٤. تحديده صلى الله عليه وسلم في ساحة المعركة لمواضع مصارع أفراد العدو.

٥. مخاطبته صلى الله عليه وسلم من معه بحديث الواثق من النصر، حيث قال: «هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها». ولهذا أثره في زيادة الشجاعة والإقدام على القتال.

٦. رَمْي الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء، وهذه معجزة نبوية، تدل على نصر المؤمنين.

٧. إلحاحه صلى الله عليه وسلم بالدعاء بالنصر، فقد جعل صلى الله عليه وسلم يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٤١٩، ٤٢٠).

بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»[١].

وقد أسهمت تلك الأساليب -بعد توفيق الله تعالى وعنايته- في صناعة مستقبل المعركة[٢].

-عناية الرسول بالإحصاء والعد كوسيلة في استشراف المستقبل:

يعد الإحصاء من الأمور الرئيسة في الدراسات المستقبلية، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عناية بهذا الجانب في بعض غزواته؛ ففي بداية الإسلام بمكة كان عدد المسلمين ثمانية وثلاثين رجلًا، وألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور بدينهم، فقال: «يا أبا بكر إنا قليل»[٣].

وفي المدينة طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُحصَى عدد المسلمين، فعن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس»، فكتبنا له ألفًا وخمس مائة رجل، فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمس مائة، فلقد رأيتُنا ابتُلينا، حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف[٤].

فهذا الحديث من الأدلة القوية في مشروعية الدراسات المستقبلية؛ فالنبي يريد أن يعرف عدد المسلمين ليستشرف مدى قدرتهم على مواجهة عدوهم؛ فيبني الخطة المناسبة وفقًا للاستشراف المستند على نتيجة الإحصاء.

قال الإمام ابن حجر في سبب طلب الإحصاء: «وكأن ذلك وقع عند ترقب ما يخاف منه ولعله كان عند خروجهم إلى أحد أو غيرها[٥]»[٦].

-استشراف النبي للمستقبل في غزوة الأحزاب:

في السنة الخامسة للهجرة جاء الأحزاب لغزو المدينة، وقد استفاد الرسول والصحابة مما أصابهم من خسائر في غزوة أحد، لذلك كان الرأي عدم الخروج خارج المدينة لقتال الأحزاب؛ فأشار النبي بحفر خندق حول المدينة آخذًا برأي سلمان الفارسي، وأثناء حفر الخندق اعترضت صخرة عمل

١ أخرجه مسلم، (١٧٦٣).

٢ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٤٢١، ٤٢٢).

٣ انظر: السيرة النبوية، ابن كثير (٤٣٩/١).

٤ أخرجه البخاري، (٣٠٦٠).

٥ فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٧٨/٦).

٦ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٤٢٢، ٤٢٣).

الصحابة في حفر الخندق، فضربها سلمان بالمعول عدة مرات ولم يقدر عليها فضربها الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث ضربات، وقد وعد أصحابه بفتح الشام وفارس واليمن.



فعن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق، لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عوف: وأحسبه قال: وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المعول فقال: "بسم الله" فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: "الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا". ثم قال: "بسم الله" وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال: "الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا" ثم قال: "بسم الله" وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: "الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»[1].

لقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه أهدافًا جليلة بعيدة المدى، ثم استحث النفوس الحية والهمم العالية للوصول إليها دون أن تصاب بالإحباط أو اليأس لعارض طارئ من العوارض القريبة، فهي دعوة لتوسيع الأفق وتعميق النظر والانطلاق إلى تلك الرحاب الواسعة

١ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٦٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٨٢٠).

لاستشراف آفاق المستقبل غير المنظور، ومن ثم السعي الحثيث لاستثمار الحاضر بكل إمكاناته لبناء المستقبل وترسيخه وإزالة عوائقه ومشكلاته.

وقد تحققت بشارة النبي صلى الله عليه وسلم عند اتساع الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذه الواقعة تدل على المعاني الآتية:

١-الشعور بالمسئولية وتشجيع العمل الجماعي.

٢-معالجة الأزمات.

٣-النظرة الإيجابية في المواضع الحرجة.

٤-أثر التحفيز في مواصلة المسيرة(١).

-استشراف النبي للمستقبل في صلح الحديبية:

خرج النبي في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة معتمرًا، وكان معه –كما جاء في الصحيحين- خمسمئة وألف رجل، ولم يخرج لقتال أحد، فما دنا النبي من مكة علم أن أهلها مانعوه من دخولها، ومقاتلوه إن أراد ذلك؛ فنزل بالحديبية قرب مكة، ودارت مفاوضات بينه وبين قريش انتهت إلى الصلح، وكان من أهم بنوده ما يلي:

١-أن من جاء من المسلمين إلى الكفار لا يردُّونه إليهم.

٢-أن من جاء من الكفار إلى المسلمين ردوه إليهم، وإن كان مسلمًا.

٣-أن يرجع هذا العام ويعتمر من العام المقبل، ويمكث بمكة ثلاثة أيام فقط.

٤-وضع الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس.

وقد أثار الشرطان الأولان حمية المسلمين، واستبعدوا موافقة الرسول عليهما، فقالوا: يا رسول الله! أنكتب هذا؟ قال: «نعم. إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا».

---

١ انظر: نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية، للدكتور حاتم فزع شنيتر، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب بالجامعة العراقية، العدد الخامس، ٢٠١١م، ص٤٠٢-٤٠٤.

وكان من أشد الصحابة معارضة لهذا الصلح عمر بن الخطاب صاحب النظر المستقبلي، لكن شاء الله تعالى أن يتغلب النظر المستقبلي للنبي صلى الله عليه وسلم على نظرة عمر ومن كان على رأيه.

والذي يظهر أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم خلال مجريات الصلح كانت اجتهادًا منه لا بالوحي.

وكان هذا الصلح في ظاهره ضيمًا وهضمًا للمسلمين، وفي باطنه عزًّا ونصرًا، وكان الرسول ينظر إلى ما وراءه من الفتح والنصر والعز، وكان يعطي المشركين كل ما سألوه من الشروط التي لم يحتملها كثير من أصحابه، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب، فكان واثقًا من نصر الله له، وأن العاقبة له، وأن تلك الشروط واحتمالها هو عين النُّصرة.

ولما رجع النبي إلى المدينة نزلت سورة «الفتح» فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: «نعم»[١].

وكان «فتح مكة» بعد عقد الصلح بعامين اثنين، ظهر فيهما تفسير ﴿فتحًا مبينًا﴾ واقعًا مشاهدًا؛ فقد كان عدد المسلمين في عمرة الحديبية خمسمئة وألف رجل، بينما خرجوا -كما يقول ابن إسحاق- لفتح مكة وعددهم عشرة آلاف.

فكان هذا الصلح مقدمة للفتح الأعظم «فتح مكة»، وقد ظهر من كان مختفيًا بالإسلام، وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما.

وقد اعترفت قريش رسميًّا بأن النبي وأصحابه أصبح لهم دولة لها خطرها.

وقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصلح أن يتحرك بحرية باتجاه الشمال ففتح خيبر، وما كان له -بمقياس العلوم العسكرية- أن يقابل عشرة آلاف من اليهود، على بُعد خمسة أيام من المدينة إلا بعد أن أَمِنَ بالصلح جانب أعظم خصومه؛ فتوجه إلى خيبر دون أن يترك قوة في المدينة، واستطاع كذلك مد المواجهة إلى أرض الروم، فأرسل جيشًا بقيادة خالد بن الوليد، وتمكن صلى الله عليه وسلم من توسيع دائرة الدعوة إلى خارج الجزيرة العربية فراسل عددًا من الملوك ووجَّه إليهم الدعاة.

١ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٣١٨٢)، ومسلم، (١٧٨٥).

ولذلك كانت مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه؛ ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما.

ولقد لفت القرآن نظر الذين لم يدركوا الحكمة من هذا الصلح فعارضوه إلى أن هذا الذي كرهوه له مكاسب عظيمة وأنه انتصار للجماعة الإسلامية فقال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

وهذه الحادثة تصعِّب مهمة الدراسات المستقبلية؛ فإذا كان الصحابة أهل البصيرة وأصحاب الفراسة وقعت منهم معارضة شديدة لعقد الصلح، وكان المباشر له الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف بالمختصين في الدراسات المستقبلية وهم من سائر الناس، هل سيكون لآرائهم قبول؟ أم ستلقى معارضة ورفضًا؟

وفي هذا درس للمسلمين أن يستشرفوا دائمًا أبعاد معركتهم، وأن يتفهموا الآراء المطروحة أمامهم، وألا يتعجلوا في الحكم على تصرفات القادة المسئولين[١].

-استشراف النبي للمستقبل في معركة مؤتة:

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يثأر لمقتل الحارث بن عمير الأسدي الذي قتله شرحبيل بن عمر الغساني عامل الروم على البلقاء من أرض الشام، والذي بعثه النبي إلى عظيم بصرى؛ فجهز جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة»[٢].

ويقول ابن كثير: وجاء النعمان بن فُنْحُص اليهودي فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس، فقال رسول الله: "زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قُتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن قُتل عبد الله بن رواحة فليرتضِ المسلمون بينهم رجلًا فليجعلوه عليهم".

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٤٢٤-٤٢٧).

٢ أخرجه البخاري، (٤٢٦١).

فقال النعمان: أبا القاسم، إن كنت نبيًّا فلو سمَّيت من سميت قليلًا أو كثيرًا أصيبوا جميعًا، إن الأنبياء من بني إسرائيل كانوا إذا سمَّوا الرجل على القوم فقالوا: إن أصيب فلان ففلان، فلو سموا مائة أصيبوا جميعًا، ثم جعل اليهودي يقول لزيد: اعْهَدْ فإنك لا ترجع أبدًا إن كان محمد نبيًّا. فقال زيد: أشهد أنه نبي صادق بار[١].

وتحرك الجيش الإسلامي ليحقق ما استشرفه الرسول، ونزل «معان» بأرض الشام، وحينئذ وردت الأخبار بأن هرقل إمبراطور الروم توجه بمئتي ألف من الروم والعرب لملاقاة المسلمين، وحار المسلمون أمام هذا العدد الكبير، وأرادوا التريث حتى يطلبوا من الرسول المدد، ولكن عبد الله بن رواحة شجع الناس على القتال وذكَّرهم بأنهم لا يقاتلون بعدد ولا عدة، وإنما يقاتلون بهذا الدين.

والتقى الفريقان في مؤتة، وقد تحققت قراءة المستقبل لهذه المعركة، فقد أخذ الراية زيد بن حارثة فلم يزل يقاتل حتى قُتل، ثم أخذ الراية جعفر ولما أرهقه القتال نزل عن فرسه وعقرها ثم قاتل حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله، ولم يزل يقاتل حتى قطعت شماله فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا لها حتى قُتل، ولما قُتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قُتل.

وبعد مقتل القادة الثلاثة اصطلح الناس على خالد بن الوليد فأخذ الراية وقاتل حتى انكسرت في يده تسعة أسياف.

ونجح خالد في الصمود أمام جيش الروم حتى المساء، وفي الصباح غيَّر خالد بن الوليد مواقع المقاتلين وتأخر حتى انحاز بالمسلمين عن الروم ثم رجعوا إلى المدينة.

وبناء على ما تقدم نجد أن استشراف الرسول للمستقبل حقق عدة معانٍ نذكر منها:

١. أنها ثبتت المسلمين معنويًّا وعسكريًّا، وأحبطت معنويات الروم برغم قلة عدد المسلمين وكثرة عدد الروم.

٢. أعطت فرصة للمسلمين لمعرفة حقيقة قوة الروم ومعرفة أساليبهم في القتال.

٣. أن التخطيط له أثر كبير في تثبيت المسلمين في المعركة[٢].

١ البداية والنهاية، ابن كثير (٦/٤١٢، ٤١٣).

٢ انظر: نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية، ص٤٠٣-٤٠٥.

الحكمة من إخبارات الرسول عما سيكون بعده من أحداث المستقبل:

والقول بأن ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم من أحداث المستقبل هو من قبيل الوحي المعصوم لا يقدح في تناول الحديث عن الاستشراف والتخطيط المستقبلي في ضوء السنة النبوية، وذلك لأن الوحي هو من أعظم وأرقى أساليب الاستشراف للمستقبل، مع الاعتراف بأن استعمال كلمتي الاستشراف والتخطيط بالنسبة للأخبار الغيبية فيه تجوز وتوسع، ولكن الذي يبرر استخدام هذه اللفظة هو أن نَحْمل ما ورد من الأخبار والأحداث الغيبية على أنه تعليم لنا لنستشرف المستقبل ونخطط له؛ استنادًا على فهم دقيق للسنن الكونية، ودراسة للماضي وفهم للحاضر.

فإذا ما أحسن المسلمون قراءة ما أخبربه النبي صلى الله عليه وسلم من أمور مستقبلية، وفهموا ماضيهم وحاضرهم والسنن الفاعلة فيهما استطاعوا أن يستشرفوا ويخططوا لمستقبلهم.

ومما يجدر الإشارة إليه أن إخبارات الرسول عما سيكون بعده من أحداث المستقبل من أحاديث الفتن والإخبار عن أشراط الساعة لا ينبغي أن تفهم على أنها إخبار عن مستقبليات فقط، بل إنها ترمي إلى تحقيق حكمة آنية، وهي التوجيه والتحذير للأمة من أسباب الفساد وعوامل الانحلال، ومن أن تقع فيما سيقع فيه الناس في آخر الزمان؛ فهو استشراف وتوجيه.

أما ما جاء من بشارات في الأحاديث النبوية فمن وظيفتها شحن الأمة بالأمل في فترات ضعفها وتقهقرها، وذلك لكي لا يستحوذ عليها اليأس فتنهزم نفسيًّا[١].

ولذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبر أمته بما سيقع فيها من التفرق والشيع، وركوب سنن أهل الكتاب في الإحداث والبدع، وبغير ذلك من أخبار الفتن الخاصة بهم والمشتركة بينهم وبين الأمم - إلا لأجل أن يكونوا على بصيرة في مقاومة ضرها واتقاء تفاقم شرها، لا لأجل أن يتعمدوا إثارة تلك الفتن والاصطلاء بنارها، والاقتراف لأوزارها، فمثله صلى الله عليه وسلم في ذلك كمثل الطبيب الذي يخبر المسافرين إلى أرض مجهولة لهم بما فيها من الأمراض؛ لأجل أن يبذلوا جهدهم في اتقاء وقوعها بهم، ثم في مداواة من يصاب بها منهم، لا لأجل أن يجعلوا أنفسهم عرضة لها بإتيان أسبابها، وتوطين النفس على الهلاك بترك التداوي منها. وقد كان أهل الصدر الأول يفهمون ذلك من النصوص، كما صرحت به عائشة في حديث لعن أهل الكتاب لاتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، فإنها عللته بقولها: يحذِّر ما صنعوا»[٢].

١ انظر: استشراف المستقبل في الحديث النبوي،(ص١٧٨، ١٧٩).

٢ تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٤١٦/٧).

ومن الأمثلة على ذلك: الدعوة إلى التخلص من أسباب الذل والهوان وتسلط الأعداء، كما في قوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[١].

قال الشوكاني: (وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه، وهو إنزال الذلة فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان)[٢].

وعن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»[٣].

قال الطيبي: (يريد أن حب البقاء في الدنيا وكراهية الموت يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين واحتمال الذل عن العدو)[٤].

وهذا الحديث وسابقه فيه استشراف للمستقبل، ووجه ذلك: أن الأمة يوم تكره الحياة الذليلة وتحب الموت في سبيل دينها والحفاظ على كرامتها، وتترك التعلق بالدنيا فإن أعداءها لن يستطيعوا أن يتمكنوا منها أو يتداعوا عليها، وإن فعلوا فلن ينالوا منها شيئًا، وليس المراد من الحديث توصيف الواقع والاستسلام للقدر.

ومن الأمثلة أيضًا: الدعوة إلى اجتماع الكلمة ونبذ أسباب الخلاف والفرقة، كما ورد في حديث عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «إنه ستكون هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان»[٥].

١ أخرجه أبو داود، (٣٤٦٢).
٢ نيل الأوطار، الشوكاني، (٥/٢٤٦).
٣ أخرجه أبو داود، (٤٢٩٧).
٤ شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن)، (١١/ ٣٣٩٤).
٥ أخرجه مسلم، (١٨٥٢).

ففي هذا الحديث دلالة على تعظيم أمر الجماعة ووحدة الصف، وعلى حرص الإسلام على أن يكون للمسلمين شوكة وقوة في دفع الأعداء، فإذا خرج شخص يريد تفريق شمل المسلمين فإن قتله أهون شرًّا من تفرق الأمة وذهاب بيضتها.

قال الإمام النووي: (قوله صلى الله عليه وسلم: «ستكون هنات وهنات»: الهنات جمع هنة، وتطلق على كل شيء، والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة... وفي الحديث الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك، وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدرًا)[١].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «إنه ستكون هَنَاتٌ وهَنَاتٌ» إخبار بأن ذلك سيقع، وهذا يستوجب من المسلمين الاستعداد له، من خلال جمع الكلمة، ونبذ أسباب الفرقة والخلاف.

١ انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٤١/١٢).

الفصل الثالث

أساليب استشراف المستقبل الممنوعة والمشروعة

(وفيه مبحثان):

١.أساليب استشراف المستقبل الممنوعة:

أ. الكهانة.

ب- التنجيم.

ج- الزجر والعيافة والطيرة.

د- الخط والرمل.

هـ- الاستقسام بالأزلام.

٢.أساليب استشراف المستقبل المشروعة:

أ. الوحي.

ب- الدعاء.

ج- الشورى.

د- المشاهد.

هـ- الرؤيا.

و- الفراسة والإلهام والكشف.

لقد جاءت أصول الشريعة الإسلامية بحصر دعوى علم الغيب المطلق في الله تعالى وحده؛ لذا فقد حرم الإسلام كثيرًا من الوسائل والأساليب التي عرفتها الحضارات القديمة واتبعها الأقدمون –ومنهم العرب- في التنبؤ بالمستقبل واستشرافه.

وفي المقابل جوَّز الشرع الحنيف الاستشراف الصحيح للمستقبل، وأباح الوسائل العلمية التي يمكن اتباعها في هذا الشأن، وبذلك منع الإسلام طاقة المسلمين من أن تُهدر في الخرافة والضلال، فلا غرو إذن أن يسبق المسلمون إلى اكتشاف المنهج التجريبي في العلوم، وأن يؤسسوا بعضًا منها لأول مرة كعلم الاجتماع وتفسير التاريخ والجغرافيا البشرية.

وفيما يلي نعرض استشراف المستقبل الممنوعة والمشروعة:

المبحث الأول

أساليب استشراف المستقبل الممنوعة



أ-الكهانة:



وقد عرَّفها الحافظ ابن حجر بقوله: (ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب. والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن)[١].

والكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب[٢].

والكاهن لفظ يطلق على العرَّاف، والذي يضرب بالحصى والمنجِّم.

أنواع الكهانة:

يقول الحافظ ابن حجر في بيان الأسباب التي تستند إليها الكهانة: (وهي على أصناف منها ما يتلقونه من الجن فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين وأرسلت عليهم الشهب فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدًّا كما جاء

١ فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢١٦).

٢ التعريفات (ص١٨٣).

في أخبار شق وسطيح ونحوهما، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جدًّا حتى كاد يضمحل. ثانيها: ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطَّلع عليه الإنسان غالبًا أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

ثالثها: ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر)[١].

وكانت الكهانة فاشية في الجاهلية لا سيما في العرب لانقطاع النبوة فيهم، ومن ينظر في أشعارهم وأخبارهم يجد أن من الناس من يعتقد أن للكاهن القدرة على كل شيء، وأنهم يستشيرونهم في كل أمورهم.

وهم موجودون إلى اليوم لكنهم قليل بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية.

أدلة تحريم الكهانة:

يتضح من مفهوم الكهانة أنها ادعاء علم الغيب، وقد نص عدد من الآيات القرآنية على أن علم الغيب من خصائصه سبحانه وتعالى التي لا يشاركه فيها أحد، نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. يقول الإمام ابن القيم: (لما كان المراد نفي علم الغيب عن كل من هو في واحدة من السماوات أتى بها مجموعة)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

١ فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢١٧).

٢ بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (١/ ١١٧).

كما جاءت جملة من الأحاديث النبوية تؤكد على أن الغيب من خصائصه تعالى، منها:

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية»، وذكرت اثنتين، ثم قالت: «ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل: ٦٥]»[٢].

وهذه الأدلة المذكورة لا تقتصر على تحريم الكهانة فقط، بل تتناول جميع الأساليب غير المشروعة في استكشاف المستقبل مما يأتي عرضه، وهذا يغني عن إعادة ذكرها عند الحديث عن الأساليب الممنوعة الأخرى.

أما الآيات التي نصت على الكهانة، فقد جاءت الدلالات فيها على ذم الكهانة، فقد نزَّه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون كاهنًا فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣].

وقال تعالى أيضًا: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

قال الفخر الرازي: (والمراد أنهم كانوا يقيسون حال النبي صلى الله عليه وسلم على حال سائر الكهنة، فكأنه قيل لهم: إن كان الأمر على ما ذكرتم فكما أن الغالب على سائر الكهنة الكذب فيجب أن يكون حال الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك أيضًا، فلما لم يظهر في إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن المغيبات إلا الصدق علمنا أن حاله بخلاف حال الكهنة)[٣].

١ أخرجه البخاري، (١٠٣٩).

٢ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٧٣٨٠)، ومسلم، (١٧٧).

٣ مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (٢٤/٥٣٧).

وكذلك جاءت الأحاديث في ذم الكهانة والنهي عنها، وفي تحريم إتيان الكهان وتصديقهم، كما حكم غير واحد من العلماء بكفر الكاهن وشركه، وذلك كما يأتي:

عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: قلت: يا رسول الله أمورًا كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان، قال: «فلا تأتوا الكهان» قال: قلت: كنا نتطير قال: «ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم»[١].

عن عائشة قالت: سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليسوا بشيء». قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحيانًا بالشيء يكون حقًّا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك الكلمة من الحق، يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[٣].

ويقول الإمام الشوكاني: (قوله: «فقد كفر» ظاهره أنه الكفر الحقيقي، وقيل: هو الكفر المجازي، وقيل: من اعتقد أن الكاهن والعراف يعرفان الغيب ويطلعان على الأسرار الإلهية كان كافرًا كفرًا حقيقيًّا كمن اعتقد تأثير الكواكب وإلا فلا)[٤].

وقال ابن العربي: (فأما من ادعى علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن الجُملية أو المفصَّلة فيما يكون قبل أن يكون، فلا ريبة في كفره)[٥].

١ أخرجه مسلم، (٥٣٧).

٢ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٦٢١٣)، ومسلم، (٢٢٢٨).

٣ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩٥٣٦)، والحاكم في مستدركه (١٥) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

٤ نيل الأوطار (٧/ ٢١٤).

٥ أحكام القرآن، للقاضي أبو بكر بن العربي (٢/ ٢٥٩).

ب-التنجيم:



هو الاستدلال بحركات الكواكب والنجوم وأوضاعها على حوادث الأرض ومستقبلها.

وهو نوعان:

١-تنجيم عام: يتعلق بمستقبل جماعة أو مدينة أو شعب أو حتى بمستقبل الإنسانية كلها.

٢-تنجيم خاص: يبحث عن مستقبل فرد معين وأحداث حياته المقبلة.

وهو فن قديم فاسد، ليس له أي أساس علمي، ولا تزال له إلى اليوم سطوة وشهرة[١].

ومن مظاهر انتشاره في العصر الحاضر: الأعمدة اليومية في الصحف في كثير من بلدان المسلمين التي تخبر بالطالع اليومي للناس، والمجلات المتخصصة في التنجيم، وما تنشره المكتبات في مطلع كل عام جديد مما قاله المنجمون من الحوادث التي يزعمون أنها ستقع في هذا العام، والبرامج المسموعة والمرئية في وسائل الإعلام، وقد صار للمنجمين منظمات وهيئات عالمية، وتُعقد لهم المؤتمرات واللقاءات السنوية.

ويستجيب لهؤلاء ضعفاء العقول والجهال ومن لا علم لهم بحقائق الإيمان[٢].

---

١ انظر: استشراف المستقبل في الحديث النبوي (ص٩٦).

٢ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٥٦٧).

أدلة تحريم التنجيم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وصناعة «التنجيم» التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل)[١].

وفي القرآن يمكن أن يستدل على تحريم التنجيم بالآيات التي جاءت في السحر؛ لأن التنجيم فرع من السحر، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

وأما السنة فقد ورد فيها بعض الأحاديث نذكر منها:

عن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[٢].

وعبد الله بن عباس، قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رُمي بمثل هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا» ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضًا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به،

١ مجموع الفتاوى، (١٩٢/٣٥).

٢ متفق عليه: أخرجه البخاري،(٨٤٦)، ومسلم، (٧١).

فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إني خاطبت المنجمين بدمشق وحضر عندي رؤساؤهم، وبينت فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها قال رئيس منهم: والله إنا نكذب مائة كذبة حتى نصدق في كلمة)[٢].

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اقتبس علمًا من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[٣].

ويعلق ابن تيمية على هذا الحديث بقوله: (فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن علم النجوم من السحر؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ وهكذا الواقع؛ فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة)[٤].

علم النجوم المباح:

لقد أبطل النبي صلى الله عليه وسلم التنجيم الخرافي بمعنى تأثير الأفلاك على حياة الناس، وأقر علم الفلك، وبذلك أنقذ العقل البشري من التخبط ووجَّهه إلى ما ينبغي أن يصرف اجتهاده إليه، وهذا التوجيه لم يعرفه الغرب إلا منذ قرون قليلة؛ لأن فن التنجيم عرقل تطور علم الفلك، وكان الفصل بينهما هو السبيل الوحيد لتتقدم المعرفة الكونية.

وقد أخذ المسلمون السابقون بهذا التوجيه النبوي فميزوا بين التنجيم بالمعنى الخرافي أو «علم التأثير»، وبين الفَلَك أو «علم التسيير».

ولهذا لما سئل الحافظ البغدادي عن النجوم وضع في ذلك رسالة صدَّرها بقوله: (إن علم النجوم يشتمل على ضربين: أحدهما مباح، وتعلمه فضيلة.

والآخر محظور، والنظر فيه مكروه.

فأما الضرب الأول: فهو العلم بأسماء الكواكب، ومناظرها، ومطالعها، ومساقطها، وسيرها، والاهتداء بها، وانتقال العرب عن مياهها لأوقاتها، وتخيرهم الأزمان لنتاج مواشيها، وضرابهم الفحول،

١ أخرجه مسلم، (٢٢٢٩).

٢ مجموع الفتاوى، (٣٥/١٧٢).

٣ أخرجه أبو داود، (٣٩٠٥).

٤ مجموع الفتاوى، (٣٥/١٩٣).

ومعرفتهم بالأمطار على اختلافها، واستدلالهم على محمودها ومذمومها، والتوصل إلى جهة القبلة بالنجوم، ومعرفة مواقيت الصلاة، وساعات الليل بظهورها وأفولها.

وقد جاء كثير من ذلك في كتاب الله عزوجل، وفي الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أخيار الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من العلماء الخالفين)[١]. ثم قال: (وأما الضرب الثاني، وهو المحظور، فهو ما يدعيه المنجمون من الأحكام)[٢].

قال الإمام الشوكاني: (قال ابن رسلان في شرح السنن: والمنهي عنه ما يدعيه أهل التنجيم من علم الحوادث والكوائن التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، ويزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، وهذا تعاطٍ لعلم استأثر الله بعلمه. قال: وأما علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي فغير داخل فيما نهي عنه»[٣].

ومما يروى في فضل علم الفلك عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله عزوجل»[٤]. أي: يترصدون دخول الأوقات بها لأجل ذكره تعالى من الأذان للصلاة ثم إقامتها، ولإيقاع الأوراد في أوقاتها الفاضلة[٥].

كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا طلع النجم ارتفعت العاهة عن كل بلد»[٦].

وفي لفظ آخر عن ابن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى تؤمن عليها العاهة. قيل: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا طلعت الثريا[٧].

وذكر المناوي أن ذلك في العشر الأواسط من أيار، فأنذاك يبدو صلاح الثمرة في الغالب، فعند ذلك ينبغي أن تباع الحبوب والثمار وتدخر[٨].

والمقصود أن هذا الحديث النبوي يبيح الاستفادة من الظواهر الطبيعية في السماء والتعويل عليها في شئون الناس على الأرض.

---

١ القول في علم النجوم، الخطيب البغدادي، (ص١٢٦).

٢ القول في علم النجوم (ص١٦٨).

٣ نيل الأوطار (٢١٦/٧).

٤ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٠٣)، والحاكم في المستدرك (١٦٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

٥ التيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرءوف المناوي (٣١٨/١، ٣١٩).

٦ أخرجه الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٢٨٢).

٧ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٦٩٠).

٨ انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرءوف المناوي (٣٩٨/١).

كما ورد في السنة ما يدل على قاعدة من قواعد التوقعات الجوية؛ فقد أورد الإمام مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غُدَيْقَة». ومعناه كما قال السيوطي: أنه إذا ظهرت سحابة من ناحية البحر، ثم أخذت اتجاه الشام فسيكون ماؤها مطرًا، أيامًا لا يقلع[١].

ولا يعارض ذلك ما جاء في الحديث السابق: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته. فذلك مؤمن بي، وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا. فذلك كافر بي، ومؤمن بالكوكب».

فقد وضَّح المازري المقصود من فقه هذا الحديث بقوله: «وأما من اعتقد أن لا خالق إلا الله سبحانه ولكن جعل في بعض الاتصالات من الكواكب دلالة على وقوع المطر من خلقه تعالى عادة جرت في ذلك، فلا يكفر بهذا إذا عبَّر عنه بعبارة لا يمنع الشرع منها، والظن بمن قال من العوام: هذا نوء الثريا ونوء الراعي، أنه إنما يريد هذا المعنى»[٢].

ج-الزجر والعيافة والطيرة:

الزجر والعيافة والطيرة تدور كلها حول التطير، فشيء قبله، وشيء بعده ناتج عنه؛ فالذي قبله: الزجر والعيافة، وهما بمعنى واحد، والذي بعده: الطيرة، وقد يقع التطير بلا زجر ولا عيافة، كرؤية مباشرة أو سماع.

والزجر في اللغة: يأتي بمعنى العيافة والتكهن. (وعفت الطير أعيفُها عِيافَةً، أي زجرتها، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها. والعائِفُ: المتكهّنُ)[٣].

(والعِيافة: هي زجر الطير والتفاؤل والاعتبار في ذلك بأسمائها، كما يُتفاءل بالعُقاب على العقاب، وبالغراب على الغربة، وبالهدهد على الهدى. والفرق بينهما وبين الطيرة أن الطيرة هي التشاؤم بها، وقد تستعمل في التشاؤم بغير الطير من حيوان وغيره. والطِّيَرة: هي التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطير طيرة وتخير خيرة، ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما)[٤].

١ انظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، لجلال الدين السيوطي (١/١٥٤).
٢ المُعْلم بفوائد مسلم، المازري، (١/٧٩).
٣ تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (عيف).
٤ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، (١٠/ ٢٨٦).

وعن معنى الطيرة يقول الإمام ابن حجر: (وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع. وكانوا يسمونه السانح والبارح؛ فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس، وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح)[١].

وما زال التطير والتشاؤم فاشيًا في الناس بصور وأحوال مختلفة: بأزمان وأشخاص وأماكن وغيرها، ومن الأمثلة المعاصرة تشاؤم بعضهم بالرقم (١٣).

الأدلة الواردة في التطير:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠، ١٣١].

وقال تعالى في تطير أهل القرية برسلهم، ورد رسلهم عليهم: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٨، ١٩].

وقال تعالى مبينًا أن الضر والنفع بيده وحده سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وورد في السنة قوله صلى الله عليه وسلم: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، ثلاثًا، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل»[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك»، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[٣].

ويوضح الإمام النووي معنى الشرك في الطيرة فيقول: (الطيرة شرك أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذ عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك؛ لأنهم جعلوا لها أثرًا في الفعل والإيجاد)[٤].

١ فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/٢١٢، ٢١٣).

٢ أخرجه أبو داود، (٣٩١٠)، والترمذي، (١٦١٤).

٣ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٠٤٥)، والطبراني في معجمه الكبير(٣٨).

٤ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ٢١٩).

ويقول الإمام ابن القيم: (المؤمن لا يتطير؛ فإن التطير شرك، ولا يصده ما سمع عن مقصده وحاجته، بل يتوكل على الله ويثق به، ويدفع شر التطير عنه بالتوكل)[١].

د-الخط والرَّمْل:

والخط هو الكتابة ونحوها مما يُخطُّ.

والرمل معروف.



والخط والرمل شيء واحد، ويطلق عليهما أحيانًا: الطَّرْق والضَّرْب.

وقد عرفه العلامة ابن عابدين بقوله: (الرَّمْل هو علم بضروب أشكال من الخطوط والنقط بقواعد معلومة تخرج حروفًا تُجمع، ويُستخرج جملة دالة على عواقب الأمور)[٢].

ويلاحظ على التعريف وصفه للرمل بأنه علم، وهو في الحقيقة محض تحكمات وأهواء لا تستند إلى أساس علمي.

وقد شرح العلامة ابن خلدون طبيعة خط الرمل فقال: (خط الرَّمْل نسبة إلى المادَّة التي يضعون فيها عملهم، ومحصول هذه الصناعة أنهم صيَّروا من النقط أشكالًا ذات أربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيهما، فكانت ستة عشر شكلًا ميَّزوها كلها بأسمائها وأنواعها إلى سعود ونحوس شأن الكواكب، وجعلوا لها ستة عشر بيتًا طبيعية بزعمهم، وكأنها البروج الاثنا عشر التي للفلك والأوتاد الأربعة. وجعلوا لكل شكل منها بيتًا وخطوطًا ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به، فإذا أرادوا استخراج مغيَّب بزعمهم عمدوا إلى قرطاس أو رمل أو دقيق فوضعوا النقط سطورًا على عدد المراتب الأربع ثم كرروا ذلك أربع مرات» وتمضي الطريقة إلى نهايتها «ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعودة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على أصناف الموجودات وسائر ذلك تحكمًا غريبًا»[٣].

١ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٦٠).

٢ رد المحتار على الدر المختار (١/ ٤٤).

٣ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (ص١٣٩-١٤١).

الأدلة الواردة فيه:

قال صلى الله عليه وسلم: «العيافة، والطيرة، والطرق من الجبت». قال: الطرق: الزجر، والعيافة: الخط[١].

قال المناوي: (والطرق: الضرب بالحصى، والخط بالرمل «من الجبت» أي من أعمال السحر، فكما أن السحر حرام فكذا هذه الأشياء أو مماثل عبادة الجبت في الحرمة)[٢].

وربما يدعي المشروعية من يحتج بما ورد عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالًا يأتون الكهان، قال: «فلا تأتهم» قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم -قال ابن الصباح: فلا يصدنكم-. قال: قلت: ومنا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»[٣].

قال في مرقاة المفاتيح: («كان نبي من الأنبياء يخط»، أي: فيُعرف بالفراسة بتوسط تلك الخطوط. قيل: هو إدريس أو دانيال عليهما الصلاة والسلام. «فمن وافق»: أي: فمن وافق فيما يخطه «خطَّه» أي: خطَّ ذلك النبي في الصورة والحالة، وهي قوة الخاط في الفراسة وكماله في العلم والعمل الموجبة لها «فذاك» أي: فذاك مصيب أو يصيب أو يعرف الحال بالفراسة كذاك النبي، وهو كالتعليق بالمحال. قال الخطابي: إنما قال عليه الصلاة والسلام: «من وافق خطه فذاك» على سبيل الزجر، ومعناه: لا يوافق خط أحد خط ذلك النبي؛ لأن خطه كان معجزة. قال ابن الملك: لأنهم ما كانوا صادفوا خط ذلك النبي حتى يُعرف الموافقة من المخالفة لأن خطه كان علمًا لنبوته، وقد انقضت، والشيء إذا علق بأمر ممتنع فهو ممتنع.

قال ابن حجر: ولم يصرح بالنهي عن الاشتغال بالخط لنسبته لبعض الأنبياء لئلا يتطرق الوهم إلى ما لا يليق بكمالهم، وإن كانت فروع الأحكام مختلفة باختلاف الشرائع، ومن ثم قال المحرمون لعلم الرمل -وهم أكثر العلماء: لا يستدل بهذا الحديث على إباحته لأنه علق الإذن فيه على موافقة خط ذلك النبي، وموافقته غير معلومة، إذ لا تُعلم إلا من تواتر أو نص منه عليه الصلاة والسلام، أو من أصحابه أن الأشكال التي لأهل علم الرمل كانت لذلك النبي، ولم يوجد ذلك فاتضح تحريمه)[٤].

وقد ذهب الإمام ابن حجر الهيتمي إلى التحريم فقال: (تعلم الرمل وتعليمه حرام شديد التحريم،

١ أخرجه أبو داود، (٣٩٠٧)، وأحمد في مسنده (١٥٩١٥).

٢ فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣٩٥/٤).

٣ أخرجه مسلم، (٥٣٧).

٤ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري (٦٤/٣).

وكذا فعله لما فيه من إيهام العوام أن فاعله يشارك الله في غيبه وما استأثر بمعرفته).

هـ-الاستقسام بالأزلام:

من طرق استشراف المستقبل المحرمة: الاستقسام بالأزلام.

والاستقسام في اللغة: طلب القَسْم؛ لأن السين والتاء تدلان على الطلب.

والأزلام في اللغة: (هي السهام التي كان أهلُ الجاهليَّة يستقسمون بها، والمفرد زَلَم وزُلَم، وهو القِدْحُ، والقدح: هو السهم قبل أن يُنصَّل ويُراش)[١]. أي هو السهم الذي لا ريش عليه ولم يركَّب فيه نصل .

والاستقسام بالأزلام في الاصطلاح: (طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح)[٢].

يقول الطبري: (وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفرًا أو غزوًا أو نحو ذلك، أَجال القداح، وهي «الأزلام»، وكانت قِداحًا مكتوبًا على بعضها «نهاني ربي»، وعلى بعضها «أمرني ربي»، فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه «أمرني ربي» مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك، وإن خرج الذي عليه مكتوب «نهاني ربي» كفَّ عن المضي لذلك وأمسك)[٣].

الأدلة الواردة في تحريمه:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾. [المائدة: ٣].

قال الإمام ابن كثير: «ذلكم فسق» أي تعاطيه فسق وغي وضلالة وجهالة وشرك[٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [المائدة: ٩٠]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم أَبَى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأُخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم، وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط».

١ انظر: معجم لسان العرب، مادة (زلم)، ومادة (قدح).

٢ تفسير مفاتيح الغيب (١١/ ٢٨٥).

٣ جامع البيان في تأويل آي القرآن (٩/ ٥١٠).

٤ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٣/ ٢٥).

فدخل البيت، فكبر في نواحيه، ولم يصلِّ فيه[١].

وقد علَّل الشيخ رشيد رضا تحريم الشريعة للاستقسام بالأزلام فقال: (لأنه من الخرافات والأوهام التي لا يركن إليها إلا من كان ضعيف العقل يفعل ما يفعل من غير بينة ولا بصيرة، ويترك ما يترك عن غير بينة ولا بصيرة، ويجعل نفسه ألعوبة للكهنة والسدنة، ويتفاءل ويتشاءم بما لا فأل فيه ولا شؤم، فلا غرو أن يبطل ذلك دين العقل والبصيرة والبرهان، كما أبطل التطير والكهانة والعيافة والعرافة وسائر خرافات الجاهلية، ولا يليق ذلك كله إلا بجهل الوثنية وأوهامها)[٢].

واستنادًا لهذه الحكمة علل العلماء تحريم أنواع أخرى فيها معنى الاستقسام وصورته فقال ابن تيمية: (فكل ما يحدثه الإنسان بحركة من تغيير شيء من الأجسام ليستخرج به علم ما يستقبله فهو من هذا الجنس)[٣].

ولهذا اعتبر الفقهاء أن استخراج الفأل من المصحف أو باستعمال حبات السبحة أو الاستقسام بورق اللعب الذي يقامرون به أحيانًا، أو أخذ الفأل بفصوص النرد وأمثاله من أدوات اللعب ونحو ذلك-من الاستقسام المحرم.

والأساليب الممنوعة لا تنحصر، وفي كل وقت تستجد طريقة جديدة.

ونخلص مما تقدم إلى أن الراعي والرعية والحكام والمحكومين والعلماء والمحتسبين يجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في حماية المجتمع من التنجيم والكهانة والعرافة بكل أشكالها، وتطهيره من كل ما من شأنه أن يجعل استشراف المستقبل وسيلة من وسائل الشرك.

قال الماوردي: (ويمنع المحتسب الناس من التكسب بالكهانة واللهو، ويؤدب عليه الآخذ والمعطي)[٤].

---

١ أخرجه البخاري، (١٦٠١).

٢ تفسير المنار (١٢٤/٦).

٣ مجموع الفتاوى (٨٠/٤).

٤ انظر: الأحكام السلطانية، الماوردي (ص٣٧٣).

المبحث الثاني

أساليب استشراف المستقبل المشروعة

في البداية ينبغي التنبيه على أن أساليب الاستشراف تنتمي إلى المناهج في الدراسات المستقبلية، فكما أن هناك منهجًا استكشافيًّا فهناك أساليب استكشافية. وكما أن هناك منهجًا استهدافيًّا فهناك أساليب استهدافية.

وقد تم التنبيه على هذا قبل عرض الأساليب الإسلامية في استشراف المستقبل لئلا يُظن أن الأساليب استكشافية فقط؛ فلا يدخل فيها الأساليب الاستهدافية أو الحدسية، والأمر بخلاف ذلك.

أ-الوحي:

الوحي في اللغة: إعلام في خفاء[1].

وفي الاصطلاح: هو إعلام الله عز وجل أنبياءه بما شاء بكلام مباشر، أو عن طريق الملائكة أو الإلهام أو المنام أو إنزال الكتب.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

والوحي: إما متلو، وهو كتاب الله تعالى، وهذا قطعي الدلالة، وإما غير متلو، وهو سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وما ثبت منها فهو قطعي الدلالة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤].

ويتميز الوحي بعدد من الخصائص، وهي: الربانية والكمال والوضوح والشمول والإحاطة والوسطية؛ فهو يحقق الأنسجام بين الروح والمادة، وبين العقل والقلب، وبين الحقوق والواجبات، ويتميز الوحي أيضًا بالعملية، وهي صلاحيته للتطبيق والعمل به في كل زمان ومكان، والإعجاز، والثوت القطعي المتواتر باتصال السند، والحفظ والسلامة من التحريف والزيادة والنقص.

١ انظر: لسان العرب، مادة (وحي).

ويتميز أسلوب الوحي من حيث كونه أسلوب استشراف بأنه من خصائص المؤمن فلا يستفيد منه غيره، كما أن استشراف المستقبل بطريق الوحي أهم أساليب الاستشراف

جميعها، كما أنه أسلوب يمكن استخدامه والإفادة منه في جميع مناهج استشراف المستقبل.

ويمكن الاستفادة من الوحي –كتابًا وسنة- بأكثر من طريق في استشراف المستقبل أو العمل لأجله، وهي كما يأتي:

أ-الإفادة من الإخبار الصريح بشأن حوادث أو قضايا مستقبلية محددة، مطلقًا كان هذا الإخبار الصريح، أو مقيدًا بشرط. مثال المطلق: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ومثال المقيد: قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ب-الإفادة من القصص الواردة فيه، والوقوف على مواطن العبرة فيها، وتشبيه الحال بالحال، وقياس الأمر على الأمر.

ج-الإفادة من القواعد المستقبلية المبثوثة في الكتاب والسنة.

د-الالتزام بالشريعة التي جاء بها وعدم الخروج عنها؛ فقد جاء الوحي بتشريعات كثيرة تتعلق بالفرد والجماعة والأمة، وتتناول العبادات والمعاملات والأخلاق، وبيَّن الوحي أن في اتباعها اهتداء إلى الحق، وأن في تركها ضلالًا وشقاء.

وينبغي عند الإفادة من الوحي في مجال استشراف المستقبل التحقق الدقيق من صحة الفهم له؛ فلا ينزَّل الوحي على غير ما هو له.

فعن عبد الله بن عمر، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، صلاة العشاء، في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» قال ابن عمر: فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن[1].

فَفُهم من هذا الحديث أن ابن عمر صحَّح تنزيل الناس هذا الخبر المستقبلي على غير ما هو له.

١ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٦٠١)، ومسلم، (٢٥٣٧).

ويجدر التنبيه على الحذر من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في مجال استشراف المستقبل؛ إذ لا قيمة لها، وهي كل حديث فيه «إذا كانت سنة كذا وكذا حل كذا وكذا».

ومن أمثلة الإخبار بالأحداث المستقبلية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قال الرازي: «أخبر سبحانه عن وقوع شيء في المستقبل إخبارًا على التفصيل، وقد وقع المخبر مطابقًا للخبر»[١].

ومن أمثلته في السنة النبوية: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بُعثت بجوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوُضِعت في يدي». قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتثلونها[٢]. قال النووي: «هذا من أعلام النبوة فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته، ووقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولله الحمد والمنة. قوله: (وأنتم تنتثلونها) يعني تستخرجون ما فيها يعني خزائن الأرض وما فتح على المسلمين من الدنيا»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»[٤]. وهذا لم يقع حتى الآن ولكن وقعت مباديه.

وما أخبر به القرآن الكريم وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور المستقبلة يأتي الدهر مصداقًا له، وإنكار العقل لما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عين الجهل، ولا مستند له في إنكاره إلا أنه لم يبلغه ولم يصل إليه فيظن أنه غير ثابت في نفسه[٥].

---

١ مفاتيح الغيب (٤١٢/٢٤).

٢ متفق عليه: أخرجه البخاري،(٢٩٧٧)، ومسلم، (٥٢٣).

٣ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٥/٥).

٤ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٢٩٢٦)، ومسلم، (٢٩).

٥ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٥٨٣-٥٩١).

ب- الدعاء:

الدعاء في اللغة: الرغبة إلى الله تعالى[١].

وفي الاصطلاح: مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة أو دفع مضرة.

ويكفي في فضله وأهميته بشكل عام قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة، وقرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][٢]».

والدعاء بوضعه اللغوي إنما يتناول المستقبل لأنه طلب، والطلب متوجه للمستقبل.

ومطالب السائلين من ربهم سبحانه تنقسم إلى أربعة أقسام: شر موجود يُطلب رفعه، وشر معدوم يُطلب بقاؤه على العدم، وخير موجود يُطلب دوامه وثباته وألا يُسلبه، وخير معدوم يُطلب وجوده وحصوله. وهذه المطالب كلها يغلب عليها التوجه للمستقبل وإرادته.

وبرغم أهمية الدعاء وعلو مكانته إلا أن توظيفه للمستقبل يغيب عن البعض، وتقل عناية النفس به لأن النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة إليه من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل، أو يكون لدى النفس احتجاج بالقدر فترى أن الدعاء لا تُجلب به منفعة ولا تُدفع به مضرة، وقد نفى النبي هذا المفهوم في قوله: «لا يرد القضاءَ إلا الدعاءُ[٣]»؛ فالدعاء من القدر، وهو قدر يدفع الله به قدرًا.

والحق أن الدعاء سبب من الأسباب وله تأثيره بل إنه من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

والدعاء ليس له حد محدود فيدعو المرء بما يدفع الضر ويرفعه، وبما يعود بالنفع على نفسه وأهله ومجتمعه وأمته حاضرًا ومستقبلًا ما لم يكن في الدعاء اعتداء.

وأسلوب الدعاء من أهم أساليب استشراف المستقبل علَّمه الله تعالى أبا البشر آدم عليه السلام، وكان دأب الأنبياء والصالحين.

ويتميز الدعاء عن غيره من الأساليب الأخرى بعدة أمور، أهمها:

---

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٥٨٣-٥٩١).

٢ انظر: لسان العرب وتاج العروس، مادة (دعا).

٣ أخرجه الترمذي، (٢١٣٩).

أ-أنه طلب مباشر ممن يملك صفات الكمال، الغني عن العالمين.

ب-أنه أسلوب استهدافي قوي، لا يدانيه أسلوب آخر؛ فإذا كانت أكثر الأساليب الأخرى تضعف كلما زادت مدة الاستشراف فإن أسلوب الدعاء لا تؤثر فيه الزيادة، ولا تغير منه شيئًا؛ فهذا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يدعوان لذريتهما: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]؛ فقد أراد إبراهيم عليه السلام عمارة الدين في الحال وفي المستقبل، وهذا من فقهه المستقبلي عليه السلام.

ج-أنه أسلوب ناجح في جميع الأحوال؛ لأنه إما أن يقع المطلوب فيه، أو يُصرف من الشر مثله، أو يؤجل إلى يوم القيامة، بخلاف الأساليب الأخرى التي قد يعتريها الخطأ.

د-أنه من الأساليب القوية في بث الأمن والطمأنينة للنفس من مخاوف المستقبل ومشاهده السيئة، وهذا يمنع حصول القلق والأمراض النفسية الأخرى، وهذا يكون بالأدعية بعامة، وبالاستخارة بخاصة.

هـ-أنه أسلوب لا تقوم مقامه الأساليب الأخرى؛ فمن فقه الدعاء أنه إذا كان هناك استشراف بمستقبل معين أو كان عن طريق رؤى منامية عَبرها حاذق بالتعبير أو وعد في الكتاب أو السُّنَّة فإن الشخص يتبع ذلك كله بالدعاء بتحققه.

ولما كان المرء لا يخلو في بعض الأحوال أن يساوره القلق ويداهمه الخوف من المستقبل المجهول، فلا يعلم هل يُقدم على هذا الأمر أم يحجم عنه، فكان من حكمته تعالى أن شرع الاستخارة ليخلِّص الإنسان من الحيرة التي تنتابه والخوف من المستقبل المجهول، وذلك بتسليم الأمر كله لله والالتجاء إليه سبحانه.

فإذا فوَّض العبد أمره إلى ربه تعالى ورضي بما يختاره له أمده بالقوة عليه والصبر، وصرف عنه الآفات.

والإسلام بهذا التشريع الحكيم قضى على الطريقة الجاهلية في طلب الفعل والترك، وهي الاستقسام بالأزلام ونحوها من الأساليب، وعوَّض المسلمين ببديل شرعي كله توحيد وتوكل[١].

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٥٩٢-٦٠٣).

ج- الشورى:

الشورى في اللغة: «شاوره مشاورة وشوارًا واستشاره: طلب منه المشورة. وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه. وأشار إليه باليد: أومأ، وأشار عليه بالرأي. وأشار يشير إذا ما وجَّه الرأي»[١].

وأما في الاصطلاح: استخراج الرأي من أهل الرأي، ومراجعة البعض للبعض، وذلك بعرض الأمر على من عندهم القدرة على بيان الرأي، ويُرتجى منهم الوصول إلى الصواب.

قال تعالى مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد حفلت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيقات الشورى في الأمور المختلفة، حتى روي عن أبي هريرة أنه قال: «ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٢].

وقد اتبع الصحابة رضي الله عنهم سنة نبيهم في أمر الشورى، فكان أول ما تشاوروا فيه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم هو تعيين خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والمشاورة هي أهم قواعد السياسة الدينية، وهي طريق الصلاح الديني والدنيوي.

ولم تنص الشريعة الإسلامية على كيفية خاصة لتحقيق مبدأ الشورى، وهذا يعني أنها تركت تنظيم الشورى للأمة الإسلامية على النحو الذي يلائم ظروفها وأحوالها، وهذا من حسنات الشريعة واحتياطها للمستقبل.

والشورى ألفة للجماعة؛ فالمجتمع الذي تطبق فيه الشورى على الطريقة الشرعية يشعر فيه الأفراد بإنسانيتهم ويحسون أنهم يحققون ذواتهم، ونجد أن ذلك المجتمع مترابط يسود بين أفراده الإخاء والمحبة ووحدة الصف، وإذا توافرت تلك الخصال في المجتمع فقد حصل على الأسس المهمة في صناعة مستقبله.

كما أنه بالشورى يسلم الحاكم والقائد من تحمل المسئولية وحده عند وقوع أي خطأ في المستقبل بسبب ضعف الرأي، ولذلك قال بعض العقلاء: «ما أخطأت قط؛ إذا حزبني أمر شاورت قومي ففعلتُ الذي يرون، فإن أصبت فهم المصيبون، وإن أخطأت فهم المخطئون».

١ انظر: لسان العرب، مادة (شور).

٢ ذكره الترمذي في سننه، (١٧١٤). وقال ابن حجر في الفتح: «ورجاله ثقات إلا أنه منقطع».

وإذا أُهملت الشورى وبان الخطأ فإنه قد يختلف الناس وتنشأ الفتن لأنهم لم يُستشاروا فحمَّلوا الخطأ المستبد بالرأي وهم سالمون منه، وعلى هذا فالشورى ينتج عنها وحدة الصف واجتماع الكلمة عند حدوث بعض دواعي التفرق والاختلاف في المستقبل.

والشورى سبب إلى الرأي الصواب، ولهذا قال الشعبي في الأمر المستجد: انظر كيف قضى فيه عمر رضي الله عنه فإنه كان يشاوِر. وأثُر عن الحسن البصري قوله: «والله ما استشار قومٌ قط إلا هُدُوا لأفضل ما بحضرتهم».

وإذا كانت الشورى سببًا للوصول إلى أقرب الآراء إلى الصواب فإن الرأي يصبح قرارًا يدخل حيز التنفيذ، وإنما تظهر آثاره ونتائجه في المستقبل طال أو قصر، وذلك حسب نوع القرار ومتعلقاته؛ فبالشورى نكون أقرب إلى كسب المستقبل، وبتركها قد نخسر المستقبل أو بعضه.

والمتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده يلحظ أن الشورى ارتبطت باتخاذ القرارات ولم تكن لاستشراف المستقبل فحسب، وهذا ما ينبغي أن تكون الشورى عليه في الدراسات المستقبلية الإسلامية؛ فيكون الحافز إليها اتخاذ قرارات وإنجاز أعمال، وليس مجرد الاستشراف[١].

د- المَشاهِد:

قال المناوي: «الشهادة كالشهود الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور منفردًا. ومشاهد الحج: مواطنه التي تحضرها الملائكة والأخيار من الناس. وقيل: هو مواضع النسك»[٢]. «والمشاهدة: المعاينة. وشهده شُهودًا: أي حَضَرَه، فهو شاهدٌ. وقومٌ شُهودٌ، أي حُضورٌ. وشَهِد له بكذا شَهادةً، أي أدَّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد»[٣].

والمشاهد في الاصطلاح: أوصاف لبعض ما يُمكن وقوعه في المستقبل.

والله تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا، يعلم المستقبل كما هو لا يخفى عليه منه شيء، وقد عرض القرآن مشاهد الآخرة في آيات كثيرة، وهي مشاهد مؤكَّدة الوقوع، وليست من التقديرات التي قد تقع أو لا تقع، وأما المشاهد المتعلقة بالأمور الدنيوية فقد عرض القرآن لبعض المشاهد التي قد تقع

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٦٠٣-٦١٩).

٢ التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص٢٠٨).

٣ انظر: تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (شهد).

وقد لا تقع؛ لأن الإنسان لا يعلم المستقبل، ولكن يقدّر بعض مشاهده الممكنة والمحتملة، وقد خاطب سبحانه عباده بمثل هذا في عدد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

فقد عرضت الآيات الكريمات أربعة مشاهد محتملة: مشهد الخسف، ومشهد أن يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، ومشهد الأخذ في تقلبهم وأسفارهم، ومشهد الأخذ على تخوف.

وقال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

فإذا قاتل المؤمن الكفار الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة فلينتظر أحد مشهدين: مشهد الشهادة والأجر العظيم، أو مشهد النصر والأجر العظيم. قال الإمام الرازي: «فإذا كان الأجر حاصلًا على كلا التقديرين لم يكن عمل أشرف من الجهاد. وهذا يدل على أن المجاهد لا بد وأن يوطِّن نفسه على أنه لا بد من أحد أمرين: إما أن يقتله العدو، وإما أن يغلب العدو ويقهره، فإنه إذا عزم على ذلك لم يفر عن الخصم ولم يحجم عن المحاربة، فأما إذا دخل لا على هذا العزم فما أسرع ما يقع في الفرار، فهذا معنى ما ذكره الله تعالى من التقسيم في قوله: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾[١]». وفي هذا دلالة على فوائد ذكر المشاهد المستقبلية واستحضارها.

ومن أمثلة المشاهد في السنة النبوية: لمَّا صدت قريش النبي صلى الله عليه وسلم عن أداء العمرة عام الحديبية، واستعدت لحربه إن أراد الدخول قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتُهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر: فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا، وإن هم أَبَوْا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره»[٢].

فالرسول صلى الله عليه وسلم يرى لقريش أنها لو تقبَّلت هذه المشاهد الثلاثة لكان خيرًا لها في الحاضر والمستقبل، وهي المشاهد الآتية:

أ -مشهد أن يتركوه وشأنه فيقتله غيرهم؛ فيتحقق لقريش ما أرادت بلا خسائر.

ب-مشهد أن يتركوه وشأنه فتكون له الغلبة والظهور، فلا يسع قريشًا إلا اتباعه؛ فيتبعوه من غير خسائر أيضًا.

١ مفاتيح الغيب (١٠/١٤٠).

٢ أخرجه البخاري، (٢٧٣١).

ج-مشهد أن يتركوه وشأنه فتكون له الغلبة والظهور، ويكون الخيار أمام قريش حربه وعدم اتّباعه؛ فيقاتلوه عن قوة لم تدمرها مواجهات سابقة.

د-مشهد ألا يقبلوا شيئًا من هذه المشاهد فإن الرسول حينئذ عازم بقوة على حربهم ما بقي.

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وحكمته أنه بنى المشاهد الإيجابية لعدوه، وبيَّن له من الخيارات أحسنها، وهو ما فاق بعض أهداف الدراسات المستقبلية العالمية والعربية الانتهازية.

ولم يرد أسلوب المَشاهد كثيرًا لدى السلف، ولعل السبب في ذلك أن المشاهد عمل ذهني، والمرء عندما يريد أن يُبدي رأيًا له تعلق بالمستقبل فإنه يجول في ذهنه عدد من المشاهد لا يخبر في الغالب بها، بل يتخذ قراره أو يقول رأيه أو يخبر بمشهد واحد فقط، ولذلك إذا اشتد الخلاف في المسألة، أو كانت المسألة من المسائل المهمة فإنه يصرَّح بذكر المشاهد التي كانت تجول بالذهن[١].

هـ- الرؤيا:

الرؤيا في اللغة والاصطلاح معناها واحد، وهو: ما يُرى في المنام.

جاء في لسان العرب: «والرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح»[٢].

وقد امتازت سورة يوسف عن سائر سور القرآن بتضمنها عددًا من الرؤى، وتعبيرها بأسلوب إلهي كريم، وتضمن تعبير رؤيا العزيز شيئًا عظيمًا من الاستشراف المستقبلي، بما يدل على بصيرة وحنكة يوسف عليه السلام في الاستشراف، ووضع الخطط المستقبلية والإشراف على تنفيذها وإنجازها.

والرؤيا حالة شريفة اتفقت الأمم عليها مع اختلافهم في المشارب والملل، ويكفي في بيان شرفها وفضلها قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا اقترب الزمانُ لم تكد تَكْذِب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[٣].

قال الباجي: «وصفها بأنها جزء من النبوة لما كان فيها من الإنباء بما يكون في المستقبل على وجه يصح ويكون من عند الله عزوجل»[٤].

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٦١٩-٦٢٧).

٢ لسان العرب، مادة (حلم).

٣ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٧٠١٧)، ومسلم، (٢٢٦٣).

٤ المنتقى شرح الموطأ، (٢٧٦/٧).

وعلى ذلك فإن الرؤيا أشبهت النبوة في صدقها بما تنبئ به، وفي الاطلاع على شيء من الغيب.

والرؤيا تفارق الكهانة ونحوها من الأساليب المحرمة. وفي بيان ذلك يقول الإمام ابن القيم: «علم عبارة الرؤيا حق لا باطل؛ لأن الرؤيا مستندة إلى الوحي المنامي، وهي جزء من أجزاء النبوة؛ ولهذا كلما كان الرائي أصدق كانت رؤياه أصدق، وكلما كان المعبر أصدق وأبر وأعلم كان تعبيره أصح، بخلاف الكاهن والمنجم، وأضرابهما ممن لهم مدد من إخوانهم من الشياطين؛ فإن صناعتهم لا تصح من صادق ولا بار، ولا متقيد بالشريعة»[1].

وتأويل الرؤى هبة إلهية يختص الله بها من يشاء من عباده.

وقد دلَّت السنة على أن من يرى في منامه ما يحب فإنه يحمد الله على الرؤيا ويستبشر بها ويحدِّث بها من يحب دون غيره.

كما ينبغي على الرائي ألا يقطع بمقتضاها حكمًا، ولا يبني عليها أصلًا، بل يعتدل في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها، فما هي إلا تأنيس وبشارة ونذارة.

ورؤيا الأنبياء وحي يُعمل به؛ لأنها معصومة من الشيطان، أما رؤيا غيرهم فلا بد من عرضها على الكتاب والسنة فإن وافقتهما جاز العمل بها وإلا فلا.

كما أن رؤى غير الأنبياء ليست من طرق الاستدلال الشرعي التي يُتوصل بها إلى معرفة الأحكام.

ومما يُستأنس به في جواز العمل بالرؤيا إذا لم تخالف أصول ومبادئ الكتاب والسنة ما أخرجه الإمام أحمد عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان: أن عثمان بن عفان أعتق عشرين مملوكًا، ودعا بسراويل فشدَّها عليه، ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا لي: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقُتل وهو بين يديه[2].

فيُستفاد من هذا الأثر أن عثمان رضي الله عنه تأهب واستعد استنادًا لهذه الرؤيا.

وجاء في أثر آخر عن أبي جمرة قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما، عن المتعة، فأمرني بها، وسألته عن الهدي، فقال: «فيها جزور أو بقرة أو شاة أو شرك في دم»، قال: وكأن ناسا كرهوها، فنمت فرأيت في المنام كأن إنسانًا ينادي: حج مبرور، ومتعة متقبلة، فأتيت ابن عباس رضي الله عنهما فحدثته، فقال: «الله أكبر، سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم»[3].

١ زاد المعاد في هدي خير العباد، (٥/٦٩٩، ٧٠٠).

٢ أخرجه أحمد في مسنده (٥٢٦).

٣ متفق عليه: أخرجه البخاري، (١٦٨٨)، ومسلم، (١٢٤٢).

وعن هذا الأثر يقول ابن دقيق العيد: «فيه استئناس بالرؤيا فيما يقوم عليه الدليل الشرعي؛ لما دل الشرع عليه من عظم قدرها، وأنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وهذا الاستئناس والترجيح لا ينافي الأصول. وقول ابن عباس: (الله أكبر، سنة أبي القاسم) يدل على أنه تأيد بالرؤيا واستبشر بها، وذلك دليل على ما قلناه»[١].

وخلاصة القول في العمل بالرؤى أن ما عَبَره العالم بالتعبير على أنها رؤيا صادقة فإنه يُستأنس ويُستبشر بها، ولا تكون أصلًا يُعتمد عليه، ولا يُلتفت إلى رؤى خالف تعبيرها ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وسار عليه هدي الصحابة والسلف.

أما عن مكانة أسلوب الرؤى من أساليب الاستشراف فإنه يمكننا القول بأنه من أوسع أساليب الاستشراف الاستكشافية بعد الوحي، وأقدرها على خوض غمار المستقبل، وبرغم قوته إلا أنه من الأساليب المكمِّلة بمعنى أنه يُفاد منه ضمن الأساليب الأخرى فلا يعتمد عليه بانفراده، ومما يؤيد ذلك: أن قريشًا بعد هزيمتها في بدر جمعت الأموال وجهزت جيشًا وزحفت على المدينة للثأر من المسلمين، فلما سمع النبي بقدومهم شاور أصحابه وأخبرهم برؤيا رآها فقال صلى الله عليه وسلم: «رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقرًا منحَّرة، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأنَّ البقر نَفَرٌ، والله خير»، قال: فقال لأصحابه: «لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم»، فقالوا: يا رسول الله، والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية، فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام؟ - قال عفان في حديثه: فقال: «شأنكم إذًا» - قال: فلبس لأمته، قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبي الله، شأنك إذًا، فقال: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»[٢].

ففي استشراف هذه المعركة تم استخدام أسلوبي الشورى والرؤيا، ومع أن رؤيا الأنبياء حق إلا أنه لما تعارضت نتيجة الشورى ونتيجة الرؤيا اعتمد صلى الله عليه وسلم نتيجة الشورى مع أن الرؤيا أقوى.

ويمكن أن يُفاد من الرؤيا باستخدام أسلوب التشاور المتميز، وذلك بإشراك عدد من أهل التعبير المبرزين، وأهل الاختصاصات الأخرى ذات الصلة بقضية الاستشراف، وذلك لمعرفة الرؤى التي تواطأت فإن ظاهر كلام الأئمة يفيد أن رؤى المؤمنين إذا تواطأت فهو كتواطؤ روايتهم[٣].

١ إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد (٢/٧٤).

٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٧٨٧)، وصحح الإمام ابن حجر سنده في الفتح (١٣/٣٤١).

٣ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٦٢٧-٦٣٩).

و- الفراسة والإلهام والتحديث والكشف:

الفراسة:

الفراسة في اللغة: «الفراسة بكسر الفاء: في النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به، يقال: إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالمًا به... وتفرس فيه الشيء: توسَّمه»[١].

وأما معنى الفراسة في الاصطلاح، فقد عرفها البعض بأنها: الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة، أو الاستدلال بهيئات الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله[٢].

وهذا التعريف ركَّز على الفراسة المكتسبة، وذلك بالنظر إلى الشكل الظاهري للإنسان، وغفل تلك الفراسة التي يهبها الله لبعض عباده، وهي كالنور يقذفه الله تعالى فيميز من خلالها مكاشفات النفس، وهذه الفراسة بحسب قوة الإيمان؛ فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحدُّ فراسة.

يقول أبو سليمان الداراني: الفِراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان[٣].

وقال أبو شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة[٤].

وعلى ذلك فإنه يمكننا تعريف الفراسة بتعريف يشمل نوعيها الإلهامي والكسبي، وهو أنها العلم القلبي أو المكتسب الذي يميز مدلولات الصور والأحوال بالنظر المكتسب أو الإلهامي.

وقد مدح الله سبحانه الفراسة وأهلها في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] وهم المتفرسون الآخذون بالسيما، وهي العلامة، يقال: تفرست فيك كيت وكيت وتوسمته.

١ انظر: لسان العرب، مادة (فرس).

٢ انظر: علم الفراسة، لإبراهيم جلال (ص١١).

٣ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٤٥٤).

٤ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (٤٨/١).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [محمد: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾»[1].

ويقول الطبري عن معنى (المتوسمين) في الآية الكريمة: «إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم، وأحللنا بهم من العذاب لَعَلامات ودلالات للمتفرّسين المعتبرين بعلامات الله، وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به»[2].

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة، وبعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووقائع فراسته مشهورة، ويكفي منها موافقته ربه في المواضع المعروفة. وفراسة الصحابة رضي الله عنهم أصدق الفراسة.

ويقول الإمام ابن القيم عن فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني. وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل. ولم يعين أوقاتها. وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها»[3].

الإلهام:

الإلهام في اللغة والاصطلاح: «إلقاء الشيء في الروع». ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى بحيث يجد علم شيء في نفسه من غير تقدم ما يوصل إليه بحس أو استدلال.

يقول الإمام ابن الأثير: «والمُلْهَم هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدسا وفراسة، وهو نوع يختص به الله عز وجل من يشاء من عباده الذين اصطفى، مثل عمر، كأنهم حُدِّثوا بشيء فقالوه»[4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والإلهام في القلب تارة يكون من جنس القول والعلم والظن والاعتقاد، وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب، وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر... وكثير من أهل الكشف يلقى في قلبه أن هذا الطعام حرام أو أن هذا الرجل كافر أو فاسق من غير دليل ظاهر، وبالعكس قد يلقى في قلبه محبة

١ أخرجه الترمذي، (٣١٢٧).

٢ جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٧/ ١٢٠).

٣ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٥٩).

٤ النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/ ٣٥٠).

شخص وأنه ولي لله أو أن هذا المال حلال»[١].

وفي بيان الفرق بين الإلهام والفراسة يقول الإمام ابن القيم: «الفرق الصحيح أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة»[٢].

ومن أدلة الإلهام: قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. فقد جاء في معنى (فرقانًا) أربعة أقوال عن السلف، الرابع منها: أنه هدى في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا، ولا تتعرجوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»[٣].

قال ابن القيم: «فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة»[٤].

التحديث:

الحديث في اللغة: كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه[٥].

وقال ابن القيم عن المحدَّث: هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء، فيكون كما يحدث به[٦].

والتحديث في الاصطلاح: هو ما يُلْقَى في القلب من الصواب والحق[٧].

١ انظر: مجموع الفتاوى (٤٧٦/١٠، ٤٧٧).
٢ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٦٩/١).
٣ أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧٦٣٤).
٤ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٧٠/١).
٥ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص٢٢٢).
٦ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٦٣/١).
٧ بدائع الفوائد (٧٢/١).

ومن أدلة التحديث: قال صلى الله عليه وسلم: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب»[١].

قال الحافظ ابن حجر: «كذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التوقع وكأنه لم يكن اطلع على أن ذلك كائن، وقد وقع بحمد الله ما توقعه النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه، ووقع من ذلك لغيره ما لا يحصى ذكره»[٢].

الكشف:

الكشف في اللغة: «رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه»[٣].

وأما في الاصطلاح فقد عرَّفه الإمام ابن القيم بقوله: «علوم يحدثها الرب سبحانه وتعالى في قلب العبد، ويطلعه بها على أمور تخفى على غيره، وقد يواليها وقد يمسكها عنه بالغفلة عنه، ويواريها عنه بالغين الذي يغشى قلبه، وهو أرق الحجب، أو بالغيم، وهو أغلظ منه أو بالران، وهو أشدها»[٤].

ويحصل الكشف تارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومنامًا، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيًا وإلهامًا أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة، ويسمى كشفًا ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات: فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله «كشفًا» و«مكاشفة» أي كُشف له عنه»[٥].

ويقول ابن خلدون: «وهذا الكشف كثيرًا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرًا من الواقعات قبل وقوعها... وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها... ثمَّ إنَّ هذا الكشف لا يكون صحيحًا كاملًا عندهم إلَّا إذا كان ناشئًا عن الاستقامة؛ لأنَّ الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وإن لم يكن هناك استقامة كالسَّحرة وغيرهم من المرتاضين»[٦].

١ أخرجه البخاري، (٣٤٦٩)، ومسلم، (٢٣٩٨).

٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٥١٦).

٣ لسان العرب، مادة (كشف).

٤ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢١١).

٥ مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٣).

٦ انظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (ص٦١٤).

ومن أدلة الكشف قول عمر رضي الله عنه: «اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة». وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم. فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات[١].

ومن الكشف الرحماني ما جاء عن عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلًا يدعى سارية، قال: فبينا عمر يخطب الناس يومًا، قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمناهم، فإذا بصائح يصيح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله، فقيل لعمر -يعني: ابن الخطاب: إنك كنتَ تصيحُ بذلك[٢].

والفراسة الإيمانية والإلهام والكشف والتحديث أمور ليست غاية تُطلب لذاتها، بل الغاية أن يجاهد المسلم نفسه على الاستقامة دون أن يطلب تحصيل هذه الأمور، وأهل المجاهدة وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم لم يعتنوا بهذه الأمور، وكان لهم حظ وافر منها، بل كانوا يعدون ما وقع لهم منها امتحانًا.

وهذه الأمور الأربعة متقاربة ويطلق بعضها على بعض، والصحيح في كونها من الطرق الشرعية أنه لا بد من عرضها على الكتاب والسنة، فإن ظهر في الإلهام ونحوه معارضة لها لم يلتفت إليه.

يقول الإمام الشاطبي: «هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر، إلا بشرط أن لا تخرم حكمًا شرعيًّا ولا قاعدة دينية، فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكمًا شرعيًّا ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان، وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع»[٣].

يقول الإمام ابن تيمية: «الخارق كشفًا كان أو تأثيرًا إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينًا وشرعًا، إما واجب وإما مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرًا»[٤].

١ مجموع الفتاوى (١١/٢٠٥).

٢ فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، (٢٦٩/١).

٣ الموافقات (٤٥٧/٢).

٤ مجموع الفتاوى (٣١٩/١١).

ويصف الإمام الشاطبي هذا الأمر المباح بقوله: «كأن يرى المكاشف أن فلانًا يقصده في الوقت الفلاني، أو يعرف ما قصد إليه في إتيانه من موافقة أو مخالفة، أو يطَّلع على ما في قلبه من حديث أو اعتقاد حق أو باطل، وما أشبه ذلك، فيعمل على التهيئة له حسبما قصد إليه، أو يتحفظ من مجيئه إن كان قصده الشر، فهذا من الجائز له، كما لو رأى رؤيا تقتضي ذلك، لكن لا يعامله إلا بما هو مشروع»[١].

فالخلاصة أن الفراسة والإلهام والكشف والتحديث منها ما هو صحيح موافق لأصول الكتاب والسنة، فيكون مقبولًا من باب الاستئناس والاستبشار، أو الاحتياط والاحتراز، ومنها ما هو باطل معارض لها فَيُردُّ، وبناء على ذلك تكون هذه الأمور الأربعة أساليب استشرافية مكملة، فيُفاد منها في ظل الأساليب الأخرى المعتمدة مثل أسلوب التشاور المتميز لأهل الخبرة والاختصاص، ولا تُستخدم منفردة.

١ الموافقات (٢/٤٧١).

الباب الثاني:

الفتوى واستشراف المستقبل

(وفيه أربعة فصول):

- الفصل الأول: علاقة الفتوى باستشراف المستقبل وأهمية المزج بينهما.
- الفصل الثاني: ضوابط وأسس الفقه الافتراضي.
- الفصل الثالث: فوائد الفتوى المستقبلية ونماذج منها.
- الفصل الرابع: ارتباط الإفتاء بالعلوم المختلفة.

مدخل:

إن الفقه الإسلامي هو من أفضل العلوم وأشرفها، وهو خلاصة الأحكام التكليفية التي أتى بها القرآن والسنة؛ فهو يحيط بأحكامه كل جوانب الحياة؛ فإن المجتهدين من فقهاء المسلمين بذلوا قصارى جهودهم العقلية في استمداد الأحكام الشرعية من مصادرها، واستخرجوا من نصوص الشريعة ومعقولها جواهر تشريعية ثمينة، فمن هذه الأحكام ما كان دليله بنصوص واضحة قاطعة لا تحتمل التأويل؛ فهذه لا اجتهاد فيها، ومنها ما كان دليله ظنيًّا يحتمل التأويل فهذه تخضع للرأي والاجتهاد، وهذه الأخيرة تحتاج إلى وقفة تأمل من قِبَل المجتهدين حتى يجدوا لها مخرجًا مع اعتبار الزمان والمكان والحال فيجعلوا لكل حادثة حكمها المناسب.

وبقيت الحاجة إلى الفقه قائمة في كل وقت لتنظم علاقات الناس الاجتماعية وغيرها مع مراعاة المصالح المتجددة ودفع المفاسد الطارئة، ولم يكتفِ المجتهدون بما استمدوه من أحكام في عمق هذا التشريع السماوي وأنزلوه إلى الواقع العملي، بل تجاوزوا ذلك الواقع إلى المستقبل ليضعوا أحكامًا لقضايا قد تحدث فيه، وهو ما يعرف بالفقه الافتراضي، وهو ضروري لمواكبة كل المستجدات والمتغيرات والتي تفرض نفسها بقوة على الإمام المجتهد، وتطالب ببيان الحكم الشرعي وتحتاج إلى الفتوى الشرعية أثناء حدوثها؛ وذلك لأن الزمان قد تسارع والمكان قد تقارب، وأن الحوادث قد تزاحمت وتلاحقت فلم تدع متسعًا للتريث أو الانتظار، ولا يزال المجتهدون يجدُّون في البحث في أحكام نوازل فتنزل بهم غيرها ولما ينتهوا من سابقتها، ولهذا فلا يليق بالفقيه المجتهد أن يغوص في أعماق فقه الواقع ولا يلقي بالًا لفقه التوقع مع وجود التطور السريع وتدفق الاختراعات والاكتشافات؛ لأن ذلك قد أدى إلى تبدل كثير من الأحكام الاجتهادية لتتوافق مع واقع العصر وتواكب تطورات الحياة؛ لذلك كان المجتهدون يفترضون بعض المسائل الفقهية التي لم تقع في زمانهم وكأنهم كانوا يعلمون أنه سيأتي عصر ستحصل فيه الوقائع التي توافق ما افترضوه من أحكام، وسيجد الناس حينئذ الحل فيما بيَّنه العلماء.

فالتعامل مع الواقع وفهم مشكلاته يعين الفقهاء المجتهدين باستشراف المستقبل وفهم متطلباته وافتراض مسائل والبحث عن حلول بوضع حكم فقهي مناسب لها ملائم للمستجدات وتطورات الحياة يراعي المقاصد الشرعية؛ ليستفاد بأحكام شرعية لمسائل جديدة لم يتعرض لها السابقون.

الفصل الأول:

علاقة الفتوى باستشراف المستقبل وأهمية المزج بينهما

(وفيه خمسة مباحث):

١.أسماء فقه التوقع

٢.تعريف الفقه الافتراضي

٣.نشأة الفقه الافتراضي

٤.حكم الفقه الافتراضي

٥.أهمية الفتوى الافتراضية

أصالة الفقه المستشرف للمستقبل:

إن الفقه المستشرف للمستقبل يدخل في المصطلح الفقهي في فقه التوقع، وهو وإن كان مصطلحًا جديدًا إلا أنه قديم من حيث المعنى.

وفقه التوقع يسمى فقه «الترقب» عند المقري والزقاق وغيرهما، وقد بنوا عليه قاعدة المترقبات التي هي أصل لقاعدة التقدير والانعطاف، التي تقابلها قاعدة الظهور والانكشاف.

وفي توضيح ذلك يقول الشيخ محمد يحيى الولاتي رحمه الله في منظومته في القواعد الفقهية «المجاز الواضح»:

وَهَلْ حصولُ ذي التوقُّع أَتَى / مقدَّرًا حين الوقـوع أو أتَى

مقدَّرًا حين حصولِ السَّببِ / فيه خلافٌ بين أهلِ المذهبِ

وهذه تُدعى بذاتِ الانعطافْ / عكسَ التي تُدعى بذات الانكشافْ

وقال رحمه الله في شرحه لها:

يعني أن الفقهاء من أهل المذهب اختلفوا في الشيء المترقب إذا حصل هل يقدر حصوله حين وقوعه، وكأنه فيما قبل ذلك كالعدم، أو يقدر حصوله حين حصل سببه الذي نشأ عنه؟.

ومن فروع القاعدة: الخلاف في وقت تقدير العتق المحكوم به إذا تأخر الحكم عن الزمان الذي أسندت البينة إليه العتق؛ فعلى أن المرتقب -إذا حصل- يقدر حصوله حين وقع يقدر العتق واقعًا يوم الحكم، وعلى أنه يقدر حين حصل السبب يقدر العتق واقعًا في الوقت الذي أسندته البينة.

ومن فروعها: الخلاف في إمضاء بيع الخيار هل يقدر واقعًا يوم الإمضاء؛ بناء على أن المترقب إذا حصل يقدر حصوله يومئذ؟ أو يقدر واقعًا يوم البيع بناء على أن المترقب إذا حصل يقدر حصوله يوم حصول سببه.

ومن فروعها: الخلاف في انعقاد صوم التطوع بنية قبل الزوال، فعلى أن المترقب إذا حصل يقدر واقعًا وقت حصول سببه ينعقد صوم التطوع بالنية قبل الزوال، وتنعطف النية على ما قبل وقتها من اليوم، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة، وعلى أن المرتقب إذا حصل يقدر واقعًا حين حصوله لا ينعقد صوم التطوع بالنية قبل الزوال، وهو مشهور مذهب مالك.

وقول الناظم رحمه الله:

وهذه تُدعى بذاتِ الانعطافْ / عكسَ التي تُدعى بذات الانكشافْ

معناه أن هذه القاعدة السابقة تدعى بذات الانعطاف، وتسمى عند الفقهاء بقاعدة «التقدير والانعطاف»، وهي عكس القاعدة التي تدعى عندهم بذات الانكشاف أي التي تسمى بقاعدة «الظهور والانكشاف».

ومعنى كونها عكسها: أن المترقَّب في هذه قد انكشف الغيب أنه وقع قبل ظهوره يقينًا، بخلاف ذات الانعطاف، فإن الغيب لم ينكشف فيها عن كون المرتقب وقع قبل ظهوره، بل تقدم سببه فقط.

ومن فروع القاعدة: الخلاف في طلاق من قال لزوجته: أنت طالق يوم قدوم زيد، أو إذا قدم آخر النهار، وبنينا على القول بعدم تنجيزه، هل يقدر واقعًا أول النهار؛ لأن الغيب قد انكشف أنه وقع حينئذ لتجري أحكام الطلاق من أول يوم على حقائقها؟، أو لا يقدر واقعًا إلا حين ظهوره فتجري أحكام الطلاق من حينئذ؟ خلاف، والمشهور الأول.

وفائدة الخلاف: أن المرأة إذا كانت طاهرة أول النهار، وحاضت آخره وقت وقوع المعلَّق عليه أنها تحسب طهرها أول النهار من الأقراء الثلاثة على القول الأول المشهور، ولا تحسبه منها على الثاني.

ومن فروعها: الخلاف في رد النفقة من المرأة التي دفعت لها لظنها حاملًا ثم تبين عدم حملها؛ فعلى أن الحمل يقدر معدومًا عند ابتداء دفع النفقة: ترد النفقة من أول الحمل إلى وقت ظهور عدمه، وهو المشهور، وعلى أنه لا يقدر عدمه إلا عند انكشافه لا تردها.

ومن فروعها: الخلاف في رد قسمة مال المفقود بأرض الإسلام إذا اقتسم الورثة ماله ثم تبين أنه حي، وقدم بعدما أنفقوا على أنفسهم من ماله، فعلى أن المعتبر وقت ظهور الحياة فقط لا ترد القسمة، ولا يرد إليه الورثة ما أنفقوا على أنفسهم من ماله، لأنه حكم مضى، وعلى أن المعتبر ما انكشف عنه الغيب من كونه حيًّا حين اقتسام ماله ترد القسمة ويرد إليه الورثة ما أنفقوا على أنفسهم من ماله، وهو مذهب مالك.

ومن فروعها: الخلاف في مسألة من قال: آخر امرأة أتزوجها طالق، فإنه يكف عن كل امرأة تزوجها حتى يتزوج غيرها، فيرسل عليها حينئذ؛ لانكشاف الغيب عن صحة عصمتها بأنها ليست آخر امرأة يتزوجها، فإذا مات عن امرأة لم يتزوج عليها صار ترك التزوج والموت كاشفين كونها آخر امرأة يتزوجها.

وحينئذ فهل يسند الطلاق إلى حال عقد نكاحها بناء على اعتبار ما انكشف عنه الغيب؟ أو يسند إلى وقت الموت بناء على اعتبار وقت ظهور كونها آخر امرأة؟

ومن فروعها: الخلاف في مسألة الصانع يغرم قيمة المصنوع لدعواه الضياع، ثم يوجد؛ فعلى اعتبار ما انكشف عنه الغيب يأخذ المصنوع ربه ويرد للصانع القيمة، وعلى أن المعتبر وقت وجدانه فقط يبقى المصنوع للصانع ولا ترد له القيمة.

ومن فروعها: الخلاف في مسألة تعدي المكتري أو المستعير على الدابة فتضل ويغرم قيمتها ثم توجد؛ فعلى اعتبار ما انكشف عنه الغيب يأخذ الدابة ربها ويرد للمكتري أو المستعير القيمة، وعلى أن المعتبر وقت الوجدان فقط تبقى الدابة للمعتدي، ولا يرد ربها القيمة[1].

١ انظر: الدليل الماهر الناصح شرح نظم المجاز الواضح، محمد يحيى الولاتي (ص٦٢-٦٦).

المبحث الأول

أسماء فقه التوقع

أطلق البعض على فقه التوقع: الفقه الارتيادي، وفقه الترقب، والفقه الافتراضي.

وفيما يلي نعرض لنبذة عن كل اسم منها:

أ. الفقه الارتيادي:

واشتقاق هذا الاسم من الارتياد، وهو في اللغة الطلب والبحث لاختيار الأفضل.

جاء في لسان العرب: (والرائد: الذي يرسل في التماس النجعة وطلب الكلأ، والجمع رواد مثل زائر وزوار. وفي حديث علي في صفة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: يدخلون روادًا ويخرجون أدلة، أي يدخلون طالبين للعلم ملتمسين للحلم من عنده ويخرجون أدلة هداة للناس. وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث. ويقال: بعثنا رائدًا يرود لنا الكلأ والمنزل ويرتاد والمعنى واحد أي ينظر ويطلب ويختار أفضله)[١].

فهو يبصر لهم ما لا يبصرونه بأنفسهم، ويتقدمهم ليستطلع لهم الحال ويختار لهم أنسب البدائل من الخيارات المتاحة، وينبِّهم بما يكون عليه شأنهم مستقبلًا من خلال استطلاعه ونظره.

فعلى ذلك فإن الفقه الارتيادي فقه يبحث في مسائل أو أحوال لم تحصل بعد، وإنما يُتوقع حصولها مستقبلًا؛ فيُعمل المختص نظره فيها ويختار الحكم الشرعي المناسب لمقتضى الحال؛ بناء على أدلة الشرع وقواعده.

وهو كذلك يبحث في الأحوال المتوقَّع تغيرها وآثار هذه التغيرات، وهل تقتضي استعدادًا خاصًّا أو حكمًا مناسبًا؛ لارتباط التشريع السابق بأحد المتغيرات[٢].

ب- فقه الترقب:

١ انظر: لسان العرب، مادة (رود).

٢ الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل، للدكتور هاني بن عبد الله الجبير (ص١٣، ١٤).

جاء في اللغة: (الرقيب: المنتظر. تقول: رقبت الشيء أرقبه رقوبًا، ورِقْبَةً ورِقْبانًا: إذا رصدته. والترَقُّبُ: الانتظار، وكذلك الارتقاب. وأَرْقَبْتُهُ دارًا أو أرضًا، إذا أعطَيته إياها فكانت للباقي منكما، وقلتَ: إن مُتُّ قبلك فهي لك وإن مُتَّ قبلي فهي لي. والاسم منه الرُّقْبَى، وهي من المراقبة؛ لأنَّ كل واحد منهما يرقب موت صاحبه)[1].

وقد استعمل بعض الفقهاء الترقب والمترقبات على مسائل ينبني الحكم فيها على ظهور وانكشاف وجود سببٍ للحكم، فهل يُعتبر الحكم فيها من وقوع السبب أو من ثبوته؟

وقد مر الكلام على ذلك.

والترقب والمراعاة ليس فيها استشراف للمستقبل بقدر ما هو تربص لحصول أحد احتمالات مؤثرة في حكم واقعة معينة، إلا أن فيها تقديرَوقوعِ شيء لم يقع، والتفاتًا لما لم يتبيَّن بتقدير أو ترتيب أثره عند تبيُّنه، وهو بهذا قريب لما نحن بصدده.

ج- الفقه الافتراضي:

وهذا الاسم هو أكثر الأسماء المستخدمة في الكتب والبحوث التي تناولت موضوع الفقه المستشرف للمستقبل، ولذا سنوليه مزيدًا من البيان والشرح في المبحث التالي:

١ انظر: تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (رقب).

المبحث الثاني

تعريف الفقه الافتراضي

جاء في اللغة: «افترض الجند: أخذوا عطاياهم، والشيء: فرضه، وفلانًا: أعطاه فريضة، والباحث اتخذ فرضًا ليصل إلى حل مسألة»[1].

فقد ظهر أن الافتراض في اللغة له معنيان: أحدهما بمعنى العطاء، والثاني: اتخاذ فرض -أي احتمال- للوصول إلى حل مسألة ما.

أما الافتراض في الاصطلاح: فإن «الفرض بمعنى التجويز العقلي؛ إذ للعقل أن يفرض المستحيلات والممتنعات أي يلاحظها ويتصورها»[2].

كما عرف الافتراض بأنه «تصور وضع مخالف للحقيقة يترتب عليه تغير الحكم –وهو أمر شائع عند الفقهاء- وهذا الافتراض لا يختص بالمستقبل فقط، لكنه يدل على اعتبار التصور العقلي لما هو غير موجود فعلًا وإصدار حكم له»[3].

وبعد عرض هذين التعريفين في الاصطلاح يتضح لنا أن الافتراض: هو فرض العقل لمسائل أو حوادث ممكنة الوقوع أو غير ممكنة الوقوع، يتصورها المجتهد ثم يصيغ لها حكمًا شرعيًّا.

والعلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للافتراض هي: أن التعريف اللغوي أعم وأشمل، حيث اشتمل على عدة معانٍ كالعطاء، والفرض بمعناه الشرعي: أي الواجب، والنصيب، إضافة إلى معنى الافتراض (التصور) الموجود في التعريف الاصطلاحي.

وأما عن تعريف الفقه الافتراضي في الاصطلاح فقد عُرِّف الافتراض الفقهي أو الفقه الافتراضي بتعريفات كثيرة ومتقاربة، وكلها تصب في معنى واحد هو الفقه المستمد من نظرة الفقيه المجتهد للمستقبل .

١ المعجم الوسيط، مادة (فرض).

٢ انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي (١٢٦٧/٢).

٣ الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٢١).

فقد عرفه بعضهم فقال: «هو افتراض صور لا وجود لها في الواقع لكن يمكن وقوعها مستقبلًا لتتنزل الأحكام على وقائع مفترضة فيستعد لها قبل وقوعها»[١].

كما عرِّف بأنه: «اجتهاد الفقيه في وضع الحكم الشرعي لما لم يقع بعد من الحوادث والنوازل المقدَّرة»[٢].

فمن خلال ما ذُكر يتضح لنا أن مفهوم الفقه الافتراضي هو: اجتهاد الفقيه في وضع الحكم الشرعي لحوادث لم تقع ويمكن حصولها استشرافًا للمستقبل بعد معرفة الواقع، بالاعتماد على النصوص الشرعية ومراعاة لمقاصد الشريعة.

محترزات التعريف:

- اجتهاد الفقيه: يخرج منه ماكان اجتهادًا من غير الفقيه.
- وضع الحكم الشرعي لحوادث لم تقع بعد: يخرج به ما كان من الحكم الشرعي لما وقع من القضايا.
- استشرافًا للمستقبل: يخرج منه ما كان من قبيل الماضي.
- اعتمادًا على النصوص الشرعية ومقاصد الشريعة: يخرج منه ما كان افتراضًا بغير اعتماد على الدليل ولا مراعاة لمقاصد الشريعة، وهو ما كان من باب الهوى والتشهي.

١ تجديد فقه السياسة الشرعية (الشورى نموذجًا) خالد بن عبد الله المزيني (ص٦٩).

٢ الفقه الافتراضي، عفاف بنت محمد أحمد بارحمة، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة الثلاثون، عام ١٤٣٩هـ، العدد (١١٠)، (ص٢٤٨).

المبحث الثالث

نشأة الفقه الافتراضي

لقد نشأ الفقه الافتراضي منذ عصر الرسالة، إلا أن نشأته كانت على سبيل التعليم للأمة وتوسيعًا لأفق المستنبطين، ومن الأدلة على ذلك: ما ورد في حديث البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنه: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أأحج عنها؟ قال: نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فهو أحق بالقضاء[1]. فقد قاس النبي ما لم يقع على ما يقع.

وكذلك الصحابة اتجهوا إلى الفرض والتقدير، وإن كانوا لم يُكثروا من ذلك.

وقد وُجد الفقه الافتراضي وسط فقهاء الرأي قبل أبي حنيفة، ويدل على ذلك أن الإمام الشعبي -من كبار التابعين- كان يشكو من أن الفقهاء في دراساتهم يقولون: أرأيت لو كان كذا، وقد روي عنه أنه كان يقول: «والله لقد بغَّض هؤلاء إلي المسجد فهو أبغض إلي من كناسة داري».

كما أن الإمام حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة قد أكثر من استنباط العلل وتفريع المسائل وافتراض الحوادث.

وأكثر من اشتهر بذلك مدرسة الرأي المتمثلة في الإمام أبي حنيفة وأصحابه، وقد توسعوا في ذلك أيما توسع حتى فرضوا المستحيلَ وبعيدَ الوقوع، ومرنوا على ذلك مرانًا عجيبًا.

وقد اعتمدوا كثيرًا على قوة التخيل فأدى ذلك بهم إلى أن أخرجوا للناس ألوفًا من المسائل، منها ما يمكن وجوده وحصوله، ومنها ما لا يحس الإنسان بوجوده على مر الزمن.

ومن هنا عُرفت هذه المدرسة بمدرسة «الأرأيتيّين»؛ لكونهم يفترضون الوقائع بقولهم: أرأيت لو حصل كذا، أرأيت لو كان كذا.

وقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن الإمام أبا حنيفة يعتبر أول من أحدث الفقه الافتراضي. إلا أن بعض الباحثين يرى أن أبا حنيفة لم يُحدث هذا الفقه وإنما نمَّاه ووسَّعه، يقول الإمام محمد أبو

١ أخرجه البخاري، (١٨٥٢).

زهرة رحمه الله: «نرى أن أبا حنيفة لم يُحدث الفقه التقديري لكنه نماه ووسعه وزاد فيه بما أكثر من التفريع والقياس، وأن الفقه التقديري وُجِد قبل أبي حنيفة في وسط فقهاء أهل الرأي»[١].

ثم تابع الفقهاء أسلوب الافتراض من بعد أبي حنيفة وافترض أتباعُ المذاهب الأخرى فتوسع الفقه الافتراضي أكثر من ذي قبل، ثم بدأ في التقهقر حتى خرج عن مقصوده بعد عصرهم، ولما وصل الفقه إلى مرحلة الجمود وتوقف الاجتهاد المطلق انقطعت صلة الافتراض بحوادث المجتمع ومقتضيات التطور، واستمر هذا الوضع قائمًا في التأليف الفقهي إلى أن اندرس الفقه الافتراضي وعاد الفقه واقعيًّا لا افتراض فيه[٢].

١ انظر: أبو حنيفة «حياته وعصره آراؤه وفقهه» للإمام محمد أبو زهرة (ص٢٦٠).

٢ الفقه الافتراضي وأثره في مستجدات العصر في الفقه الإسلامي للدكتور وفيق محمد حجازي ص٨١-٨٩، مؤسسة الضحى، بيروت، الفقه الافتراضي في مدرسة أبي حنيفة للدكتور عمر نهاد الموصلي ص٤٠-٤٣.

المبحث الرابع

حكم الفقه الافتراضي

الراجح جواز الفقه الافتراضي؛ والأدلة على ذلك كثيرة، ونقتصر على أهمها، وهو أن القرآن الكريم استعمل أسلوب الافتراض، ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ أَنا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} [النساء: ٦٦].

فهذا مما افترضه القرآن وبين حكمه، مع أن الله قد منع حصوله.

وما ثبت في صحيح مسلم من أن حذيفة بن اليمان كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشر مخافة أن يقع فيه[١]؛ فقد دل الحديث على أن حذيفة سأل النبي عن أمور لم تقع بعد، ولم ينهه صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: «وقد كان أصحاب النبي يسألونه عن حكم حوادث قبل وقوعها»[٢].

ومن المعقول: أنه ما من حادثة إلا ولله فيها حكم، والنصوص معدودة ومتناهية، ولا نهاية لما يقع من الحوادث إلى قيام الساعة؛ فلزم إعمال الرأي عند عدم النص فيكون إعمال النص بالقياس عملًا بالحكم[٣].

١ أخرجه مسلم، (١٨٤٧).

٢ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ، الحافظ ابن رجب(١/٢٥٦).

٣ الفقه الافتراضي في مدرسة أبي حنيفة (ص٧٧)، الفقه الافتراضي وتطبيقاته على النوازل المعاصرة للدكتور صلاح الدين خلوق ص٣٢، ٣٣، الفقه الافتراضي وأثره في مستجدات العصر في الفقه الإسلامي (ص١٤١).

المبحث الخامس

أهمية الفتوى الافتراضية

إن استشراف المستقبل وحسن الاستعداد لمواجهة مستجداته وأحداثه واتخاذ الأسباب اللازمة لمواكبة تطوراته دون الإخلال بمتطلبات الحاضر شأن ذوي العقول السليمة والفطر المستقيمة، بل هو منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: {فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ} [يوسف: ٤٧].

وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عكس ما اعتاد أن يسأل عنه أصحابه، فيما يمكن تسميته «استشراف المستقبل»، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: «كان الناس يسألون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَن، قلت: وما دخنُه؟ قال: قومٌ يهدون بغير هَدْيي، تعرف منهم وتنكر، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفْهم لنا؟ فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

فهو جواب لمسألة تقديرية يفترض فيها حذيفة رضي الله عنه عدم وجود إمام، فهو توقع ممكن الحدوث، وقد حدث.

وإن من أهم ما تحتاجه الأمم في حاضرها ومستقبلها ما تعتمد عليها في تنظيم أعمالها وعلاقاتها بين أفرادها، وبينها وبين غيرها من الأمم، وقبل ذلك بين أفرادها وخالقهم. ولا يخفى أن مسئولية إعداد هذا التنظيم إنما تقع على كاهل فقهاء الأمة، ولقد جاءت شريعة الإسلام بأحكام خالدة تكفل إسعاد البشرية ورعاية مصالحها في كل زمان ومكان ؛ غير أن كثيرًا من هذه الأحكام ليس بمتناول كثير

---

١ أخرجه البخاري، (٣٦٠٦).

من طلبة العلم فضلًا عن العامة؛ إذ لا يمكن أن يصل إلى معرفته إلا المجتهدون من العلماء، وبما أن من الطبعي أن هذا الصنف من العلماء قد لا يتوافرون في كل زمان وفي كل مكان، وقد تقع من الحوادث والمسائل والنوازل المستجدة ما يحتاج إلى أحكام فورية حاضرة لمعالجتها والتعامل معها كان من الضروري أن تنبري طائفة من أهل العلم والاجتهاد لإعمال أذهانهم وإطلاق العنان لخيالاتهم وتشجيع العامة أيضًا من خلال تقبل أسئلتهم فيما لم يقع بعد؛ لاستشراف مثل هذه المسائل والنوازل وافتراضها قبل وقوعها من أجل حسن الاستعداد لها بما يناسبها من أحكام حتى إذا وقعت لم يكن ثمة فراغ فقهي بل تكون أحكامها جاهزة، ورحم الله الإمام أبا حنيفة حين قال: «إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه».

وعلى هذا النهج سار العلماء والفقهاء رحمهم الله في العصور الأولى، بما افترضوا من المسائل واستنبطوا لها من الأحكام فتركوا لنا ثورة هائلة عظيمة حوتها عشرات الكتب.

وقد استجد في هذا العصر من العلوم الشيء العظيم الذي لم يخطر على قلوب السابقين؛ وظهرت مسائل ونوازل تحتاج إلى أحكام جاهزة وحلول حاضرة.

الأمر الذي يحتم على مجتهدي هذا العصر القيام بمهمتهم لسد هذا الفراغ الفقهي المتوقع خدمة للأجيال القادمة كما خدمنا علماؤنا الأوائل.

إن الفتاوى الافتراضية من الأهمية بمكان بحيث لا تخفى على ذي لب؛ فالفقه الافتراضي لم يكن نوعًا من الترف الفقهي كما يدعي البعض، وأن الفقهاء سطروا كل المسائل وجلسوا فارغي اليد، فشغلوا وقتهم بهذا الافتراض، فهذا كلام عارٍ عن الصحة؛ لأن الوقائع والمستجدات الحديثة أثبتت خلاف ذلك، فلله در تلك العقول التي افترضت تلك المسائل!

ومن ثمار الفقه الافتراضي ما يلي:

١. سد الفراغ الفقهي المتوقع وتجهيز الأحكام للمسائل والنوازل والحوادث المستجدة قبل وقوعها.

٢. تدريب طلبة العلم وشحن أذهانهم وصقل تفكيرهم وتوسيع مداركهم وتقوية ملكاتهم الفقهية.

٣. تيسير الأمر على مجتهدي العصور اللاحقة عند النظر في نوازل عصرهم من خلال ما تم توفيره بين أيديهم من الفتاوى الافتراضية الجاهزة، فيختارون منها ما يناسب النازلة محل الاجتهاد.

٤. يعتبر الفقه الافتراضي رحمة من الله تعالى بهذه الأمة؛ حيث يثبت شمولية الفقه الإسلامي، وأن الفقهاء لم يتركوا شيئًا إلا وتحدثوا فيه سواء وقع أو لم يقع، وحتى لا يُترك المسلمون في حيرة من

أمرهم إذا حدث لهم حادث فيكون ذلك طعنًا في الدين والشريعة، ووصفهما بالعجز والقصور عن معالجة المستجدات والحوادث المعاصرة.

٥. يعطينا الفقه الافتراضي الدلالة على أن أقوال الفقهاء الأجلاء لا يُطرح منها قول أبدًا، ولكن يُنتظر الزمان والمكان المناسبان ليُعمل بهذا القول وهذا الحكم.

وجدير بالذكر أن الأمة التي لا تستشرف وتدير المستقبل لا يمكنها التفاعل الإيجابي مع الحاضر، وستبقى حبيسة ردود الأفعال التي تساهم في تأخرها وتخلفها، وستعيش تلك الأمة على وقع المفاجآت والحلول الاستعجالية التي تساهم في تحقيق خطط الغير.

الفصل الثاني

ضوابط وأسس الفقه الافتراضي

(وفيه ثلاثة مباحث)

١.الضوابط العامة للفقه الافتراضي.

٢.أنواع ما يدخل في الفقه الافتراضي.

٣.طرق معرفة ما يستوجب البحث في الفقه الافتراضي.

المبحث الأول

الضوابط العامة للفقه الافتراضي

أ-وجود نص يُبنى عليه الافتراض:

فلا بد من وجود نص يكون بمنزلة المرجعية للفقيه يفترض بناءً عليها، وكل فقيه لم تخرج أصول مذهبه عن نص قرآني أو نبوي أو أصول بنيت عليها كالقياس والاستحسان.

ب-أن يكون الافتراض في دائرة الممكن:

فلا بد أن تدخل افتراضات الفقيه في دائرة الممكن، أي في دائرة ما يستطيع البشر التعامل معه بالعلم الحديث؛ لأن دائرة المستحيل لا يقدر عليها إلا الله.

ج-توفر الأدوات الفقهية المؤهلة لممارسة الافتراض:

ويُقصد بها العلوم التي يجب أن يلم بها الفقيه لممارسة الفتوى بدايةً، وهي معرفة القرآن وعلومه ومعرفة السنة وعلومها ومعرفة أصول الفقه ومعرفة القواعد الفقهية.

د-أن يكون الافتراض في المتغيرات والظنيات:

فلا تتطرق المسائل الافتراضية إلى القطعيات والثوابت الدينية كأمور العقيدة؛ فقد يُقبل افتراض ظهور مخلوقات أخرى غير الإنسان في كوكب آخر، لكن لا يمكن أن نفترض وجود خالق آخر لمخلوقات أخرى.

هـ-مراعاة المسائل الافتراضية للأخلاق العامة:

إن أي اجتهاد فقهي لا يراعي البعد الأخلاقي هو اجتهاد باطل؛ فإن مقاصد الشريعة كلها مبنية على مراعاة الجانب الخُلُقي[1].

١ انظر: الفقه الافتراضي وأثره في الأحكام المعاصرة (دراسة تطبيقية) للدكتور رمضان السيد القطان، مجلة الشريعة والقانون، العدد ٢٥، المجلد الأول ٢٠١٠م، (ص٢٣-٢٥)، الفقه الافتراضي وتطبيقاته على النوازل المعاصرة (ص٢٧-٢٩).

المبحث الثاني

أنواع ما يدخل في الفقه المستشرف للمستقبل

إذا أردنا أن نرصد ونحدد ما يمكن للفقيه أو المتصدر للفتوى تقديمُه من خلال تطلعه للمستقبل، ورصده للتغيرات المتعلقة بدوره الشرعي فإننا يمكننا أن نقسم ذلك إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: بيان حكم مسألة لم تقع بعد، ويوجد ما يدل على احتمال وجودها:

وهذا النوع أوضح الأنواع التي تدخل في الفقه المستشرف للمستقبل؛ فإن الدراسات العلمية والأبحاث المتعلقة بالتقنية قد تدل على إمكانية أو قرب التوصل لاكتشاف علمي أو اختراع جديد؛ فيقوم الفقيه بدراسة حكم العمل نفسه ثم بدراسة آثاره ونتائجه ومن ثم يبين الحكم الشرعي للنازلة الجديدة.

ومن أمثلة ذلك: الاستنساخ البشري؛ فإن بعض الباحثين بادروا إلى بحث حكمه وآثاره، مع أنه لم يحصل بعدُ في الواقع[١].

النوع الثاني: بيان حكم مسألة سيتغير مناط حكمها أو وصف مؤثر فيه:

والتغير الذي قد يطرأ في المستقبل على المناط مغيِّرًا للحكم على أنواع، منها: تغير الحكم بالنسبة لحال المكلَّف نفسه، والمراد به: اختلاف الحكم بحسب الشخص أو الزمان أو المكان، وعليه يُحمل ما ورد من النصوص التي بيَّنت أفضل الأعمال وأحبها إلى الله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟

١ انظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٥٤).

٢ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٢٦)، ومسلم، (٨٣).

قال: «الجهاد في سبيل الله»[١].

فهذه الأحاديث وما شاكلها حُمل اختلاف الجواب فيها على اختلاف حال السائلين أو السامعين.

ويفصل هذا الأمر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول: «والتنوع قد يكون في الوجوب تارة وفي الاستحباب أخرى؛ فالأول مثل ما يجب على قوم الجهاد وعلى قوم الزكاة وعلى قوم تعليم العلم وهذا يقع في فروض الأعيان وفي فروض الكفايات... وأما في الاستحباب فهو أبلغ؛ فإن كل تنوع يقع في الوجوب فإنه يقع مثله في المستحب، ويزداد المستحب بأن كل شخص إنما يستحب له من الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى التي يقول الله فيها: {وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه} ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به، والأفضل له من الأعمال ما كان أنفع له، وهذا يتنوع تنوعًا عظيمًا فأكثر الخلق يكون المستحب لهم ما ليس هو الأفضل مطلقًا؛ إذ أكثرهم لا يقدرون على الأفضل ولا يصبرون عليه إذا قدروا عليه، وقد لا ينتفعون به بل قد يتضررون إذا طلبوه مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق إذا طلب ذلك فإنه قد يفسد عقله ودينه، أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغنى، أو لا يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر على حقوقها»[٢].

ويقول أيضًا: «ومن هذا الباب صار الذكر لبعض الناس في بعض الأوقات خيرًا من القراءة والقراءة لبعضهم في بعض الأوقات خيرًا من الصلاة وأمثال ذلك لكمال انتفاعه به لا لأنه في جنسه أفضل»[٣].

والحاصل أن الفقيه قد يفتي بوجوب أو استحباب أو تحريم شيء لاعتبارات، ثم يظهر ما يدل على أنه ستتغيَّر هذه الاعتبارات؛ فيبيِّن أنه ستتغير هذه الأحكام إلى غيرها.

ولذا قد يؤكِّد الجهاد أو الرد على أهل البدع أو الإنكار على العصاة، ثم يؤكد في حين آخر على إصلاح النفس وتهذيبها بالذكر والتعبدات، ولو على حساب ما سبق؛ لأنه كالطبيب ينظر في كل ما يُصلح المكلَّفين بالنظر لما يحيط بهم من تفاوت قدرتهم أو ظروفهم زمانًا ومكانًا ومستوى إيمانهم وانتفاعهم.

وذلك مثل: تغير الحكم بالنظر لتحقق شرط الوجوب أو الاستحباب في المكلَّف؛ فالزكاة تجب بملك النصاب فإذا نقص ما يملكه بعد ذلك عن النصاب لم يجب عليه.

١ متفق عليه: أخرجه البخاري، (٢٧٨٢)، ومسلم، (٨٥).

٢ مجموع الفتاوى (١١٨/١٩، ١١٩).

٣ مجموع الفتاوى (١٩٨/٢٤).

ومثل تغير الحكم بالنظر لقدرة المكلَّف؛ فالوضوء يجب بالقدرة عليه، ويسقط الوجوب بعدم القدرة ويلزم التيمم.

ومثل: تغير الحكم بالنظر لوقوع المكلف تحت ظرف يوجب التيسير؛ كالاضطرار؛ فالمضطر ينقلب الحرام في حقه حلالًا.

فعلى الفقيه أن يبحث ويتأمل لحكم كل مسألة وجد أن مناط حكمها سيتغير، ويترتب على ذلك أن يدرك الفقيه تأثيرات الاحتمالات المستقبلية، وأثرها على المناطات التي تُبنى عليها الأحكام، وهو عمل شاق ودقيق[١].

النوع الثالث: التوجيه بما يحقق المصلحة العامة حسب حالة الأمة المستقبلية:

فالفقيه إذا استشرف مستقبلًا معينًا أو دلت الدراسات عليه فإنه يوجّه إلى ما يكون به حال الأمة أقرب إلى الصلاح، وذلك ببيان الحلول الشرعية للمشكلات القادمة؛ فيوجه المجتمع قبل حصول المشكلة إلى خطة معينة أو وسيلة محددة يسلكها إما مطلقًا أو في حالات معينة.

فإذا استشرف الفقيه مثلًا ازدياد الحاجة للتسهيلات المالية في وقت معيَّن فيمكنه التأكيد على عدة طرق شرعية للحصول عليها حتى لا يلجأ أحد للوسائل المحرمة.

وإذا استشرف ازديادَ التواصل المعرفي والانفتاح اجتهد في تعليم وبيان طريقة التعامل الشرعي مع الاختلاف وتباين الرأي، وكذلك فإنه قد يمنع أو يأذن بما يكون سببًا لتحقق مصالح أو منع مفاسد حسبما يظهر من احتمالات مستقبلية[٢].

النوع الرابع: بيان ملحظ الحكم المتوقَّع تغيُّره واحتماليةُ تغيره مستقبلًا:

إن تغيُّر الرأي الاجتهادي فيما يسوغ فيه الاجتهاد ليس عيبًا يُتهم به صاحبه بل إنه طبيعة إنسانية أصيلة.

ولقد تغيرت آراء الفقهاء العظام وتبدلت أقوالهم؛ فالشافعي رحمه الله أفتى في مصر بخلاف ما أفتى به في العراق، وليس ذلك لاختلاف البيئات بل لتغير موقفه من القول نفسه؛ فقد أُثر عنه قوله: «ليس في حل من روى عني القديم».

١ انظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٥٥-٥٩).

٢ نظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٥٩-٦٢).

كما غيَّر الإمام أحمد رحمه الله كثيرًا من آرائه وفتاويه، ولذا يُنقل عنه في المسألة الواحدة أكثرُ من رأي.

ومن هذا يتبين أن تغير الحكم لتغير الملحظ الذي بُني عليه قد يكون سببًا للقدح في الفقيه، مع أنه من المشهور أن الفتوى تتغير بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد.

وينبغي على الفقيه أو المتصدر للفتوى أن يهيئ الناس لهذا التغير لو وُجِدت أسبابه حفظًا لجانب الفقه أن يقدح فيه سفيه.

والذي يتغير من الأحكام بتغير الأزمان إنما هي المبنية على العرف والعادة، ومثال ذلك عند الفقهاء المتقدمين أنه إذا اشترى أحد دارًا اكتفى برؤية بعض بيوتها، وعند المتأخرين لا بد من رؤية كل بيت منها على حدته، وهذا الاختلاف منشؤه اختلاف العادة في أمر الإنشاء والبناء؛ ففي القديم كانت العادة في البناء أن تكون جميع البيوت على طراز واحد، فكانت رؤية بعضها تغني عن رؤيتها كلها، وأما بعد ذلك فقد اختلفت البيوت في الشكل والحجم فلزم عند البيع رؤية كل منها على الانفراد.

وأيضًا قد يتغير الحكم تبعًا لتغير المصلحة التي ينبني الحكم عليها، فمتى حرَّم الفقيه شيئًا لأن مفاسده غالبة أو أباحه أو استحبه لغلبة مصالحه ثم تغير الحال فعلًا فإن الحكم يتغير تبعًا لذلك.

ومن أمثلة ذلك ما قرره الإمام ابن القيم، من أن جعل الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاث تطليقات كان في عهد عمر بن الخطاب، بينما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن خليفته أبي بكر يُجعل طلقة واحدة فقال: «فهذه المسألة مما تغيرت الفتوى بها بحسب الأزمنة؛ لما رأته الصحابة من المصلحة؛ لأنهم رأوا مفسدة تتابع الناس في إيقاع الثلاث لا تندفع إلا بإمضائها عليهم، فرأوا مصلحة الإمضاء أقوى من مفسدة الوقوع»[١].

فمن دور الفقيه التأكيدُ على سبب الحكم ومَلْحَظه إذا وُجِد احتمال تغير هذا الملحظ[٢].

النوع الخامس: تفقيه الناس بحسب قدراتهم تدرجًا بهم لما يتطلع إليه المفتي منهم مستقبلًا :

إن تعامل المصلحين مع الواقع مهما كان رديئًا لا بد أن يستهدف الارتقاء بهم شيئًا فشيئًا؛ فلا تكون فتاوى المفتي تحريرًا نظريًّا للأحكام الشرعية، بل تكون هادفة للارتقاء بالمكلف مراعية الحكم

---

١ إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/٣٨).

٢ انظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٦٢-٦٨).

المناسب له في الحال والمنزلة التي يتطلع لتحقيقها في المستقبل.

كما أن فساد الأحوال وتغير الأزمان قد تبيح للعالم أن يفتي بغير الراجح بغية تحقيق مصالح الناس، وهذا ما قرره غيرواحد من الفقاء، فقد قال السبكي: «إذا قصد المفتي الأخذ بالقول المرجوح مصلحة دينية جاز».

والفقيه يقوم بذلك مراعيًا حالًا مستقبليًّا يريد أن يرتفع المستفتي لها، ولا يقوم به محكومًا بواقع المستفتي فقط؛ فإن الشريعة الإسلامية ليس من شأنها أن تخضع لواقع الحياة بل ليخضع لها واقع الحياة، ومن هنا يكون التعامل مع الواقع بالنظر لتغييره[١].

١ انظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٦٨-٧١).

المبحث الثالث

طرق معرفة ما يستوجب البحث عن الأحكام الشرعية المتوقع حصول مقتضياتها من المسائل المستقبلية



إن محاولة استطلاع ما يستجد من النوازل أو يتغير من الأوضاع والتعرف عليه إنما يتم من خلال عدة طرق، منها:

أ-معرفة الواقع والتمعن فيه وفي ملحظ الأحكام الفقهية المتعلقة به:

فإن معرفة الواقع أساس فهم المستقبل؛ إذ المستقبل امتداد للواقع، وبمعرفة مناط الحكم الواقعي يظهر إمكان تغيره من عدمه باعتباره مبنيًّا على ملحظ متغيِّر أو لا.

وأساس دراسة المستقبل هو رصد التغير وفهم طبيعته ومدى استمراريته، وكلما زادت المعلومات والمعطيات عن واقع المجتمع كان ذلك أقدر على رؤية المستقبل بشكل أكثر وضوحًا، فالحاضر بإمكاناته وآماله مدخل للمستقبل.

وكذا فهم الماضي وما نتج عنه من تداعيات مواقفه يتيح الفرصة لاستنتاج المستقبل وفهم آليات التطور وتتابع المراحل وإفرازاتها[١].

ب-الاطلاع على الدراسات المستقبلية في كافة المجالات:

فالتقنية الحديثة تؤثر في صحة الإنسان ونفسيته ونظامه الاجتماعي وموارده الاقتصادية، فمتابعة مسار التقدم التقني أمر مهم فما تقرر هذه الدراسات المستقبلية إمكانه فلا بد من بحث ما يترتب عليه حسبما توضحه تلك الدراسات، وهي تدرس آثار هذا على الميادين الصناعية والطبية والواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فملاحظة ذلك يعطي تصورًا عما يمكن حصوله مما قد يكون له تأثير على الواقع أو استحداث لما لم يقع سابقًا[٢].

ج-دراسة مسيرة وتوجُّه المجتمعات:

فمن خلال تأمل ومتابعة الظواهر الحادثة في أي مجتمع وتحليل مضمونها وأسبابها، وذلك من خلال الاستعانة بالمصادر العديدة التي تغطي جوانب الظاهرة المختلفة فيمكن توقُّع أن اتجاهات معينة ستسود المجتمع في المستقبل، وهذا نوع من الدراسة المستقبلية لكن تأثيره على الواقع واضح، ولا شك أن الأحكام المترتبة على الأعراف والأحوال تتغير تبعًا لها.

١ انظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٧٤).

٢ انظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٧٥).

والفقيه عندما يستعد لمثل ذلك في فتواه وهو يتصور التغير ويستعد له ويهيئ الناس لفهمه وفهم سبب تغير فتواه يكون قد أخذ من الفقه المستشرف للمستقبل بأوفر نصيب.

ولقد درس الفقهاء المعاصرون بعض قضايا العصر كقضية النمو السكاني، وهل يجوز ضبطه أو تحديده، ولو أتيح للفقه الإسلامي أن يستفيد من نتائج الدراسات المستقبلية لكانت دراسته لهذه القضايا أتم وأكمل، فالدراسات المستقبلية تبيّن أن النمو السكاني الحالي سيعرف استقرارًا أو بطئًا بعد بضعة عقود، وقد ثبت أن للحياة المدنية آلياتها الخاصة التي تبطِّئ من تزايد عدد السكان كظاهرة التمدن مثلًا، ونقول أيضًا: إننا نعيش بداية ثورة جديدة، وهي التكنولوجيا الحيوية سيكون من أهم آثارها مضاعفة الإنتاج الغذائي مرات ومرات بالنسبة إلى المعدل الحالي.

ومثل ذلك يقال عمَّا صدر من فتاوى لصور جزئية بالنظر لمصالح أو مفاسد فيها معرَّضة للتغير فإن على الفقيه الاستعداد له كأشكال الدول وتوقعات النمو والركود الاقتصادي ونحوها[١].

د-إعداد دراسات مستقبلية فقهية:

تقوم هذه الدراسات باستعمال تقنيات الدراسة المستقبلية المناسبة لتصور المسائل الممكنة، ويمكنها مع الممارسة العملية ابتكار وسائل خاصة بالدراسة المستقبلية الفقهية، كما وُجِد نظير ذلك في المجال القانوني.

ومن أهم خصال دارس المستقبل سعة تصور وجرأته في التوليد والقياس، وتلك هي صفات الفقهاء، ولذا فإن الفقهاء ترشحهم ممارساتهم الفقهية الاجتهادية لأن يتقنوا استشراف المستقبل بمهارة أكبر من أي مهارة يملكها غيرهم.

ولا بد أن يكون للفقه الإسلامي كلمة في تطورات هذا الزمن المعاصر، ولا بد أن يقدم رأيه في الأحداث التي يموج بها هذا العصر؛ فإن الاتصال بهذا العلم يسمح للفقه بأن يكون له حضور في قلب العصر يتأمل في مشاكل المستقبل ويدرسها ويفتي فيها[٢].

١ انظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٧٥-٧٧).

٢ انظر: الفقه الارتيادي نظرات في الفقه المستشرف للمستقبل (ص٧٧).

الفصل الثالث

فوائد الفتوى المستقبلية ونماذج منها

(وفيه مبحثان)

١.فائدة الدراسات المستقبلية واستشراف المستقبل بالنسبة للدعاة والمفتين.

٢.نماذج من الفتاوى الافتراضية في التراث الفقهي.

المبحث الأول

فائدة الدراسات المستقبلية واستشراف المستقبل بالنسبة للدعاة والمفتين

إن الدراسات المستقبلية هي جهد علمي منظم يرمي إلى تحديد احتمالات وخيارات مختلفة مشروطة لمستقبل قضية أو عدد من القضايا خلال مدة مستقبلية محددة بأساليب متنوعة اعتمادًا على الدراسات المعنية بالحاضر والماضي.

ودور الدراسات المستقبلية ليس في إصدار نبوءات، وإنما هدفها هو تحديد الاتجاهات والوصول إلى مستقبل مرغوب فيه واقتراح استراتيجيات لتحويله إلى مستقبل ممكن؛ فالأمر يتعلق بتسليط الأضواء على الاختيارات بغية مساعدة صانعي القرارات للتوجه نحو الأهداف الطويلة المدى، مع اطلاعهم على التدابير الواجب اتخاذها في الحين قصد الوصول إليها.

إنَّ ما عليه حال المسلمين اليوم هو نتيجة تراكمات حالهم وأوضاعهم في الماضي، وما سوف تئول إليه أحوالهم في المستقبل هو نتيجة ما هم عليه اليوم.

وإذا كانت الفكرة السائدة أن المستقبل لدين الإسلام فإننا يجب أن نتساءل كم أعددنا لهذا المستقبل، أم أن المستقبل سوف يأتي لنا جاهزًا على طبق من ذهب؟ وعلى هذا يمكن أن تكون أوضاعنا أفضل كأفراد وجماعات إذا أعددنا أنفسنا بأفضل ما نستطيع، أو بالتعبير القرآني (التقديم للنفس)، وهذا التقديم قد يكون بخير أو بشر، ولكل منهما عواقبه:

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: ١١٠].

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [الأنفال: ٥١].

والمفتي الداعية إلى الله هو الأقدر بين الناس على تلمس مواطن الخير، والأنقى قلبًا، والأثقب نظرًا في الرؤية في المدلهمات؛ إذ هو ينظر بنور الله، {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام: ١٢٢]؛ فهذا النور المنبثق من قلب المؤمن الذي يمشي به في الناس كما هو التعبير القرآني يجعله قادرًا على اختراق حجب غيب النفس البشرية للمقابل فيلحظ ويكتشف التغيرات واللمحات والتعبيرات ولحن

القول، ويتأيد هذا بقوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله»[١].

والسكينة التي ترافق المؤمن واستقرار قلبه هي من عوامل النصر وزيادة الإيمان، ويدل لذلك سورة الفتح؛ فالنصر والفتح العزيز له مقدمات وله إعداد لكي يأتي نصر الله العزيز.

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح: ٤].

فهذه السكينة لا تكون إلا لمؤمن متصل بالله يمشي على صراط مستقيم.

وزيادة الإيمان لا تنحصر في الجانب المعنوي، بل إن آثاره تمتد إلى التأثير الحياتي المعاش، وهذا هو الإيمان الفاعل الإيجابي؛ فالمؤمن يظل يعمل بالبركة الربانية ويطلبها ويعتمدها منهجًا في حياته.

إن أساس الدعوة الإسلامية هو الأخلاق، ومجرد التربية الدعوية الأخلاقية لا تعني في مجال الدعوة والإفتاء شيئًا كثيرًا ما لم تساندها وتعضدها تربية تخطيطية؛ فالخطاب الإسلامي في المرحلة القادمة ينتقل إلى مرحلة العالمية فالبقاء على الخطاب المحلي المرحلي سوف يخرجه من دائرة صنع القرار ويبقيه تابعًا لأولئك الذين يخططون ويدرسون المستقبل.

إن الدراسات المستقبلية تخرجنا من أسر التعصب للماضي بتبعاته إلى الفضاء المستقبلي الرحيب، وتجعل المفتي أكثر ارتباطًا بالواقع.

إن العمل الإسلامي لا تليق له الارتجالات والعفويات بل يحتاج إلى وقت طويل للنضج غير المتكلف، ويمكن غرس مهارات التخطيط واستشراف المستقبل منذ مرحلة مبكرة لدى بعض الدعاة وندعهم يمرون بالمراحل المتتابعة التي توصل إلى النضج والمهارة، ويمكن أن يُعان المفتي الذي يختاره تخصصًا له بتعليمه علم الإدارة وعلم القيادة وعلم الإبداع عبر دوراتٍ باعتبارها علومًا مساندة لعلم التخطيط.

وإذا كان هذا العلم واردًا من الغرب ويتساوى في استقباله وإتقانه الجميع إلا أن الداعية والفقيه يمتلك ما يتيح له أن ينفذ متطلباته بشكل أدق مما تقوم به الوزارات المعنية وغيرها، لا سيما الجزء المتعلق بالتناظر والقياس والإسقاط بالقرينة فإن الدعوة مرشحة لامتياز فيه أيضًا؛ لأن الفقه ديدن دعوي دائم، والفقه كله قياس وتعليل واشتغال بالأشباه والنظائر، ومنهجية التربية الدعوية تراعي ذلك جدًا، وتجعل صنعة الاجتهاد رائجة، وهذا يعني امتلاك الدعاة دربة على القياس والاقتران،

١ سبق تخريجه.

بينما تلميذ الدراسات التخطيطية لا تتوفر له دربة ولا حوارات فقهية فيكون أقل مهارة في هذا الباب، فيلجأ إلى تقليد ونقل حرفي عن غير بينة.

فهي تخرج المفتي من دائرة ردود الأفعال إلى دائرة الفعل والتحضير للفعل ضمن تصورات واضحة بدلًا من العفوية.

والدراسات المستقبلية تخفف من ثقل أعباء الحاضر، وتطلق العنان للخيال ضمن منهجيات معينة لكي ينساب المفتي في أرجاء الأفكار لسنوات قادمة لرسم تصورات وتشخيص عقبات، فهي سياحة فكرية مستقبلية ضمن مقاصد الشريعة وأهدافها السامية العليا في النفس والحياة من خلال خطوط رئيسة لا تغرق كثيرًا في التفاصيل والجزئيات[1].

ويفيد الفكر المستقبلي الداعية والمفتي والمجتهد في أمور متعددة أهمها ما يأتي:

١-تفيد الدراسات المستقبلية الدعاة إلى الله في تحصينهم وحمايتهم من بعض المواقف السلبية؛ فهناك مظهر سلبي عام ينتج من ضعف التكيف مع المستقبل، ويسبب التشاؤم والعزلة الاجتماعية وغيرهما من الأمراض النفسية يطلق عليه «صدمة المستقبل»، وهذه الصدمة هي العجز الذي يذهل عن التكيف الذي يأتي في ركاب الميلاد المبتسم للمستقبل.

وتختلف طرق الاستجابة لصدمة المستقبل باختلاف الأشخاص، كما تختلف أعراضها تبعًا للمرحلة التي وصل إليها المرض وحدَّة الإصابة به، وهذه الأعراض تبدأ بالقلق ومعاداة السلطة والعنف الذي يبدو بلا معنى، مرورًا بالمرض البدني والكآبة وفتور الشعور، كما يتذبذب أصحابها بين مختلف الاهتمامات وأساليب الحياة ويتبع ذلك رغبة في التقوقع من خلال الانسحاب الاجتماعي والثقافي والعاطفي.

ومن أمراض صدمة المستقبل المؤثرة على عمل الداعية الشعور بالوحدة النفسية، وهو إحدى المشكلات الناجمة عن التغيرات السريعة والتقدم المذهل في كثير من نواحي الحياة وتدني التزام الأفراد بالقيم الدينية والأخلاقية. ومفهوم الوحدة النفسية من المفاهيم التي لاقت اهتمامًا كبيرًا من قِبَل الباحثين في علم النفس، وهو يتمثل في عدم قدرة الفرد على المشاركة الاجتماعية وتمركزه حول ذاته ونفوره عن الآخرين.

وقد برهنت الدراسات العلمية على وجود ارتباط موجب بين الشعور بالوحدة والتشاؤم، ووجود

١ انظر: فقه العواقب «الدراسات المستقبلية» والدور الحضاري للأمة الإسلامية في ضوء السنن الربانية وضرورته للمفتي، بحث محكم من إعداد: نضال محمد الغطيس، ضمن بحوث مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل (ص٥٥٤-٥٥٨).

ارتباط سالب بين التفاؤل والشعور بالوحدة، وهو ما يدل على وجود علاقة بين تفاؤل الداعية ومشاركته في المجتمع إيجابًا، ووجود علاقة بين تشاؤم الداعية وانعزاله عن المجتمع والتأثير فيه.

ويفيد إجراء الدراسات المستقبلية في منع تسلل التشاؤم –الذي تحدثه صدمة المستقبل- إلى نفس الداعية، وفي نقل الداعية المتشائم من المستقبل إلى حالة من التفاؤل المثمر، وذلك من خلال عرض مشاهد المستقبل عليه، وإقناعه بأن المستقبل في عقل الإنسان ليس واحدًا بل مستقبلات، وإعلامه بأن له أثرًا فاعلًا في جميع هذه المشاهد، إما أثرًا انطلاقيًّا أو دفاعيًّا أو محافظيًّا أو هجوميًّا؛ فهي تنبهه إلى طرق عديدة يمكن أن يسلكها بدل الدرب الطريق الذي كان يراه محتومًا؛ فالدراسات المستقبلية تغذي في المرء شعوره بالتفاؤل بجعلها أحد المشاهد يتصف بالتفاؤل، ومن خلال تعدد نظرها إلى المستقبل فهي تدل على مستقبلات لا مستقبل واحد، وفيها يتبين الإنسان قدرته على تغيير المسار السلبي في توجهات الأحداث أو تخفيفه أو مواجهته، فهي تولّد التفاؤل تجاه المستقبل والقدرة على الفعل فيه. وبذلك نحافظ على فاعلية الدعاة واختلاطهم في المجتمع بصورة إيجابية وحمايتهم من العزلة السلبية وعدد من المظاهر الناتجة عن صدمة المستقبل.

وخلاصة القول: أن الدراسات المستقبلية تُحدث تغيرًا جيدًا في التفكير، وتذكِّر بقدرة الإنسان على الفعل والتغيير، وبخاصة لدى أصحاب التفكير السلبي إزاء المستقبل[١].

٢-إن إهمال النظرة المستقبلية والدراسات المستقبلية يؤدي إلى عدم منع المشكلات قبل نشوئها مما يؤدي إلى تفاقمها وصعوبة علاجها، فمن المواقف السلبية للدعاة إلى الله ترك بعض المشكلات حتى تحدث ثم يسعون في إيجاد علاج لها، والقاعدة الشرعية أن الدفع أولى من الرفع؛ فالمجتمع الإسلامي بحاجة إلى الدعاة والمفتين ممن يحملون نظرًا مستقبليًّا يستبقون به المشكلات قبل حدوثها، فيحسمون مادة وجودها، لا سيما المشكلات الكبرى والفتن العظمى، وإلا فستظل الجهود مركزة في محاولة التصدي للأحوال الطارئة أكثر من التخطيط للمستقبل، وهذا الأسلوب من شأنه أن يقلِّص إمكانيات التفكير المنهجي ذي المدى البعيد، ويشجع على أسلوب حل كل مشكلة بعد حلولها لا الاحتياط من نشوئها[٢].

٣-من الصفات التي يجب توافرها في المفتي فهم الواقع والفقه فيه؛ فمن واجب المفتي أن يكون بصيرًا بزمانه فاهمًا لواقعه؛ لتكون فتاواه مبنية على تصور سليم واستنباط قويم، والمفتي الذي لا يعرف الواقع الذي يفتي فيه يخطئ في كثير من فتاويه ويعرض الناس إلى النفرة من الدين.

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٨٤٦-٨٥٢).

٢ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٨٥٢-٨٥٤).

ومن المتفقهين من انشغل بطلب الفقه الماضي وقصَّر في الفقه الحاضر الذي يحتاجه أكثر الناس اليوم، وهذا تقصير في النظر يؤثر على حاجة الناس الحاضرة والمستقبلة.

وتقدِّم الدراسات المستقبلية بصفة عامة فهمًا متميزًا للواقع يفيد المجتهد والمفتي بالتعرف على حقيقة الواقع كما هو سياسيًّا كان أو اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا أو غير ذلك[١].

٤-من شروط المفتي والمجتهد أن يكون متيقظًا، وهذا مما توفره الدراسات المستقبلية.

٥-تحقيق مبدأ الشورى للمفتي والمجتهد بأفضل صورة ممكنة عن طريق استشارة المؤهلين المتخصصين؛ فإن المجتهدين وأهل الفتوى مهما بلغوا من سداد الرأي وسعة العلم فإنهم أقل صوابًا مما لو استبدوا برأيهم ولم يستشيروا من هم أهل للاستشارة.

وقد أمرت الشريعة الإسلامية بالرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص كل في تخصصه وحقله. وقد اقترح بعضهم أن تنبري طائفة من ذوي الأهلية والاختصاص في كل مجتمع مسلم لدراسة الواقع القائم وتحليل بياناته واتخاذها أساسًا للتنبؤ بالاحتمالات المستقبلية.

والمتأمل في أسلوب (دلفاي) الذي استخدمته المدرسة الأمريكية، والذي شاع استخدامه في الدراسات المستقبلية -وخاصة في المجال التربوي- يجد أن هذا الأسلوب مقتبس من مبدأ الشورى في الإسلام، فهو لا يعدو أن يكون استشارة لأهل الاختصاص والخبرة في الأمور المستقبلية المتعلقة بتخصصهم .

والواقع أن كثيرًا من الاجتهادات والفتاوى تمس المستقبل أكثر مما تمس الحاضر أو الماضي؛ لذا فإن الشورى هي أمثل الطرق لتحقيق الاقتراب من الصواب؛ فتحمي المستقبل من أخطاء الإفتاء والاجتهاد فتتحسن صناعة المستقبل الإسلامي[٢].

٦-من الأمور المهمة للمجتهد النظر في مآلات الأفعال، وهذا هو ميدان الدراسات المستقبلية ومجالها الأساس.

يقول الشاطبي: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يئول إليه ذلك الفعل، مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل

١ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٧٢٠، ٧٢١).

٢ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٧٢٢، ٧٢٣)، أسس دراسة المستقبل في التربية الإسلامية (ص١٥٩-١٦١).

على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعًا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جارٍ على مقاصد الشريعة»[١].

وهذه الصعوبة تسهلها له الدراسات المستقبلية أو بعض أساليبها[٢].

٧-من شروط المفتي عند بعض العلماء أن يكون فقيه النفس، ويُعد وصف (فقيه النفس) من أنفس صفات علماء الشريعة، وهي رتبة يصل إليها العالم عند تقدمه في العلم والطلب. ومن خاصة هذا العالم أمران: أحدهما: أنه يجيب السائل على ما يليق به في حالته على الخصوص إن كان له في المسألة حكم خاص، بخلاف من دونه من الفقهاء، فإنهم إنما يجيبون من رأس الكلية من غير اعتبار بخاص.

والثاني: أنه ناظر في المآلات قبل الجواب عن السؤالات، بخلاف من دونه من الفقهاء فإن الواحد منهم لا ينظر في ذلك، ولا يبالي بالمآل إذا ورد عليه أمر أو نهي أو غيرهما، وكان في مساقه كليًّا[٣].

وفقه النفس قريب مما يطلق عليه في الدراسات المستقبلية (الحدس)، وإذا كانت لدى المفتي القدرة عليه فإنه يفيده في حدس حال من يستفتيه. قال الخطيب: «وإذا رأى المفتي من المصلحة عندما تسأله عامة أو سوقة أن يفتي بما له فيه تأول، وإن كان لا يعتقد ذلك، بل لردع السائل وكفه فعل؛ فقد روي عن ابن عباس أن رجلًا سأله عن توبة القاتل فقال: لا توبة له، وسأله آخر فقال: له توبة، ثم قال: أما الأول: فرأيت في عينيه إرادة القتل فمنعته، وأما الثاني: فجاء مستكينًا وقد قتل فلم أويسه»[٤][٥].

١ الموافقات (١٧٧/٥، ١٧٨).
٢ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٧٢٤، ٧٢٥).
٣ انظر: الموافقات (٢٣٣/٥).
٤ الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي (٤٠٧/٢).
٥ انظر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية (ص٧٢٥، ٧٢٦).

المبحث الثاني

نماذج من الفتاوى الافتراضية في التراث الفقهي

لقد أعطى الله تعالى فقهاء هذه الأمة من نور البصر والبصيرة ما جعلهم يفترضون بعض المسائل الفقهية التي لم تقع في عصرهم، وذلك إما عن طريق السؤال عنها من قِبَل تلاميذهم، أو عن طريق الافتراض بدون سؤال، وكأنهم رحمهم الله كانوا يدركون أنه سيأتي وقت تقع فيه الحوادث التي توافق ما افترضوه من مسائل وأحكام، وسيجد المسلمون وقتها الحل فيما قاله هؤلاء الفقهاء الأجلاء.

ومن هنا نستطيع القول بأن الفقه الافتراضي لم يكن نوعًا من الترف الفقهي كما ادعى بعضهم، فإن هذا الادعاء خلاف الحقيقة لأن الوقائع والمستجدات الحديثة أثبتت خلاف ذلك.

كذلك يعتبر هذا الافتراض الفقهي رحمة من الله بهذه الأمة، وذلك حتى يثبت شمولية الفقه الإسلامي وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، وأن الفقهاء لم يتركوا شيئًا إلا وتحدثوا فيه سواء وقع أو لم يقع، وحتى لا يُترك المسلمون في حيرة من أمرهم إذا حدث لهم حادث فيكون ذلك طعنًا في الدين والشريعة ووصفهما بالعجز والقصور عن معالجة المستجدات والحوادث المعاصرة.

ومن يتأمل ما حوته كتب الفقه من الأحكام يتبين له جليًا أن كثيرًا منها في الحقيقة فتاوى افتراضية وإن لم ينص مؤلفوها على ذلك، فما هي في الواقع إلا إجابات على فتاوى وجهت للمفتي، أو قد يكون المفتي نفسه افترض مسائلها ثم بين أحكامها كما سبقت الإشارة.

كما يتبين لمن يتأمل هذه الكتب أنها تضمنت كمًّا هائلًا من المسائل التي اعتبرها المفتي في عصره من ضروب المستحيلات ورغم ذلك بيَّن أحكامها، ومن هذه المسائل ما وقع في زماننا، مما يدل على عبقرية تلك العقول.

وسوف نورد نماذج من هذه المسائل فيما يلي:

١ -إخراج الفضلات بتدخل طبي:



افترض الفقهاء القدامى مسألة صورتها: لو أخرج البول والغائط من غير مخرجهما هل ينتقض الوضوء.

وهذه أهم نصوص الفقهاء في هذه المسألة.

قال الإمام ابن قدامة الحنبلي (المتوفى: ٦٢٠هـ) في المغني: «مسألة: قال: وخروج البول والغائط من غير مخرجهما لا تختلف الرواية أن الغائط والبول ينتقض الوضوء بخروجهما من السبيلين ومن غيرهما، ويستوي قليلهما وكثيرهما، سواء كان السبيلان منسدين أو مفتوحين من فوق المعدة أو من تحتها»[١].

وقال الشيخ عليش المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ) في منح الجليل شرح مختصر خليل: «فصل مخرج الخارج من غير مخرجه المعتاد له كخروج ريح من قبل أو بول من دبر فليس حدثًا... (أو) الخارج المعتاد من (ثقبة تحت المعدة) أي مستقر الطعام والشراب قبل انحدارهما للأمعاء فوق السرة إلى منخسف الصدر فالسرة تحتها فالخارج من ثقبة تحتها حدث ينقض الوضوء (إن انسدا) أي لم يخرج الخارج المعتاد من المخرجين المعتادين»[٢].

فهذه المسألة الافتراضية تتعلق بمن انسد مخرجه الأصلي (القبل والدبر) وفُتح له مخرج آخر كمخرج طارئ غير معتاد، فهل يحكم بإقامة المخرج الطارئ (الفتحة) مقام المخرج الأصلي في أحكام

١ المغني (١/ ٢٣٣).

٢ منح الجليل شرح مختصر خليل (١/ ١١٠).

الطهارة من اعتبار الحدث عند خروجه منهما أو نقض الوضوء عند لمسهما وغير ذلك من أحكام فقهية متعلقة بهما؟

وهذه المسألة تشبه ما يُعرف الآن من إخراج الفضلات بتدخل طبي مثل عملية الغسيل البريتوني، وهو استخلاص للمواد السامة والسوائل الزائدة عن حاجة الجسم، والتي عادة يكون استخراجها عن طريق البول والغائط، وذلك عن الطريق الغشاء البريتوني في البطن.

وتنطبق هذه المسألة الافتراضية تمامًا على نازلة الشرج الصناعي الذي يُفتح جراحيًّا في جدار البطن عوضًا عن الشرج الطبيعي لمعالجة بعض الأمراض مثل سرطان القولون. فنجد أن في الشرج الصناعي خروجًا لعين النجاسة من مخرج غير المخرج الأصلي[١].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة بدرية بنت صالح السياري، (ص١٣٤-١٤٢).

2-زراعة الأعضاء:



قال ابن نجيم الحنفي (المتوفى ٩٧٠ هـ) في البحر الرائق: «رجل قطعت أذنه أو قلعت سنه فأعاد أذنه إلى مكانها أو سنه الساقط إلى مكانها فصلى أو صلى وأذنه أو سنه في كمه يجزيه؛ لأن ما ليس بلحم لا يحله الموت فلا يتنجس بالموت»[١].

وقال المرداوي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ) في الإنصاف: «فإن سقطت سِنه فأعادها بحرارتها، فثبتت فهي طاهرة، هذا المذهب، وعليه الجمهور، وقطع به أكثرهم. وعنه: أنها نجسة، حكمها حكم العظم النجس إذا جبر به ساقه»[٢].

فهذه المسألة الافتراضية تتعلق بمن قُطع عضو من أعضائه أو سقط فأراد إعادته إلى مكانه هل يُحكم بطهارة ذلك العضو، ومن ثم جواز ذلك أم لا؟ ومجال ذلك ما كان من غير حد أو قصاص.

وهذه المسألة الافتراضية هي ما يتشابه مع ما يُعرف الآن بزراعة الأعضاء أو غرس الأعضاء، ويقصد بها نقل عضو سليم أو مجموعة من الأنسجة من متبرع إلى مستقبِل ليقوم مقام العضو أو النسيج التالف.

والمتبرع هو الشخص أو الحيوان الذي تؤخذ منه الأعضاء، ويمكن أن يكون المتبرع إنسانًا أو حيوانًا، ويمكن أن يكون المتبرع حيًّا؛ وذلك في الأعضاء المزدوجة أو التي يمكن تعويضها مثل الدم، ويمكن أن يكون المتبرع ميتًا.

---

١ البحر الرائق شرح كنز الدقائق (١/ ١١٣).

٢ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (١/ ٤٨٩).

تصنيف الغرائس:

١-**غرائس ذاتية:** وهي الغرائس المنقولة من منطقة إلى أخرى في نفس الجسم، ويحدث هذا كثيرًا في نقل الجلد، وبخاصة في الحروق، وهذه عادة ما يتقبلها الجسم ولا يرفضها.

٢-**غرائس سوية (متماثلة):** وهي المنقولة من متبرع إلى مستقبِل من نفس الجنس (بشر إلى بشر)، ومتماثلين في الصفات الوراثية كما في التوائم المتماثلة، وهذه عادة يتقبلها الجسم ولا يرفضها أيضًا، وهي أفضل أنواع الغرائس وأطولها عمرًا.

٣-**غرائس مخالفة:** وهي المنقولة من متبرع إلى مستقبِل من نفس الجنس، وغير متماثلة في الصفات الوراثية، وهذه عادة ما تُرفض، وشدة الرفض تختلف حسب درجة عدم التطابق النسيجي بين المعطي والمستقبل، ويتسبب رفض الغريسة بواسطة المستقبِل في إعطاء عقاقير خفض المناعة مدى الحياة، وهو أمر له خطره.

٤-**غرائس غيرية:** الغرائس المنقولة من متبرع إلى مستقبل من جنسين مختلفين (أرنب إلى إنسان)، وهذا النوع يُرفض بشدة، ولا يُصادَف في التطبيقات الطبية عادة.

وهذه المسألة الافتراضية نجد أنها تدور على طرف واحد، حيث تتعلق بالشخص نفسه دون غيره؛ فالعضو المعاد للشخص هو المقطوع منه معالجة للخلل وإصلاحًا له، دون تدخل من طرف آخر بالأمر بقطع عضو سليم ودفعه إلى مريض كما في النازلة.

وإذا نظرنا إلى أنواع الغرائس السابقة نجد أن الغرائس الذاتية ربما ينطبق عليها شيء من ذلك؛ فتأخذ حكم المسألة الافتراضية في الجواز والطهارة، حتى عند من قال بنجاسة العضو المبان؛ فقد استثنى صاحب العضو المبان منه، وهذا محل إجماع بين المعاصرين.

وأما في الغرائس المتماثلة والمخالفة فإننا نجد خلاف الفقهاء رحمهم الله في المسألة المفترضة بناء على طهارة العضو، وسبق القول بأن الجمهور على طهارته، وحتى من قال بالنجاسة فقد استثنى إذا عادت الحياة للعضو المبان، وعودة الحياة إلى العضو حاصلة في زراعة الأعضاء.

هذا من حيث الطهارة، وأما من حيث الحكم فنقل العضو من شخص سليم إلى مريض يرجع إلى مدى ملكية الإنسان لجسده، ويرجع كذلك إلى الموازنة بين المصالح والمفاسد في حفظ النفس الناتجة عن هذا النقل والتبرع.

٣- الولادة القيصرية:



افترض فقهاء الحنفية مسألة صورتها: إذا ولدت المرأة وخرج طفلها من غير المخرج المعتاد، كما لو شُق بطنها وخرج الطفل، ونزل من فرجها دم، فهل يعد الدم النازل دم نفاس أم هو دم جرح لا تثبت به أحكام النفاس؟

ومن أهم نصوص الفقهاء في هذه المسألة:

قال الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) في تبيين الحقائق: «ولو ولدت من سرتها لا تصير نفساء إلا إذا سال الدم من فرجها، لكن تنقضي به العدة وتصير أم ولد به»[١].

فقد نص فقهاء الحنفية على أن من ولدت من سرتها لا تصير نفساء إلا إذا سال الدم من فرجها، وهو مقتضى مذهب المالكية والشافعية والحنابلة تخريجًا على تعريف النفاس بالدم الخارج من الفرج عقب الولادة، واستدلوا بأن سبب النفاس هو خروج الولد وقد وُجد فيثبت الحكم.

وهذه المسألة الافتراضية هي ما نعرفه الآن بالعملية القيصرية.

والمراد بهذه العملية: فتح جراحي أسفل السرة يكون خلاله شق جداري البطن والرحم لإخراج الجنين لوجود سبب يمنع خروجه من المخرج المعتاد، كاستقصاء رأس الجنين أو وجود توأمين ملتصقين أو غير ذلك.

١ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (١/ ٦٧).

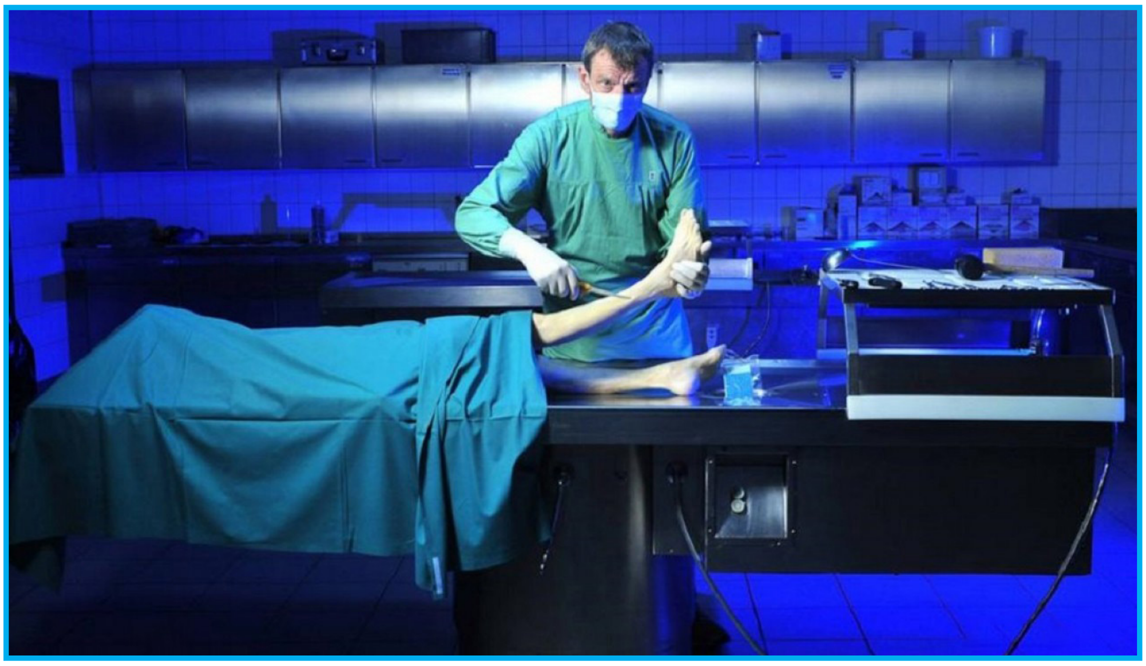
وهي جراحة لا تخلو من مخاطر، أهمها: النزيف الشديد أثناء العملية، وتقليل نسبة الولادة للمرأة بحيث لا تتجاوز أربع مرات، والتهاب الجرح بعد الولادة، كما تؤدي العملية القيصرية أحيانًا إلى التسبب في جرح الأحشاء الداخلية.

وهذه المسألة التي افترضها الفقهاء تتطابق تمامًا مع نازلة العملية القيصرية، فتأخذ الحكم نفسه من ثبوت حكم النفاس لمن نفست بعملية قيصرية؛ فالدم الخارج بعد خروج الولد بالعملية القيصرية مماثل تمامًا للدم الخارج بعد خروجه من المخرج المعتاد، إلا أنه قد يخالفه في الكمية فقط؛ فيكون أقل نسبيًّا نظرًا لكثرة الأدوية القابضة للرحم التي تُعطى أثناء العملية.

وأما فيما يتعلق بحكم إخراج الولد عن طريق شق البطن فإنه يُنظر فيه إلى ما جاءت به الشريعة من الموازنة بين المصالح والمضار؛ فيرجع الحكم فيها إلى ما يقرره الطبيب من مصلحة أو مضرة[١].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٣٢٧، ٣٢٨).

٤-تشريح جثث الموتى:



افترض الفقهاء مسألة صورتها: هل يجوز شق بطن الميت لمصلحة الحي أو المُرجى حياته؟

ومن أهم نصوص الفقهاء في هذه المسألة:

قال ابن عابدين الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) في حاشيته (رد المحتار على الدر المختار): «حامل ماتت وولدها حي يضطرب يشق بطنها من الأيسر ويخرج ولدها، ولو مات الولد في بطنها وهي حية وخيف على الأم قطع وأخرج، بخلاف ما لو كان حيًّا، ولو بلع مال غيره ولا مال له هل يشق؟ فيه قولان، والأولى نعم، وإن كانت حرمة الآدمي أعلى من صيانة المال لكنه أزال احترامه بتعديه، ولكن لو سقط في جوفه بلا تعد لا يشق اتفاقًا، كما لا يشق الحي مطلقًا لإفضائه إلى الهلاك»[١].

وجاء في المدونة في الفقه المالكي: «أيُبقر بطن الميتة إذا كان جنينها يضطرب في بطنها؟ قال: لا. قال سحنون: سمعت أن الجنين إذا استيقن بحياته وكان معقولًا معروف الحياة فلا بأس أن يُبقر بطنها ويستخرج الولد»[٢].

١ رد المحتار على الدر المختار (٢/ ٢٣٨).

٢ المدونة للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي (١/ ٢٦٤).

وقال الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) في (مغني المحتاج): «لو دُفنت امرأة في بطنها جنين تُرجى حياته بأن يكون له ستة أشهر فأكثر نبشت وشق جوفها وأخرج تداركًا للواجب؛ لأنه يجب شق جوفها قبل الدفن، وإن لم ترج حياته لم تنبش»[١].

وقال فيه أيضًا: «ولو بلع مالًا لغيره وطلبه صاحبه ولم يضمن مثله أو قيمته أحد من الورثة أو غيرهم نُبش وشق جوفه وأُخرج منه ورد لصاحبه»[٢].

هذه أهم نصوص الفقهاء في مسألة افتراضية تتعلق بشق بطن الميت، ولقد تعامل الفقهاء القدامى مع مسألة التشريح من باب الضرورة، سواء أكان ذلك لهدف الخوف على حي من الهلاك المتحقق كما في مسألة الجنين في بطن أمه، أو الخوف على هلاك ذي قيمة كما لو ابتلع درهمًا أو غيره.

وهذه المسألة الافتراضية تتطابق مع النازلة الفقهية وهي التشريح الطبي.

والتشريح في الطب: يطلق على العلم الذي بحث في تركيب الأجسام العضوية وتقطيعها عمليًّا وتشقيقها للفحص الطبي.

فهو علم تُعرف به أعضاء الإنسان بأعيانها وأشكالها وأقدارها وأعدادها وأصنافها وأوضاعها ومنافعها.

وقد يكون التشريح لتشخيص المرض وقصد العلاج، وهو مباح بلا خلاف، وهو ما يسمى بـ«التشريح المرضي» ليُعرف بدقة تأثير ذلك المرض في المتوفى.

أو يكون لهدف التعليم، وهو ما يسمى بـ«التشريح العلمي» ليكون على دراية تامة ومعرفة كاملة بأعضاء الجسم ووظائفه.

إلا أنه إذا كان مما يُستغنى عنه أو قد سبق من قبل المختصين فلا شك أنه قد يعتمد على الخبرة السابقة عن طريق من سبق في هذا الموضوع، والضرورة إن كانت فبقدرها لما في ذلك من سد للذرائع.

وقد يكون التشريح في حالة ما لو كانت الوفاة بسبب اعتداء لمعرفة المتهم، وهذا ما يسمى بـ«التشريح الجنائي»، وهذا النوع جائز ولكن بشرط عدالة المشرحين؛ لتكون معتبرة شرعًا ضمن الحدود المشروعة.

١ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لشمس الدين، (٢/ ٥٩).

٢ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٢/ ٥٩).

ومن نصوص الفقهاء القدامى السابقة يتضح أنه من الجائز شرعًا جواز شق بطن الحامل لاستخراج ولدها الذي تُرجى حياته؛ لأن مصلحة إنقاذ الحي أعظم من مفسدة هتك حرمة الميت؛ فقد أجاز فقهاء الحنفية والشافعية شق بطن الميتة لغرض أهم من انتهاك حرمة الميت، وذلك من أجل حي يضطرب في بطنها.

وإذا كان غالب أقوال الفقهاء القدامى يرمي إلى جواز شق بطن الميت لمصلحة الحي أو المرجى حياته فإنه ينطبق عليه كذلك تشريح الجثة لمصلحة راجحة إن وُجدت، وتلك مصلحة تتعلق بالحي، وهو أولى من الميت، حتى إن البعض ذهب إلى جواز شق البطن من أجل ابتلاع مال، وفي التشريح مصلحة إحياء نفوس قد تكون بريئة.

٥-إبرام العقود بوسائل الاتصال الحديثة:



يقول الإمام النووي الشافعي (المتوفى: ٦٧٦هـ) في (المجموع): «لو تناديا وهما متباعدان وتبايعا صح البيع بلا خلاف»[١].

فهذه المسألة من الفقه الافتراضي لدى فقيه كبير من فقهاء الشافعية.

وهي تعد تأصيلًا لنازلة فقهية هي: إبرام العقود بوسائل الاتصال الحديثة، حيث يتم إبرام التعاقد من خلال هذه الوسائل عن طريق اللفظ فيتم الإيجاب والقبول بين الطرفين، ففي قول الإمام النووي رحمه الله: «لو تناديا وهما متباعدان وتبايعا؛ صح البيع بلا خلاف» نجد أن العقد هنا كالعقد بين شخصين بعيدين لا يرى أحدهما الآخر ولكنه يسمعه.

والمقصود بوسائل الاتصال الحديثة الهاتف والفاكس والتلكس والإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي.

ولتصوير هذه المسألة نقول:

للعقد في اصطلاح الفقهاء معنيان: عام وخاص.

١ المجموع شرح المهذب (٩/ ١٨١).

فالمعنى العام يطلق على كل التزام تعهد به الإنسان على نفسه، سواء كان يقابله التزام آخر أو لا، وسواء كان التزامًا دينيًا كالنذر أو دنيويًّا كالبيع ونحوه.

والمعنى الخاص للعقد هو ربط أجزاء التصرف بالإيجاب والقبول.

وهذا المعنى هو الشائع المشهور في كتب الفقه.

وعلى ذلك فإن الإيجاب والقبول هما شرط انعقاد العقد؛ فالانعقاد هو تعلق كل من الإيجاب والقبول بالآخر على وجه مشروع يظهر أثره في متعلقهما.

وأما فيما يتعلق باجتماع المتعاقدين فقد اشترط الجمهور وجود العاقدين اللذين يصدران العقد.

ومما صار معلومًا أن الوجود على نوعين:

النوع الأول: وجود حقيقي للمتعاقدين بنفسيهما في الزمان والمكان.

الثاني: وجود يعبر عن الوجود الحقيقي، وذلك في التعاقد عبر الإلكترونيات.

والإيجاب والقبول الذي اشترطه الجمهور لا يتحقق إلا بوجود العاقدين في مكان العقد، والتعاقد عن طريق الهاتف أو الراديو أو التليفزيون إذا كان في الأخيرين نقلًا حيًّا مباشرًا من قبيل التعاقد بين حاضرين، ومن ثم يكون مجلس العقد مجلسًا حقيقيًّا؛ وذلك لسماع كل من المتعاقدين الآخر في الوقت نفسه، وفَهْمه عبارة الآخر من غير فارق زمني بين صدور الإيجاب والعلم به، والإعلان عن القبول والعلم بحيث يتحقق في آن واحد، كما لو كانا في مجلس يجمعهما مكان واحد.

فهذه الأجهزة أو الوسائل جميعها تقوم باستقبال الإيجاب من الطرف الأول، والذي قد يكون مكتوبًا كما هو الحال في الفاكس والتلكس والبريد الإلكتروني، وقد يكون عبارة عن حوار صوتي فقط أو حوار صوتي مقترن بالصورة كما هو الحال في الهاتف والإنترنت، فيتم تحويلها إلى إشارات كهربائية أو موجات كهرومغناطيسية حسب نوع تقنية الجهاز المرسل، فتنتقل هذه الإشارات أو الموجات عبر الأسلاك أو الأقمار الصناعية ليتم استلامها من طرف جهاز المرسل إليه، والذي بدوره يقوم بترجمة هذه الإشارات والموجات بحسب نوع الجهاز إلى كتابات مطبوعة أو إلكترونية أو حوار صوتي مرئي أو صوتي فقط.

فاجتماع الطرفين متحقق في التعاقد عبر الهاتف وما يشبهه حكمًا، مع أن كلًّا منهما في مكان آخر غير المكان الذي يوجد فيه الآخر.

وهذا ما قرره المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في جدة، فقد جاء في القرار: «١-إذا تم التعاقد بين غائبين لا يجمعهما مكان واحد، ولا يرى أحدهما الآخر معاينة، ولا يسمع كلامه، وكانت وسيلة الاتصال بينهما الكتابة أو الرسالة أو السفارة (الرسول)، وينطبق ذلك على البرق والتلكس والفاكس وشاشات الحاسب الآلي (الكومبيوتر)؛ ففي هذه الحالة ينعقد العقد عند وصول الإيجاب إلى الموجه إليه وقبوله.

٢ – إذا تم التعاقد بين طرفين في وقت واحد وهما في مكانين متباعدين، وينطبق هذا على الهاتف واللاسلكي، فإن التعاقد بينهما يعتبر تعاقدًا بين حاضرين، وتطبق على هذه الحالة الأحكام الأصلية المقررة لدى الفقهاء».

٦-فكرة «بنوك الحليب»:



افترض فقهاؤنا رحمهم الله مسألة صورتها: لو تحول اللبن إلى جبن وأكله في الخبز أو خُلط بماء أو بلبن آخر آدمي أو بهيمة، أو تم أخذه بحقنة، هل هذه الحالات تنطبق عليها أحكام الرضاعة من حيث التحريم؟

ومن أهم نصوص الفقهاء في هذه المسألة:

قال الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ) في كتاب (بدائع الصنائع): «وكذا يستوي فيه لبن الحية والميتة بأن حلب لبنها بعد موتها في قدح فأوجر به صبي يحرم عندنا. وقال الشافعي: لبن الميتة لا يحرم، ولا خلاف في أنه إذا حلب لبنها في حال حياتها في إناء فأوجر به الصبي بعد موتها أنه يثبت به الحرمة»[١].

وقال السرخسي الحنفي (المتوفى: ٤٨٣هـ) في كتاب المبسوط: «ولو وضع لبن امرأة في طعام فأكله الصبي، فإن كانت النار قد مست اللبن وأنضجت الطعام حتى تغير فليس ذلك برضاع، ولا يحرم؛ لأن النار غيرته فانعدم بها معنى التغذي باللبن، وإنبات اللحم، وإنشاز العظم، وإن كانت النار لم تمسه فإن كان الطعام هو الغالب لا تثبت به الحرمة في قول أبي حنيفة، وعلى قول أبي يوسف ومحمد تثبت به الحرمة؛ لأن الحكم للغالب، والغالب هو اللبن ولم يغيره شيء عن حاله»[٢].

١ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٤/ ٨).

٢ المبسوط ، السرخسي (٥/ ١٤٠).

وقال أيضًا: «فأما إذا خلط لبن امرأة بلبن امرأة أخرى ثم أوجر منه صبيًّا فعلى قول محمد تثبت الحرمة منهما جميعًا، وعند أبي يوسف تثبت به الحرمة بينه وبين من يكون لبنها غالبًا، وعن أبي حنيفة فيه روايتان: في إحداهما: اعتبر الأغلب، وفي الأخرى قال: تثبت الحرمة منهما، وهو قول زفر»[١].

وقال ابن قدامة الحنبلي في المغني: «وإن عُمل اللبن جبنًا ثم أطعمه الصبي ثبت به التحريم. وبهذا قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يحرم به؛ لزوال الاسم. ولنا: أنه واصل من الحلق، يحصل به إنبات اللحم وإنشاز العظم، فحصل به التحريم كما لو شربه»[٢].

من هذه النصوص للفقهاء القدامى يتبين لنا أن الله تعالى آتاهم البصيرة وسعة الأفق وقوة الإدراك، فقد تحدثوا عن الرضاعة وسقي اللبن من غير التقام الثدي، بل إنهم تعرضوا إلى حكم اللبن لو تحول إلى جبن وأكله في الخبز أو خُلط بماء أو بلبن آخر آدمي أو بهيمة، أو تم أخذه بحقنة، وهل يؤدي ذلك إلى أن تنطبق عليه أحكام الرضاعة من حيث التحريم، وقد وقع ما توقعه فقهاؤنا؛ فظهرت نازلة فقهية في العصر الحديث هي نازلة «بنوك الحليب».

وتتلخص فكرة بنوك الحليب في جمع اللبن من أمهات متبرعات أو بأجرٍ مما في أثدائهن من اللبن، إما لكونه فائضًا عن حاجة أطفالهن، وإما لكون الطفل قد توفي وبقي في الثدي اللبن. ويؤخذ هذا اللبن بطريقة معقمة من المتبرعة، ويحفظ في قوارير معقمة بعد تعقيمه مرة أخرى في بنوك الحليب. ولا يجفف هذا اللبن، بل يبقى على هيئته السائلة حتى لا يفقد الخاصية التي وضعها الله تعالى فيه واختصه بها، وهي ما يحتوي عليه من مضادات الأجسام التي لا توجد إلا في اللبن الإنساني.

ثم يُعطى هذا اللبن أو يُباع لمن هم في أشد الحاجة إليه أو لأمهات الأطفال اللاتي لا يستطعن القيام بإرضاعهم.

وهذه الفكرة قامت على غرار فكرة بنوك الدم حيث يُجمع ويحفظ حسب الطرق والمواصفات العلمية ليقدم للمحتاجين إليه إنقاذًا لحياتهم؛ إذ إن لبن الأم هو أفضل غذاء للطفل لما يحتوي عليه من قيمة غذائية تتناسب مع تطور عمر الطفل، ولما يمنحه للطفل من مناعة ضد كثير من الأمراض.

ويكون هذا اللبن للأطفال الذين وُلدوا قبل تسعة أشهر، أو للأطفال ناقصي الوزن عند الولادة رغم أنهم قد أكملوا مدة الحمل الطبيعية أو غير ذلك.

١ المبسوط (٥/ ١٤٠، ١٤١).

٢ المغني لابن قدامة (١١/ ٣١٤، ٣١٥).

والقصد من إنشاء بنوك اللبن هو إنقاذ الأطفال الذين هم بحاجة ماسة للبن الإنساني في وقت لا تستطيع فيه أمهاتهن القيام بالرضاعة.

وقد أُنشئت بنوك الحليب في أوروبا، ولا يوجد الآن إلا في مراكز معدودة في بعض البلاد المتقدمة، ولا يوجد في بلاد المسلمين لصعوبة تنفيذه ولعدم الحاجة إليه، وبرغم ذلك تعرض الفقهاء القدامى لهذه المسألة بما أوتوا من بصيرة وقوة إدراك.

والفقهاء المعاصرون تجاه هذه المسألة ما بين مبيح ومحرم[١].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٧٤٦-٧٥١).

٧-الصلاة في الطائرة:



نص الفقهاء القدامى على جواز الصلاة في الهواء وفي أرجوحة معلقة ما دام مستقرًا، وقال بذلك الحنفية والشافعية خلافًا للحنابلة.

جاء في كشاف القناع للإمام البهوتي الحنبلي (المتوفى ١٠٥١هـ): «لا تصح الصلاة في أرجوحة أو معلق في الهواء أو ساجد على هواء ما قدامه أو على حشيش أو قطن أو ثلج ولم يجد حجمه ونحو ذلك؛ لعدم المكان المستقر عليه»[1].

وجاء في حواشي الشرواني الشافعي (المتوفى ١٣٠١ هـ): «يجوز لو كان على سرير يحمله رجال وإن مشوا، أو في أرجوحة معلقة بحبال أو في الزورق الجاري، ولا يجوز لمن يصلي فرضًا في سفينة ترك القيام إلا من عذر كدوران رأس ونحوه، فإن حولتها الريح فتحول صدره عن القبلة وجب رده إليها، ويبني إن عاد فورًا وإلا بطلت صلاته»[2].

١ انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (١/ ٢٩٨، ٢٩٩).

٢ حاشية الإمام عبد الحميد الشرواني على تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٤٩٢).

وقال الإمام الرملي الشافعي (المتوفى ١٠٠٤هـ) في نهاية المحتاج: «(ولو صلى) شخص (فرضًا) عينيًّا أو غيره (على دابة واستقبل) القبلة (وأتم ركوعه وسجوده) وبقية أركانه بأن كان في نحو هودج (وهي واقفة) وإن لم تكن معقولة، أو كان على سرير يمشي به رجال أو في زورق أو أرجوحة معلقة بحبال (جاز) لاستقرار ذلك في نفسه» اهـ[١].

فهذه المسألة الافتراضية من الفقهاء القدامى تتفق مع نازلة فقهية هي الصلاة في الطائرة؛ حيث إن المصلي لا يكون مستقرًّا على الأرض بل تكون صلاته على سطح متحرك؛ وذلك –حسبما افترض الفقهاء- كما لو كان على ظهر دابة أو في هودج أو سرير يحمله رجال وإن مشوا أو في أرجوحة معلقة بحبال أو في زورقٍ جارٍ، وذلك بجامع التعليق في الهواء ولو في الصورة.

وهذا التعليل الأخير من الإمام الرملي مُطرد في الطائرة؛ فالبقعة التي يصلي عليها المصلي في الطائرة مستقرة في نفسها، واستقرار المصلي عليها وتمكينه لأعضاء سجوده من الأرض حاصل بلا إشكال، فتصح الصلاة فيها كما صحت في الزورق والأرجوحة، وبهذا أيضًا يندفع إيراد أن الطائرة لا تكون ساكنة مستقرة حال طيرانها، فهي وإن كانت غير مستقرة أو ساكنة في الظاهر إلا أن محل الصلاة مستقر في نفسه.

كما يمكن قياس الصلاة في الطائرة على الصلاة في السفينة؛ فالطائرة حال طيرانها تشبه السفينة في أن كلًّا منهما لا يتصل بالأرض مباشرة حال سيره، والصلاة في السفينة قد قرر العلماء صحتها من حيث الجملة، وممن أطلق صحة الصلاة في السفينة فقهاء الشافعية والحنابلة:

قال الإمام النووي من الشافعية: «وتصح الفريضة في السفينة الواقفة والجارية والزورق المشدود بطرف الساحل بلا خلاف إذا استقبل القبلة وأتم الأركان»[٢].

وجاء في كشاف القناع من كتب الحنابلة: «(ومن أتى بالمأمور) أي بجميع ما أمر به (من كل ركن ونحوه) وهو الشروط والواجبات (للصلاة وصلى عليها) أي الراحلة (بلا عذر) من مطر ونحوه (أو) صلى (في سفينة ونحوها) كمحفة (ولو جماعة من أَمْكَنَه الخروج منها واقفة) كانت (أو سائرة صحت) صلاته لإتيانه بما يعتبر فيها»[٣].

١ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٤٩٢).
٢ المجموع شرح المهذب (٣/ ٢٤١، ٢٤٢).
٣ كشاف القناع عن متن الإقناع (١/ ٥٠٢).

وعند التأمل فإنه لا يوجد بين الصلاة في السفينة والصلاة في الطائرة فرق مؤثر يوجب اختلافهما في الحكم، والمقرر في علم الأصول أن الأصل إذا لم يكن بينه وبين الفرع فارق مؤثر اتحدا في الحكم، وهو ما يسميه الأصوليون بالقياس في معنى الأصل أو الجمع بنفي الفارق، ومثاله: قياس البول في إناء وصبه في الماء الراكد على البول فيه في المنع بجامع أن لا فارق بينهما في مقصود المنع الثابت بالحديث الوارد في النهي أن يبال في الماء الراكد.

فكون الطائرة تجري في الهواء والسفينة تجري على الماء لا يعتبر هذا فارقًا مؤثرًا، فالماء كما أنه جِرمٌ فإن الهواء أيضًا يعتبر جِرمًا، وهذا هو المدرك بالحواس؛ كما في قربة تملأ هواء، فلو لم يكن الهواء جرمًا ما شغل حيزًا من الفراغ.

وقد علل بعض العلماء صحة الصلاة في السفينة بأنها لمسيس الحاجة الداعية إليها، وتعذر الخروج عنها للصلاة. قال الرافعي في الشرح الكبير: «وليست الدابة للاستقرار عليها، وكذلك القول في الأرجوحة المشدودة بالحبال؛ فإنها لا تُعد في العرف مكان التمكن، وهو مأمور بالتمكن والاستقرار، وهذا بخلاف السفينة حيث تصح الصلاة فيها وإن كانت تجري وتتحرك بمن فيها كالدواب تتحرك بالراكبين؛ لأن ذلك إنما يجوز لمسيس الحاجة إلى ركوب البحر وتعذر العدول في أوقات الصلاة عنه؛ فجعل الماء علي الأرض كالأرض، وجعلت السفينة كالصفائح المبطوحة علي الأرض»[١].

وهذا التعليل منطبق تمامًا على الصلاة في الطائرة، بل الحاجة إليه أشد والتعذر أقوى.

كما أن عدم السكون والاستقرار هو في السفينة أظهر؛ لأنها أكثر عرضة للاضطراب والأمواج، فإذا صحت فيها مع هذا فلأن تصح في الطائرة أولى لكون محل الصلاة مستقرًّا في نفسه، ولهذا أجمع المعاصرون على جواز الصلاة في الطائرة لمن خاف خروج الوقت[٢].

١ فتح العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير (٣/ ٢٠٩).

٢ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٣٨٣-٣٨٨) .

٨-إدراك الوقت مرة أخرى بعد أداء الصلاة عند وصوله إلى البلد الآخر بالطائرة:

افترض فقهاؤنا رحمهم الله مسألة مفادها: لو أن رجلًا صلى العصر في المشرق ثم ذهب إلى المغرب فأدركه وقت العصر مرة أخرى فهل يجب عليه الإعادة؟

ومن أهم نصوص الفقهاء في هذه المسألة:

جاء في مواهب الجليل للإمام الحطاب المالكي (المتوفى ٩٥٤هـ): «مسألة من نوادر أحكام الأوقات: إذا زالت الشمس ببلد من بلاد المشرق وفيها ولي فطار إلى بلد من بلاد المغرب فوجد الشمس كما طلعت، فقال بعض العلماء: إنه مخاطب بزوال البلد الذي يوقع فيها الصلاة؛ لأنه صار من أهلها.

(قلت:) وانظر على هذا لو صلى الظهر في البلد الذي زالت عليه فيه الشمس ثم جاء إلى البلد الآخر، والظاهر أنه لا يطالب بإعادة الصلاة؛ لأنه كان مخاطبًا بزوال البلد الذي أوقع فيها الصلاة، وسقط عنه الوجوب بإيقاعها فيه، ولم يكلف الله بصلاة في يوم واحد مرتين فانظره»[١].

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي (المتوفى ٩٧٣ هـ) في تحفة المحتاج: «ولو غربت الشمس في بلد فصلى المغرب، ثم سافر إلى بلد آخر فوجد الشمس لم تغرب فيه وجب عليه إعادة المغرب»[٢].

وقد اختلف الفقهاء القدامى في هذه المسألة فمذهب المالكية أنه لا إعادة عليه، ومذهب الشافعية أنه تجب عليه الإعادة في البلد التي وصل إليها.

وهذه المسألة الافتراضية تنطبق تمامًا مع نازلة فقهية هي حضور الوقت مرة أخرى بعد أداء الصلاة عند وصوله إلى البلد الآخر بالطائرة، فمن صلى الظهر في بلده ثم سافر بالطائرة إلى بلد آخر ووجد أن وقت صلاة الظهر فيها لم يدخل بعد، فهل تجب عليه الصلاة مرة أخرى أم تجزئه الصلاة في البلدة التي سافر منها؟

وقد ذهب جمهور العلماء المعاصرين إلى عدم الإعادة على من صلى في بلد ثم انتقل إلى بلد آخر ووقت الصلاة لم يوجد بعد[٣].

١ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (١/ ٣٨٨).

٢ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٤٢٠).

٣ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٣٧٠).

٩-من لم يجد علامة بعض أوقات الصلاة:

تعرض الفقهاء القدامى لمسألة افتراضية صورتها: من فقد علامة وقت أحد فروض الصلاة، كما لو كان في بلد يطلع فيه الفجر قبل أن تغرب الشمس أو يغيب الشفق، هل تجب عليه صلاة العشاء أم لا؟

ومما جاء من نصوص الفقهاء في هذه المسألة:

قال الإمام الزيلعي الحنفي (المتوفى ٧٤٣ هـ) في تبيين الحقائق: «(ومن لم يجد وقتهما لم يجبا) أي من لم يجد وقت العشاء والوتر، بأن كان في بلد يطلع الفجر فيه كما تغرب الشمس، أو قبل أن يغيب الشفق لم يجبا عليه لعدم السبب وهو الوقت. وذكر المرغيناني أن الشيخ برهان الدين الكبير أفتى بأن عليه صلاة العشاء، ثم أنه لا ينوي القضاء في الصحيح لفقد وقت الأداء، وفيه نظر؛ لأن الوجوب بدون السبب لا يعقل، وكذا إذا لم ينوِ القضاء يكون أداء ضرورة، وهو فرض الوقت، ولم يقل به أحد»[١].

وقال الإمام الحطاب المالكي (المتوفى ٩٥٤ هـ) في (مواهب الجليل): «ومثل ذلك الأيام التي تحجب الشمس فيها عن الطلوع عند إرادة الله -سبحانه وتعالى- طلوعها من مغربها، ذكره ابن فرحون في الألغاز، وقال: هذا الحكم نص عليه الشارع.

(قلت): ومثله ما ذكره القرافي في كتاب اليواقيت عن الشافعية في قطر يطلع فيه الفجر قبل غروب الشفق، قال: فكيف يصنع بالعشاء؟ وهل تصلى الصبح قبل مغيب الشفق؟ وهل يحكم على العشاء بالقضاء؟ فذكر عن إمام الحرمين أنه قال: لا تصلى العشاء حتى يغيب الشفق، ولا تكون قضاء لبقاء وقتها، ويتحرى بصلاة الصبح فجر من يليهم من البلاد، ولا يعتبر الفجر الذي لهم»[٢].

وجاء في (تحفة المحتاج) لابن حجر الهيتمي: «لو أن قومًا مكثت الشمس طالعة عندهم مدة طويلة فإنهم يقدرون للصلاة»[٣].

وجاء في (حاشية الروض المربع): «وفاقد وقتها كبُلْغار-اسم مدينة- مكلف بهما فيقدر لها كما يقدر في أيام الدجال؛ لما ثبت في صحيح مسلم قال: فاقدروا له، وأيام الدجال أربعون يومًا، يوم كسنة، فيصلي فيه صلاة سنة، ويوم كشهر، فيصلي فيه صلاة شهر، ويوم كجمعة فيصلي فيه صلاة جمعة،

١ انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٨١/١).

٢ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٣٨٨/١).

٣ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٤٢٨/١).

وباقي الأيام كأيامنا فيقدر في الثلاث الأول مقدار الوقت، فكذا في بلغار ونحوها فإنه يطلع الفجر في بلغار قبل غروب الشفق في أربعينية الشتاء»[١].

ويتبين من هذه النصوص وغيرها أن الفقهاء القدامى اختلفوا في وجوب صلاة الوقت الذي فُقدت علامته على قولين:

الأول: تجب صلاة الوقت، وهو مذهب الجمهور.

الثاني: تسقط ولا تجب صلاة الوقت، وهو قول متقدمي الحنفية.

وقد استدل القائلون بوجوب صلاة الوقت بحديث الدجال، وفيه: «قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره[٢]». فقد أوجب النبي صلى الله عليه وسلم أداء جميع الصلوات عن طريق تقدير أوقاتها.

واستدل القائلون بسقوط وجوب صلاة الوقت بأن الله تعالى جعل لوجوب الصلاة أسبابًا وشروطًا، ومنها دخول الوقت وقد عُدم هنا، والوجوب بدون سبب لا يُعقل.

واختلف القائلون بالوجوب في معنى التقدير، والراجح هو ما ذهب إليه الجمهور، وهو أنه تقدير بأقرب البلاد إليها ما لم يؤد اعتبار ذلك إلى خروج الوقت المحسوس للفريضة الأخرى.

وهذه المسألة الافتراضية تتشابه مع نازلة فقهية، وهي أن بعض بلاد العالم يستمر فيها الليل أو النهار ساعات طويلة وربما كان أشهرًا، وبعض البلاد بالعكس فيقصر فيها ذلك جدًّا بحيث لا يتسع لأوقات الصلوات الخمس، فكيف يمكن أن تؤدى صلوات النهار وصلوات الليل لمن ساد عندهم النهار أو الليل؟

وتنطبق هذه المسألة الافتراضية على البلاد التي يكون فيها فقد لعلامة أحد الأوقات كالعشاء أو الفجر، ومن باب أولى على البلاد التي قد يمتد فيها الليل أو النهار أشهرًا، وقد ذهب جمهور العلماء المعاصرين إلى وجوب الصلاة على من فقد علامة ولو وقتًا واحدًا بالتقدير إلى أقرب البلاد إليها التي تتمايز فيها أوقات الصلاة، وهذا القول هو الذي أقره المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة والتاسعة[٣].

---

١ حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن النجدي (١/ ٤٦٨).

٢ أخرجه مسلم، (٢٩٣٧).

٣ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٣٧٣-٣٨٠).

١٠-فسخ نكاح من أصيب بمرض الإيدز:

تحدث الفقهاء القدامى عن مسألة فسخ النكاح بين الرجل والمرأة بسبب العيوب.

وقد ذكرت المذاهب المختلفة العيوب ذاتها وإن اختلفت المصطلحات وطريقة التعبير عنها، إلا أن العبرة بالمسميات لا بالأسماء.

جاء في بدائع الصنائع للكاساني الحنفي: «قال محمد بن الحسن: كل عيب لا يمكنها المقام معه إلا بضرر كالجنون والجذام والبرص يمكنها الفسخ»[١].

وجاء في شرح الشيخ الدردير المالكي (المتوفى ١٢٠١ هـ) على مختصر خليل: «أن العيوب في الرجل والمرأة ثلاثة عشر؛ أربعة يشتركان فيها، وهي: الجنون والجُذام والبَرَص والعِذْيَطة، وأربعة خاصة بالرجل: الجَب والخِصاء والاعتراض والعُنة، وخمسة خاصة بالمرأة، وهي: الرتَق والقَرَن والعَفَل والإفضاء والبَخَر»[٢].

والعذيطة: حدث الغائط عند الجماع. والجب: هو قطع الذكر كله أو بعضه بحيث لا يبقى منه ما يتأتى به الوطء. والخصاء: هو فقد الخصيتين خلقة أو بقطعٍ أو سل لهما. والاعتراض: هو أن يكون بصفة من يطأ ولا يطأ، وربما كان في امرأة دون أخرى، أو بعد وطء. والعنة: هو كونه ذا ذكر لا يمكن به جماع؛ لشدة صغره، أو دوام استرخائه. والرتق: هو انسداد محل الجماع بلحم. والقرن: عظم يظهر في محل الجماع كقرن الشاة. والعفل: لحم يبرز في قبلها، وهو من الرتق. والإفضاء: اختلاط مسلكي المني والبول، أو مسلكي البول ومخرج الغائط. والبخر: هو نتن الفَرْج.

وجاء في المنهاج للإمام النووي الشافعي: «لو وجد أحد الزوجين بالآخر جنونًا أو جذامًا أو برصًا، أو وجدها رتقاء أو قرناء أو وجدته عنينًا أو مجنونًا ثبت الخيار في فسخ النكاح»[٣].

ولم يتوقف الشافعية عند عدد معين من العيوب التي ذكروها بل قالوا: إنه يقاس بالعنين كبير الآلة بحيث لا تسع حشفته امرأة، كما عدوا من عيوب الرجل كونه مشعر الإحليل.

قال الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى ٩٧٧هـ) في مغني المحتاج: «وعلى هذا يقاس بالعنين كبير الآلة بحيث لا تسع حشفته امرأة، وبه صرح الغزالي في الديات، وأغرب الخفاف فعد في عيوب الرجل كونه مشعر الإحليل. قال الزركشي: وينبغي على قياسه كون المرأة خشنة المدخل بحيث

١ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٣٢٧).

٢ الشرح الكبير للشيخ أحمد الدردير على مختصر خليل مطبوع مع حاشية الدسوقي (٢/ ٢٧٧).

٣ منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، النووي (ص٢١٥).

يتأذى المدخل»[١].

وهذا يدل على عدم الاقتصار على عدد معين من العيوب، وإنما كانت هذه العيوب من باب التمثيل لا من باب الحصر والتحديد، فإن ما يشابهه من عيوب يدخل في إمكانية الفسخ بين الزوجين، وكانت هذه نظرة طبية ثاقبة مستقبلية من الشافعية، حيث إمكانية حدوث أمراض أخرى في أزمان متقدمة، وهذا ما يثبته المنطق والزمن.

يقول الإمام ابن القيم (المتوفى ٧٥١هـ) في زاد المعاد: «وأما الاقتصار على عيبين أو ستة أو سبعة أو ثمانية دون ما هو أولى منها أو مساوٍ لها فلا وجه له؛ فالعمى والخرس والطرش وكونها مقطوعة اليدين، أو الرجلين أو إحداهما أو كون الرجل كذلك من أعظم المنفرات، والسكوت عنه من أقبح التدليس والغش، وهو منافٍ للدين، والإطلاق إنما ينصرف إلى السلامة فهو كالمشروط عرفًا... والقياس أن كل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة يوجب الخيار وهو أولى من البيع، كما أن الشروط المشترطة في النكاح أولى بالوفاء من شروط البيع، وما ألزم الله ورسوله مغرورًا قط ولا مغبونًا بما غربه وغبن به، ومن تدبر مقاصد الشرع في مصادره وموارده وعدله وحكمته وما اشتمل عليه من المصالح لم يخف عليه رجحان هذا القول وقربه من قواعد الشريعة»[٢].

فدل كلام الإمام ابن القيم على أن كل عيب ينفر الزوج الآخر منه، ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة يوجب الخيار، ويدخل في هذا -بلا شك- مرض الإيدز فهو مرض يسبب نفور الغير من المصاب به، كما أنه معدٍ لغيره من الناس وتنتقل العدوى بالاتصال الجنسي؛ فيصاب الصحيح بهذا الفيروس الخطير سواء كان رجلًا أو امرأة. فهو شبيه بالجذام والبرص مما يجعل أحد الزوجين يخاف من قربان الآخر خوفًا من انتقال العدوى.

١ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٤/ ٣٤١، ٣٤٢).

٢ زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/ ١٦٦).

١١-نقل الزكاة لبلد آخر للحملات الإغاثية:

ذكر الفقهاء القدامى في كتبهم مسألة افتراضية، وهي من حلت بماله الزكاة وأراد إخراجها إلى من هو أحوج في غير بلده، فهل له ذلك ويجزئه إن فعل أو لا يجزئه؟

ومما جاء من نصوص في هذه المسألة:

ما ذكره الزيلعي الحنفي (المتوفى ٧٤٣ هـ) في تبيين الحقائق فقال: «(وكره نقلها إلى بلد آخر لغير قريب وأحوج) أي كره نقل الزكاة إلى بلد آخر لغير قريب ولغير كونهم أحوج فإنْ نَقَلَهَا إلى قرابته أو إلى قوم هم إليها أحوج من أهل بلده لا يكره»[١].

وجاء في المدونة عن الإمام مالك: «ولو أن أهل المدن كانوا أغنياء وبلغ الإمام عن بلد آخر حاجة نزلت بهم أصابتهم سنة أذهبت مواشيهم أو ما أشبه ذلك، فنقلت إليهم بعض تلك الصدقة رأيت ذلك صوابًا لأن المسلمين أسوة فيما بينهم إذا نزلت بهم الحاجة»[٢].

وجاء في المدخل لابن الحاج المالكي (المتوفى ٧٣٧هـ): «ويتعين عليه إذا وجبت عليه الزكاة في بلد فليخرجها في ذلك البلد الذي هو فيه. وكذلك يتعين عليه إذا كانت له سلعة في بلاد متفرقة أن يخرج الزكاة عنها في مواضعها التي هي فيها حتى يسلم من نقل الزكاة من الموضع الذي وجبت فيه الزكاة إلى غيره فإن ذلك لا يجوز. اللهم إلا أن تدعو ضرورة شرعية كغلاء يقع في موضع فتزيد حاجتهم بسبب ذلك فيجوز النقل إليهم والحالة هذه، وأما مع عدمها فيمنع من نقلها؛ لأنه غصب لما استحقه فقراء ذلك الموضع في عين ذلك المال فهم شركاء لهم فيه بذلك القدر الذي وجب لهم فيه فليحذر من ذلك»[٣].

وفي اللباب في الفقه الشافعي لأبي الحسن ابن المحاملي (المتوفى ٤١٥ هـ): «ولا يجوز نقل الصدقة من بلد إلى بلد آخر مع وجود مستحقيها، وفيه قول آخر: أنه يجوز»[٤].

وجاء في المغني لابن قدامة: «مسألة: قال: (ولا يجوز نقل الصدقة من بلدها إلى بلد تقصر في مثله الصلاة) المذهب على أنه لا يجوز نقل الصدقة من بلدها إلى مسافة القصر. قال أبو داود: سمعت أحمد سئل عن الزكاة يبعث بها من بلد إلى بلد؟ قال لا. قيل: وإن كان قرابته بها؟ قال: لا. واستحب

١ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (١/ ٣٠٥).

٢ المدونة (١/٣٣٦).

٣ المدخل ، ابن الحاج (٤/ ٦٩، ٧٠).

٤ اللباب في الفقه الشافعي الضبي، أبو الحسن ابن المحاملي، (ص ١٨٢).

أكثر أهل العلم أن لا تُنقل من بلدها»[١].

ومن هذه النصوص وغيرها يتضح أن الفقهاء اتفقوا على جواز نقل الزكاة إلى بلد آخر عند عدم وجود مستحق لها، كما لو كان أهل البلد أغنياء أو فضل عنهم فاضل.

بينما اختلفوا في نقلها بعد تمام الحول إلى بلد آخر لشدة حاجته أو لوجود قريب مع وجود مستحق لها في البلد على أقوال: هي الكراهة والجواز مطلقًا والحرمة.

وهذه المسألة الافتراضية تتشابه مع نازلة فقهية وهي نقل الزكاة لإغاثة الشعوب الإسلامية في بعض البلدان، حيث تشهد الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر كثيرًا من المآسي والمصائب في بعض البلدان، نتيجة للحروب الأهلية أو الثورات أو الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات؛ مما يترتب على ذلك من تشريد وفقر ومجاعات، واستجابة لأمر الله تعالى ورسوله في وجوب تكافل الأمة وتفريج كربات المسلمين تقوم بعض البلاد الإسلامية بإنشاء حملات إغاثية على مستوى البلد كافة لجمع الأموال ودفعها إلى البلد المنكوب.

وقد لا يجد من يشارك في هذا الخير سوى زكاة ماله فهل له دفعها إلى ذلك البلد المنكوب أم يجب صرفها على مستحقي بلده فقط؟

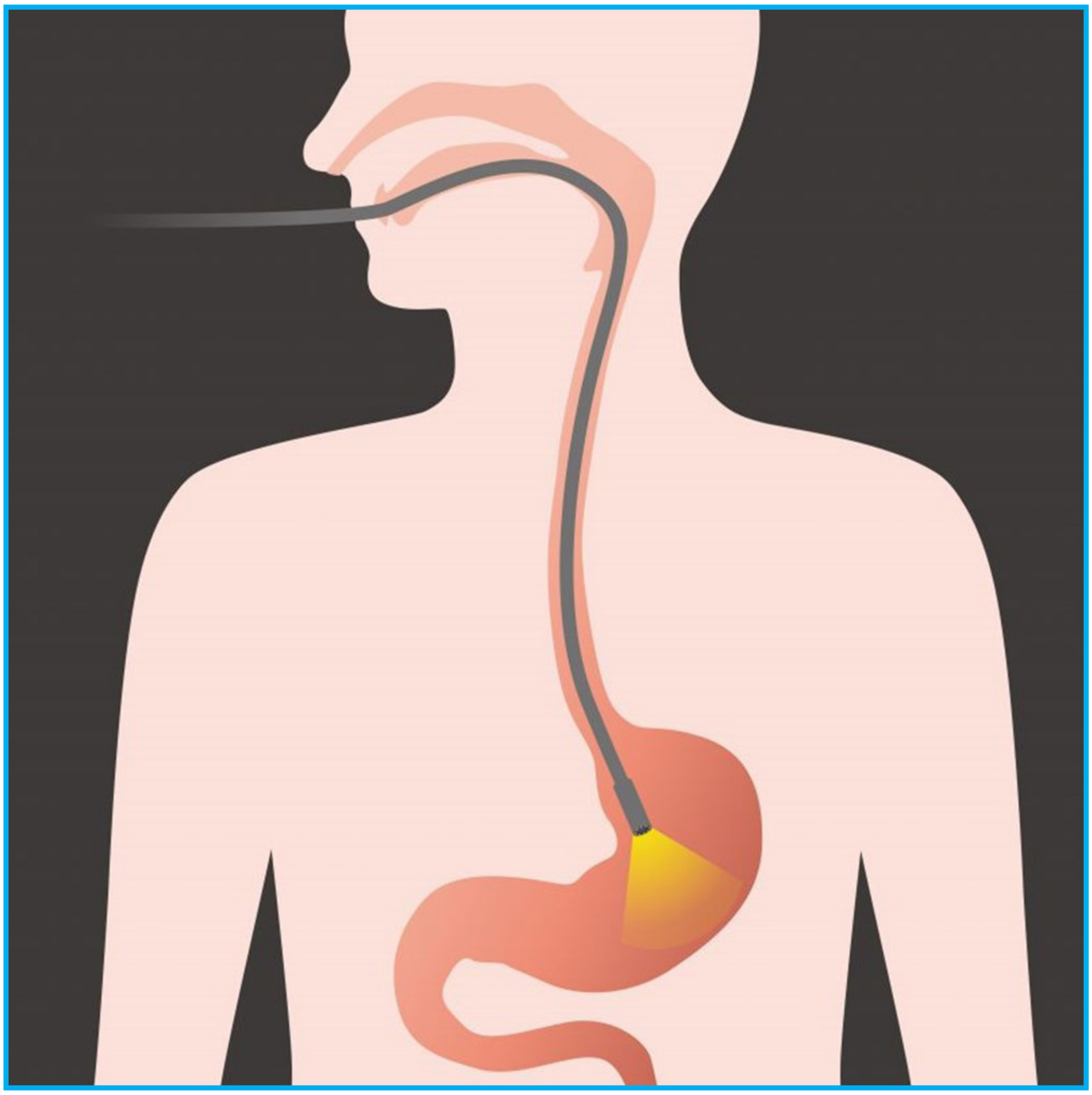
وتطبيق المسألة الافتراضية على هذه النازلة الفقهية يختلف بحسب كل بلد ومستوى غناه وفقره، وبناء على ذلك يجري فيها الخلاف الحاصل في نقل الزكاة.

وقد ذهب كثير من الفقهاء المعاصرين إلى جواز نقل الزكاة إن كان لمصلحة أعظم إلى بلد آخر غير بلد المزكي[٢].

١ المغني(٤/ ١٣١).

٢ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٤٨٦-٤٩٧).

١٢-منظار المعدة وأثره على الصيام:



ذكر الفقهاء القدامى مسألة افتراضية صورتها: من أدخل في فمه ما ليس بأكل أو شرب أثناء صيامه ووصل إلى معدته فهل يؤثر هذا الداخل على صيامه أم لا؟

وفيما يأتي أهم نصوص الفقهاء في هذه المسألة:

جاء في المبسوط للإمام السرخسي الحنفي (المتوفى ٤٨٣ هـ): «ولو طعن برمح حتى وصل إلى جوفه لم يفطره؛ لأن كون الرمح بيد الطاعن يمنع وصوله إلى باطنه حكمًا، فإن بقي الزج في جوفه فسد صومه؛ لأنه صار مغيبًا حقيقة فكان واصلًا إلى باطنه، وهو قياس ما لو ابتلع خيطًا فإن بقي أحد

الجانبين بيده لم يفسد صومه، وإن لم يبقَ فسد صومه»[١].

وفي البيان في مذهب الإمام الشافعي للعمراني (المتوفى ٥٥٨ هـ): «لو أخذ بيده خيطًا، وأدخله في حلقه حتى وصل شيء منه إلى جوفه أفطر به»[٢].

وفي الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي الحنبلي: «ولو كان خيطًا ابتلعه كله أو بعضه، أو طعن نفسه، أو طعنه غيره بإذنه بشيء في جوفه، فغاب كله أو بعضه فيه فسد صومه»[٣].

بينت هذه النصوص اختلاف الفقهاء في حكم ما يصل إلى المعدة ويستقر فيها مما هو ليس بأكل ولا شرب ولا في معناهما، كالحصاة والدرهم والخيط، والجمهور على أن الصائم يفطر بذلك، خلافًا لبعض الحنفية ومتأخري المالكية.

وهذه المسألة الافتراضية تتشابه مع نازلة فقهية هي منظار المعدة وأثره على الصوم، فإن الطبيب قد يلجأ إلى الكشف على النسيج الداخلي للجهاز الهضمي من المعدة والأمعاء وغيرها للمريض؛ لمعرفة أسباب المرض أو لأخذ عينة من العضو، وذلك يكون من خلال إجراء ما يسمى بالمنظار، وقد يكون هذا الإجراء للمريض حال صومه، وقياسًا على المسألة الافتراضية هل دخول منظار المعدة حال الصوم يكون مفسدًا للصيام أم لا؟

ومنظار المعدة جهاز طبي عبارة عن أنبوب طويل مرن غير سميك مزود بإضاءة وكاميرا صغيرة في نهايته، يدخل عبر الفم إلى البلعوم ثم إلى المريء ثم المعدة، لتصوير المعدة ليعلم ما فيها من قروح ونحوها، أو لاستخراج عينة صغيرة لفحصها أو لغير ذلك من الأغراض الطبية.

وتنطبق المسألة الافتراضية تمامًا على هذه النازلة الفقهية، من جهة دخول شيء لا غذاء فيه إلى جوف المعدة غير مستقر فيها مع بقاء طرف له في الخارج، وبناء على ذلك فالخلاف في هذه النازلة بين المعاصرين مبني على اختلاف الفقهاء القدامى في المسألة الافتراضية.

والذي عليه جمهور الفقهاء المعاصرين هو عدم الفطر بمنظار المعدة؛ معللين ذلك بأنه لا يفطر إلا المغذي وما استقر في المعدة[٤].

١ المبسوط (٣/ ٩٨).

٢ البيان في مذهب الإمام الشافعي العمراني اليمني، (٣/ ٥٠٤).

٣ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٣/٢٩٩).

٤ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٥٢٦-٥٣٢).

١٣-زواج المسيار:

مما افترضه الفقهاء القدامى مسألة مفادها: لو تزوج امرأة على ألا يأتيها إلا نهارًا أو لا نفقة لها أو يعزل عنها، فهل يصح العقد؟

وفيما يلي أهم نصوص الفقهاء في هذه المسألة:

قال الإمام ابن نجيم الحنفي (المتوفى ٩٧٠ هـ) في البحر الرائق: «ولا بأس بتزوج النهاريات، وهو أن يتزوجها ليقعد معها نهارًا دون الليل، وينبغي أن لا يكون هذا الشرط لازمًا عليها، ولها أن تطلب المبيت عندها ليلًا لما عرف في باب القسم»[١].

وفي مواهب الجليل للإمام الحطاب المالكي (المتوفى ٩٥٤ هـ): «السادس: أن يتزوجها على أن لا يأتيها إلا نهارًا، أو على أن يؤثرها على غيرها، أو على أن لا يعطيها الولد، أو لا نفقة لها، أو لا ميراث بينهما، أو على أن أمرها بيدها؛ فهذه شروط لا يصح الوفاء بها. واختلف في النكاح فقيل: يفسخ قبل وبعد. وقيل: يفسخ قبل ويثبت بعد، ويمضي على سنة النكاح ويسقط الشرط»[٢].

وفي الكافي في فقه الإمام أحمد للإمام ابن قدامة (المتوفى ٦٢٠ هـ): «فصل: القسم الثاني: فاسد، وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: ما يبطل في نفسه، ويصح النكاح، مثل أن يشرط عليها أنه لا مهر لها، أو الرجوع عليها بمهرها، أو لا نفقة لها عليه، أو أن نفقته عليها، أو لا يطؤها، أو يعزل عنها، أو يقسم لها دون قسم صاحبتها، أو ألا يقسم لها إلا في النهار، أو ليلة في الأسبوع ونحوه، فهذه الشروط باطلة في نفسها؛ لأنها تتضمن إسقاط حق يجب بالعقد قبل انعقاده فلم يصح، كإسقاط الشفعة قبل البيع. وقد نقل عن أحمد في النهاريات والليليات: ليس هذا من نكاح أهل الإسلام، وهذا يحتمل إفساد العقد»[٣].

ويسمي الفقهاء القدامى هذا النوع من النكاح (نكاح النهاريات) نسبة إلى اشتراط وقت المجيء فيه.

- ومن النصوص السابقة وغيرها نجد أن الفقهاء قد اختلفوا في صحة هذا الزواج وحكمه على قولين:
  - الأول: يصح الشرط والعقد، وهو مذهب الحنفية.
  - الثاني: الشرط باطل، واختلفوا في العقد على ثلاثة أقوال:

---

١ البحر الرائق شرح كنز الدقائق (١١٦/٣).

٢ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤٤٦/٣).

٣ الكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة (٤٠/٣).

١-ينفسخ النكاح مطلقًا قبل الدخول وبعده، وهو قول لبعض المالكية، ووجه عند الشافعية، ورواية عن الإمام أحمد.

٢-ينفسخ النكاح قبل الدخول ويثبت بعده، وهو مذهب المالكية.

٣-يصح النكاح، وهو المشهور من مذهب الشافعية والحنابلة.

وما ذكره الفقهاء القدامى يتشابه مع نازلة فقهية، وهي ما يُعرف بزواج المسيار.

وهذا الاسم لم يكن موجودًا في زمن الفقهاء القدامى، فهو مسمى جديد عرف في الزمن الحالي في بعض البلدان لا سيما الخليج العربي، ولعل من أشهر تعريفاته: هو الزواج الشرعي المستوفي للأركان والشروط المتعارف عليها عند جمهور الفقهاء، ويتضمن تنازل الزوجة عن بعض حقوقها الشرعية على الزوج، مع عدم إثبات ذلك في العقد غالبًا.

وكلمة مِسْيار: صيغة مبالغة على وزن مِفْعال، فتقول: رجل مسيار وسيار: أي الرجل الكثير السير.

وسمي هذا النوع من النكاح بهذا الاسم لأن الزوج يسير إلى زوجته في أي وقت شاء، ولا يلتزم بالحقوق الزوجية التي يلزمه بها الشرع، فكأنه زواج السائر الماشي الذي يتخفف في سيره من الأثقال والمتاع.

وقد ظهر هذا النوع من النكاح لعدة أسباب، من أهمها:

١-القضاء على ظاهرة العنوسة وحل مشكلة المطلقات والأرامل.

٢-حاجة بعض النساء إلى البقاء في غير بيت الزوج؛ وذلك كأن يكون لدى المرأة أولاد تربيهم وهي مشغولة بهم، ولا يناسبها إلا مثل هذا الزواج.

٣-رغبة بعض الرجال بزيادة الاستمتاع؛ فقد تكون الزوجة الأولى كبيرة في السن، أو مشغولة بأولادها وبيتها، ولا يجد الرجل عندها رغبته فيتزوج مسيارًا.

٤-غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج.

وبرغم التشابه بين المسألة الافتراضية والنازلة الفقهية إلا أن ثمة فروقًا بينهما: ففي نكاح النهاريات يلتزم الزوج بالبقاء يوميًّا عند الزوجة إلا أن هذا البقاء قد يكون ليلًا أو نهارًا، بينما نكاح المسيار لا يلتزم فيه الزوج بالبقاء يوميًّا وإنما يأتيها بحسب رغبته.

كما أن سبب نكاح النهاريات انشغال الرجل أو المرأة عن المبيت في الليل، بينما سبب نكاح المسيار في الغالب قضاء المتعة والفرار من تبعات الزواج لدى كلا الزوجين.

كما أنه في نكاح النهاريات يسقط المبيت ليلًا فقط، وفي نكاح المسيار يسقط المبيت بالكلية كما تسقط النفقة وحق الولد وغير ذلك من الحقوق.

ومن الفروق كذلك أن نكاح النهاريات لا يدخله التأقيت، بينما الغالب في زواج المسيار نية التأقيت طالت أو قصرت، مما يجعله شبيهًا بالنكاح بنية الطلاق.

وقد اختلف المعاصرون في حكم نكاح المسيار على قولين:

الأول: الإباحة مع الكراهة، وهو قول الجمهور، وبه صدر قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي.

الثاني: التحريم، وهو قول لبعض الفقهاء[١].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٦٣٤-٦٤١).

١٤-رتق غشاء البكارة:

افترض الفقهاء القدامى إمكان حدوث إعادة غشاء البكارة، وقد وردت في كتبهم النصوص الدالة على ذلك:

جاء في مغني المحتاج للخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى ٩٧٧ هـ): «(وليس له تزويج ثيب) بالغة وإن عادت بكارتها كما صرح به أبو خلف الطبري في شرح المفتاح (إلا بإذنها)»[١].

وجاء في شرح الزركشي الحنبلي (المتوفى ٧٧٢ هـ) على مختصر الخرقي: «ولهذا قال الأصحاب: إن البكارة لو زالت بإصبع أو وثبة فهو كما لو لم تزل، في بقاء إذن البكر، لعدم المباضعة والمخالطة، وعكس هذا لو عادت بكارتها بعد زوالها بوطء، هي في حكم الثيب، ذكره أبو الخطاب أنه محل وفاق لوجود المباضعة»[٢].

فقد تبين من هذه النصوص أن الفقهاء القدامى افترضوا إمكان إعادة البكارة بعد فقدانها.

ومن هذه النصوص وغيرها يتبين أن الفقهاء رحمهم الله اتفقوا على أن من فقدت بكارتها بعقد نكاح صحيح أو فاسد فهي ثيب، كما اتفقوا على أن من فقدت بكارتها بزنا مشهور فهي كالثيب في الإذن بالنطق، واتفقوا كذلك على أن من فقدت بكارتها بغير عقد أو زنا كالوثبة وشدة حيض وعود ونحوه فهي كالبكر في اعتبار إذنها بالصمات.

واختلفوا فيمن فقدت بكارتها بزنا غير مشهور على قولين:

الأول: أنها كالثيب في النطق، وهو مذهب الجمهور.

الثاني: أنها كالبكر في الإذن، وهو مذهب المالكية، وقول أبي حنيفة.

وتتشابه هذه المسألة الافتراضية مع مسألة معاصرة، وهي رتق غشاء البكارة، والبكر عند الفقهاء: هي المرأة التي لم توطأ في قُبُلها بنكاح صحيح ولا فاسد.

والمقصود برتق غشاء البكارة: إصلاح الفتق الحاصل في غشاء البكارة بعد تمزقه إلى ما كان عليه.

وبالتأمل في النصوص السابقة نجد أن الفقهاء القدامى ذكروا من عادت لها البكارة بعد فقدها هل يُحكم لها بحكم الأبكار أم الثيبات؟ دون بيان حكم الرتق نفسه.

---

١ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٢٤٧/٤).

٢ شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٩٢/٥).

وهذا ما دعا الفقهاء المعاصرين إلى بحث هذه المسألة في ندوة الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية المنعقدة في الكويت في ٢٠ شعبان عام ١٤٠٧هـ/ الموافق ١٨ أبريل عام ١٩٨٧م، والتي انتهت باختلافهم حول حكم هذه الجراحة إلى رأيين:

الرأي الأول: ذهب بعض الفقهاء المعاصرين إلى عدم جوازرتق غشاء البكارة للأسباب اللاإرادية.

الرأي الثاني: ذهب البعض إلى جوازرتق غشاء البكارة بسبب الاغتصاب أوكان الفتق لعلة خلقية أو استئصال أورام أو تدفق دم الحيض.

ولكل من الفريقين أدلته وحججه.

والحكم في هذه المسألة يعتمد على الموازنة بين المصالح والمفاسد، وهي ترجع إلى تقدير المفتي الذي يوازن بين المفاسد والمصالح المترتبة على هذا الرتق بالنظرفي مقاصد الشرع وقواعد الشريعة من تقديم درء المفاسد على جلب المصالح ومن رفع الضرر وإزالته[١].

يقول الإمام ابن القيم: «ينبغي له -أي المفتي- أن يكون بصيرًا بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذرًا فطنًا فقيهًا بأحوال الناس وأمورهم، يؤازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ، وكم من مسألة ظاهرها ظاهر جميل، وباطنها مكر وخداع وظلم»[٢].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٦٤٨-٦٥٩).

٢ إعلام الموقعين عن رب العالمين، (١٧٦/٤).

١٥-إثبات النسب بالبصمة الوراثية:



تعرض الفقهاء القدامى لمسألة ثبوت النسب بماء الزوج، وبينوا أن سبب ثبوت النسب حقيقة هو كونه مخلوقًا من ماء الزوج، وذلك أمر خفي لا طريق إلى معرفته، وفيما يلي أهم النصوص في هذه المسألة:

جاء في المبسوط للإمام السرخسي الحنفي (المتوفى ٤٨٣ هـ): «ومن أصلنا في النكاح الجائز أن النسب ثبت بمجرد الفراش الثابت النكاح، ولا يشترط معه التمكن من الوطء، وعلى قول الشافعي بمجرد النكاح بدون التمكن من الوطء لا يثبت النسب فكذلك في الفاسد، حتى قالوا فيمن تزوج امرأة، وبينهما مسيرة سنة فجاءت بولد لستة أشهر عندنا يثبت النسب، وعنده لا يثبت ما لم يكن لأكثر من ستة أشهر حتى يتحقق التمكن من الوطء بعد العقد.

وحجته في ذلك أنا نتيقن بأنه غير مخلوق من مائه فلا يثبت النسب منه كما لو كان الزوج صبيًّا؛ وهذا لأن سبب ثبوت النسب حقيقة كونه مخلوقًا من مائه، وذلك خفي لا طريق إلى معرفته»[١].

وجاء في الحاوي الكبير للإمام الماوردي الشافعي (المتوفى ٤٥٠ هـ): «فمتى وضعت زوجة الغلام ولدًا نظرنا، فإن كان له عند ولادتها أقل من عشر سنين لم يلحق به الولد وكان منتفيًا عنه بغير لعان لاستحالة أن يكون مخلوقًا من مائه، وإذا استحال لحوق النسب بالفراش انتفى عنه، كمن وضعت لأقل من ستة أشهر من وقت العقد»[٢].

---

١ المبسوط (١٧/ ١٥٦).

٢ الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي (١١/ ١٩).

وتصوير المسألة أن نقول: اتفق الفقهاء رحمهم الله على أن سبب التكوين والأبوة هي الخلق من ماء الرجل وبويضة المرأة.

وأجمعوا على ثبوت النسب بالفراش، والفراش تعبير عن اللقاء الزوجي الذي يكون منه الولد، ولكن لما كان هذا اللقاء غير ممكن إثباته عادة كان لا بد من الاستناد في الإثبات إلى ما يكون مظنة له، وهنا اختلف الفقهاء فيما يُطلب لإثبات النسب من هذا الطريق:

فمذهب الحنفية إثبات النسب بعقد الزواج، ولو كان الظاهر عدم إمكان اللقاء؛ لكون الدخول أمرًا باطنًا فيُقام النكاح مقامه في إثبات النسب.

ومذهب الجمهور أنه يُشترط لثبوت النسب وجود العقد مع إمكانية الوطء، بحيث يمكن اجتماعهما عادة، ولا يشترط ثبوت اللقاء وإنما إمكانيته؛ وذلك لأن عامة الأحكام الشرعية مبنية على غلبة الظن، وإثبات الدخول المحقق في كل حالة متعذر؛ فاعتباره يؤدي إلى بطلان كثير من الأنساب.

وعلى ذلك اختلفوا في ثبوت النسب إذا تعارض الفراش مع العلم بكون الجنين مخلوقًا من ماء غير الزوج، كما لو كان الزوج صبيًّا أو مجبوبًا أو وضعته لأقل من ستة أشهر منذ العقد على قولين:

الأول: لا يثبت النسب للزوج صاحب الفراش، وهو قول الجمهور.

الثاني: يثبت للزوج صاحب الفراش، وهو مذهب الحنفية.

وهذه المسألة التي عرضها الفقهاء القدامى تتشابه مع مسألة معاصرة، وهي إثبات النسب بالبصمة الوراثية. وهي إحدى نتائج علم الوراثة.

والمقصود بالبصمة الوراثية: تعيين هوية الإنسان عن طريق تحليل جزء أو أجزاء من حمض الـ(DNA) المتمركزة في نواة أي خلية من خلايا جسمه.

فبعد تقدم علوم التشريح اكتُشف أن أنسجة الجسم كلها تتكون من خلايا، وفي كل خلية نواةٌ هي المسئولة عن الحياة في الخلية ووظيفتها، وأن نواة كل خلية تشتمل على الحصيلة الإرثية من حيث الخواص المشتركة بين البشر جميعًا أو بين السلاسل المتقاربة، ومن حيث الصفات المميزة لكل شخص لا يشترك معه فيها شخص آخر.

وهذه المادة الإرثية المعبأة في نواة الخلية تتكون من ٤٦ كروموسومًا، ٢٣ منها من الأب، و٢٣ من الأم، وهذه الكروموسومات تتكون من المادة الوراثية للحمض النووي الذي يُرمز إليه (DNA) أي: الجينات الوراثية، وكل واحد من الكروموسومات يحتوي على عدد كبير من الجينات الوراثية قد تبلغ في الخلية الواحدة مائة ألف مورثة جينية، وهذه المورثات هي التي تتحكم في صفات الإنسان، وقد ثبت أن لكل إنسان جينومًا بشريًّا يختص به لا يمكن أن يشابه فيه غيره تمامًا.

فكل شخص يحمل في خليته ٤٦ كروموسومًا يرث نصفها من أبيه بواسطة الحيوان المنوي، والنصف الآخر وهي ٢٣ كروموسومًا من أمه بواسطة البويضة؛ فينتج كروموسومات خاصة به لا تتطابق مع أبيه من كل وجه ولا مع أمه وإنما جاءت خليطًا منهما، وبهذا الاختلاط اكتسب صفة الاستقلالية.

ويتم تحليل وفحص الجينات للوقوف على البصمة الوراثية بأخذ جزء لا يزيد عن رأس دبوس من جسم الشخص المراد معرفة بصمته الوراثية، سواء كان من الدم أو المني أو البول أو العظم وغيره، ثم يستخلص (DNA) أولًا من إحدى عينات الدليل، ومن دم الأب المشكوك فيه.

ثم يقطع (DNA) في كل من العينتين إلى ملايين الشظايا، وتعرض الشظايا لمجال كهربائي فتتحرك وتفصل هذه الشظايا ثم تنقل فوق قطعة من الورق تسمى «الغشاء» لتكون جاهزة للتحليل، ثم يعرض الغشاء لفيلم أشعة إكس طوال الليل فتظهر عليها شرائط الحمض النووي العينة.

ثم تتم المقارنة بين بصمة الولد وبصمة أبويه أو أحدهما، فإن كان هناك تطابق بين شق من بصمة الولد وشق من بصمة أحد أبويه ثبت أن الولد لهما؛ ذلك لأن الإنسان يرث نصف الكروموسومات من أبيه، ونصفها الآخر من أمه.

وقد ثبت أن النتائج التي تقدمها البصمة الوراثية دقيقة جدًّا في تحديد هوية صاحبها، وقد

دلت الأبحاث التجريبية أن نسبة النجاح في إثبات النسب أو نفيه تصل إلى حد القطع أي ١٠٠٪؛ مما جعلها قرينة نفي وإثبات لا تقبل الشك، وبذلك صدر قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته السادسة عشر، والمنعقدة في ٢١-١٠-١٤٢٢هـ بأن البصمة الوراثية إذا استوفت الشروط العلمية الكاملة، واجتنبت الأخطاء البشرية فإن نتائجها تكاد تكون قطعية.

وتتفق المسألة الافتراضية مع النازلة الفقهية في تحقق العلم اليقيني في أصل تكوين الجنين والماء الذي خُلق منه.

ولم يهاجم المعاصرون البصمة الوراثية من الناحية الشرعية، لما تحتويه من المصالح وقوة دلالتها العلمية غير المبنية على التخمين.

واتفق الفقهاء المعاصرون على استعمال البصمة الوراثية في المجالات التالية:

١-في حال التنازع على مجهول النسب بمختلف صور التنازع التي ذكرها الفقهاء.

٢-في حالة الاشتباه في المواليد في المستشفيات ومراكز رعاية الأطفال ونحوها، وكذا الاشتباه في أطفال الأنابيب.

٣-في حالات ضياع الأطفال واختلاطهم، بسبب الحوادث أو الكوارث أو الحروب.

اختلاف الفقهاء المعاصرين في الاعتماد على البصمة الوراثية في إثبات النسب:

غير أن الفقهاء المعاصرين اختلفوا: هل يجوز الاعتماد على البصمة الوراثية في إثبات النسب وتقديمها عند التعارض على الأدلة القطعية أم لا؟ على قولين:

- الأول: لا يجوز الاعتماد على البصمة الوراثية وتقديمها على الأدلة القطعية، وهو قول الجمهور.
- الثاني: جواز الاكتفاء بالبصمة الوراثية وتقديمها على الأدلة القطعية، وهو قول بعض المعاصرين.

اختلاف الفقهاء المعاصرين في الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب:

اتفق المعاصرون على أن الزوج إذا لاعن زوجته وجاءت البصمة الوراثية مؤكدة فإن النسب ينتفي ويفرق بينهما، إلا أن الزوجة لا تحد لوجود شبهة اللعان.

واختلفوا في جواز الاكتفاء بالبصمة الوراثية عن اللعان في نفي الولد، على قولين:

- الأول: لا يجوز الاكتفاء بالبصمة الوراثية عن اللعان في نفي الولد، وهو قول جمهور العلماء، وبه صدر قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي.
- الثاني: يجوز الاكتفاء بالبصمة الوراثية عن اللعان، وهو قول بعض المعاصرين.

اختلاف الفقهاء المعاصرين في إثبات النسب بالبصمة الوراثية بعد نفيه باللعان:

إذا تلاعن الزوجان وبعد اللعان أثبتت البصمة الوراثية للمولود التوافق بين الأب والمولود، مما يعني أنه ولده، فهل تكون البصمة الوراثية مؤثرة في عودة النسب المنفي باللعان أم لا؟ هنا اختلف الفقهاء على قولين:

- الأول: يثبت النسب بالبصمة الوراثية بعد إجراءات اللعان، وهو قول بعض الفقهاء.
- الثاني: لا يثبت النسب بالبصمة بعد إجراء اللعان، وهو قول جمهور العلماء؛ تخريجًا على عدم الاكتفاء بالبصمة عن اللعان[١].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٦٩٦-٧٢٧).

١٦-من قال لزوجته: أنت طالق إن طرت أو صعدت في السماء:

تعرض الفقهاء القدامى رحمهم الله لمسألة افتراضية، مفادها أن الرجل لو علق طلاقه بأمر مستحيل فقال لزوجته: إن طرتِ أو صعدتِ في السماء فأنت طالق، فهل يقع طلاقه أم لا يقع؟

وهذه بعض نصوص الفقهاء في هذه المسألة:

قال أبو اسحاق الشيرازي (المتوفى ٤٧٦ هـ) في (التنبيه في الفقه الشافعي): «وإن قال: إن طرتِ أو صعدتِ السماء فأنت طالق لم تطلق. وقيل: فيه قول آخر: أنها تطلق»[١].

وقال الإمام ابن قدامة في (الكافي في فقه الإمام أحمد): «وإنْ علقه على مستحيل، كقوله: أنت طالق إن طرت، ففيه وجهان:

- أحدهما: لا تطلق؛ لأنه علقه على صفة لم توجد.
- والثاني: تطلق؛ لأنه علق طلاقها على ما يرتفع به جملة، فلغا الشرط، ووقع الطلاق»[٢].

ومن هذه النصوص وغيرها يتبين أن الفقهاء اختلفوا في وقوع الطلاق إذا علقه على أمر مستحيل كالطيران أو الصعود في السماء على قولين:

- الأول: أنه لا يقع، وهو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة، والحنفية تخريجًا على الحنث في اليمين لمن حلف ليصعدن السماء.
- الثاني: أنه يقع، وهو قول عند الشافعية والحنابلة.

ودليل القائلين بعدم الوقوع قوله تعالى: {وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنةَ حَتى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَم الْخِيَاطِ} [الأعراف: ٤٠].

فقد علق الله تعالى دخول الكفار الجنة على أمر مستحيل، وهو دخول الجمل في المخيط، والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة أبدًا، وهذا كتعليق الطلاق على المحال، وهو الطيران، أي: لا يقع الطلاق أبدًا.

والقائلون بوقوع الطلاق دليلهم أن تعليق الطلاق على صفة مستحيلة كعدم وجودها؛ فيلغو التعليق ويثبت الطلاق من غير تعليق.

---

١ التنبيه في الفقه الشافعي الشيرازي (ص١٧٩).

٢ الكافي في فقه الإمام أحمد (١٤١/٣).

وهذه المسألة الافتراضية تتشابه مع نازلة فقهية، وهي إذا قال الزوج لزوجته: أنتِ طالق إن طرت أو صعدتِ إلى السماء ثم ركبت الزوجة الطائرة وطارت بها في السماء، هل يقع الطلاق على الزوجة أم لا ؟

ولكن الاختلاف بين المسألة الافتراضية والنازلة الفقهية هو أن المقصود من تعليق الطلاق بالطيران هو حقيقة الطيران الجسدي المخالف للطبيعة البشرية؛ لذلك عدوه من المستحيلات.

أما النازلة الفقهية فليس فيها حقيقة الطيران الجسدي المستحيل عقلًا، وإنما هو الاستعانة بآلة لها خاصية الطيران، وطيران الجسد منفك تمامًا عن الطيران بالاستعانة بآلة، وعلى ذلك فمن قال لزوجته في هذا العصر: أنتِ طالق إن طرت أو صعدت السماء، فقد قال جمهور العلماء اليوم: فإن كان قصده الطيران الجسدي المستحيل فلا يقع الطلاق، وإن قصد الطيران بآلة فيقع الطلاق إن حصل الطيران بالطائرة[١].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٧٣١-٧٣٤).

١٧-الصلاة إلى هواء الكعبة:



ذكر الفقهاء القدامى رحمهم الله مسألة افتراضية صورتها: من كان في مستوى أعلى من مستوى الكعبة، كما لو كان على الجبال المحيطة بمكة كجبل أبي قُبَيْس، وحان وقت الصلاة، فهل يستقبل هواءها أم لا بد من النزول إلى مستوى ارتفاعها ليستقبل بناءها؟

وقد جاءت بعض نصوص الفقهاء في هذه المسألة نذكر منها:

جاء في بدائع الصنائع للكاساني الحنفي: «من صلى على جبل أبي قبيس جازت صلاته بالإجماع، ومعلوم أنه لا يصلي إلى البناء بل إلى الهواء، دل أن العبرة للعرصة والهواء دون البناء، هذا إذا صلوا خارج الكعبة»[١].

وجاء في الشرح الكبير للشيخ الدردير المالكي وحاشية الدسوقي عليه: «صحة صلاة من بأبي قبيس مبنية على أن الواجب على من بمكة استقبال هوائها وهو من الأرض للسماء»[٢].

١ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١٢١/١).

٢ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٣٣١/١).

وجاء في فتح العزيز في الفقه الشافعي للإمام الرافعي القزويني (المتوفى ٦٢٣ هـ): «من صلى على جبل أبي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه إلى هواء البيت»[١].

وفي شرح منتهى الإرادات للإمام البهوتي الحنبلي (المتوفى ١٠٥١ هـ): «(ولا يضر علو) عن الكعبة، كالمصلي على جبل أبي قبيس؛ لأن الجدار لا أثر له، والمقصود البقعة وهواؤها»[٢].

من هذه النصوص وغيرها يتبين أن الفقهاء رحمهم الله اتفقوا على صحة الصلاة لمن كان خارجًا عن الكعبة مستقبلًا لهوائها، كمن على جبل أبي قبيس.

وتفصيل ذلك: أن جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة ذهبوا إلى أن هواء الكعبة قبلة؛ لأن القبلة من الأرض إلى العرش؛ فمن صلى في الآبار العميقة وعلى الجبال العالية وفي السماء صحت صلاته؛ لأن المطلوب إصابة جهة الكعبة ومحاذاتها، أو لهوائها بحيث لو امتد خط مستقيم من وجه المصلي في منتصف زاوية قائمة لكان مارًّا على الكعبة أو هوائها.

وذهب المالكية إلى أن الواجب استقبال الكعبة، ولا يكفي استقبال الهواء لجهة السماء؛ فيجب على من كان بمكة أو قريبًا منها أن يستقبل القبلة بناء الكعبة، بحيث يكون مسامتًا لها بجميع بدنه، ولا يكفيه استقبال هوائها، على أنهم قالوا: إن من صلى على جبل أبي قبيس فصلاته صحيحة؛ بناءً على القول المرجوح من أن استقبال الهواء كافٍ.



١ فتح العزيز شرح الوجيز (١/ ٤٤٢).

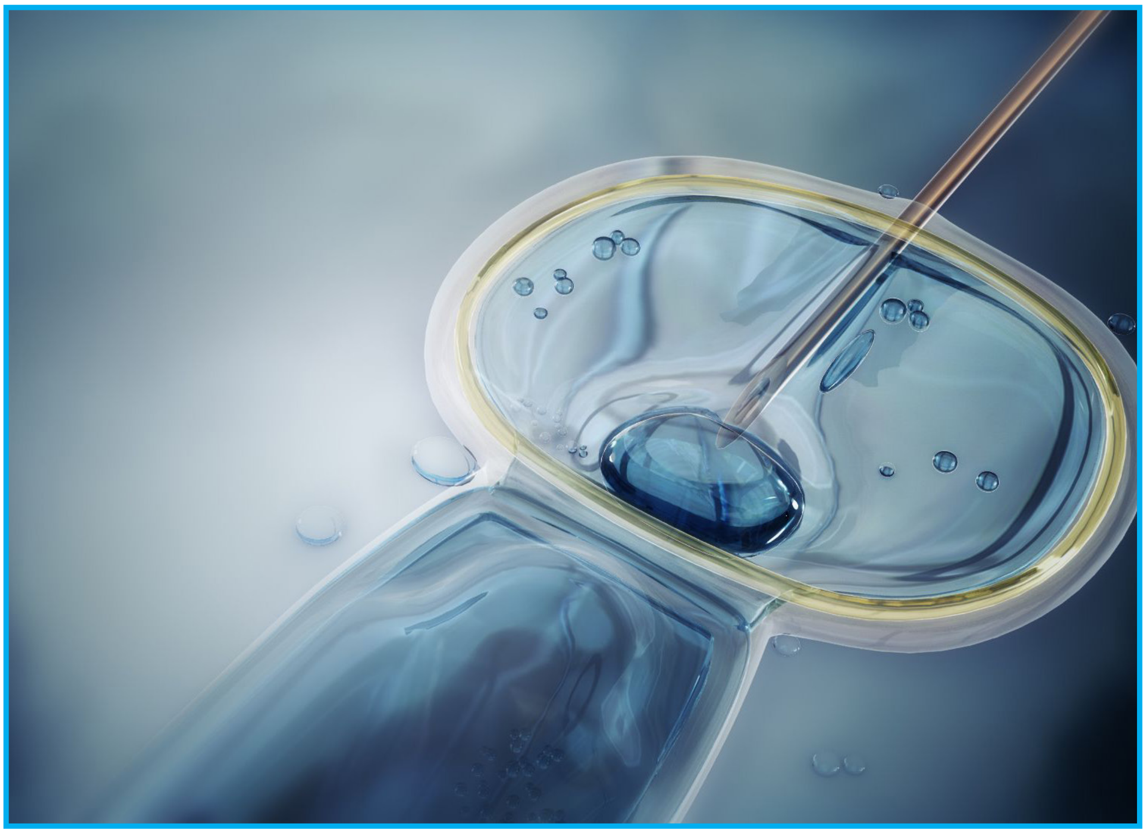
٢ دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات (١/ ١٧٠).

وقد احتج الجمهور بقوله تعالى: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: ١٤٤]؛ فالآية تدل على أن أمر الله تعالى في استقبال القبلة استقبال جهة البيت، ومن استقبل هواءها كان مستقبلًا لجهتها، وإجماع الأمة على استقبال هوائها؛ لأنه عندما رُفع البناء في عهد الزبيررضي الله عنه عندما بنى البيت على قواعد نبي الله إبراهيم عليه السلام، وفي عهد الحجاج حين أعاد بناءه إلى ما كان عليه في الجاهلية كان الناس يصلون إلى تلك البقعة وليس إلى البناء، وكانت صلاتهم مقضية بالجواز.

وهذه المسألة الافتراضية تنطبق تمامًا مع نازلة فقهية وهي الصلاة في الأدوار العلوية في المسجد الحرام، فقد نتج عن التوسعات التي شهدها المسجد الحرام أن جُعل له أدوارتحيط بالكعبة ويصلي ويطوف الناس عليها متجهين إلى هوائها لارتفاعها عن مستوى الكعبة، وهذا ينطبق تمامًا على ما ذكره الفقهاء فيمن صلى على جبل أبي قبيس؛ ففي كل ارتفاع عن مستوى ارتفاع الكعبة وخروج عنها وتوجه إلى هوائها، وقد سبق اتفاق الفقهاء على صحة الصلاة على جبل أبي قبيس فكذلك هنا من باب أولى نظرًا للحاجة الداعية إلى ذلك، وهي التوسعة على المسلمين والتيسيرلهم في أداء عباداتهم، وهو ما ذهب إليه جمهور المعاصرين من صحة الصلاة في الأدوار العلوية[1].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٣٨٩-٣٩٥).

١٨-استدخال المني بغير جماع:



افترض الفقهاء القدامى رحمهم الله مسألة صورتها: لو استدخلت المرأة مني الزوج أو رجل أجنبي بشهوة ثبت النسب.

وهذه بعض نصوصهم في هذه المسالة:

جاء في تبيين الحقائق للزيلعي الحنفي (المتوفى ٧٤٣ هـ): «الحبل قد يكون بإدخال الماء الفرج دون جماع»[١].

وفي شرح مختصر خليل للخرشي المالكي (المتوفى ١١٠١ هـ): «إذا التقطت منيه في نحو حمام ووضعته في فرجها ثم حملت منه فيصدق على ذلك أنها خلقت من مائه حيث علم ذلك»[٢].

وجاء في روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي (المتوفى ٦٧٦ هـ): «إذا استدخلت ماء زوجها أو أجنبي بشبهة ثبتت المصاهرة والنسب والعدة، دون الإحصان والتحليل»[٣].

١ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣٩/٣).

٢ شرح مختصر خليل ، الخرشي (٢٠٧/٣).

٣ روضة الطالبين وعمدة المفتين (١١٤/٧).

وفي الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي الحنبلي (المتوفى ٨٨٥ هـ): «ولو استدخلت مني زوج أو أجنبي بشهوة: ثبت النسب، والعدة، والمصاهرة. ولا تثبت رجعة، ولا مهر المثل، ولا يقرر المسمى»[١].

ومن هذه النصوص وغيرها يتبين أن الفقهاء رحمهم الله اتفقوا على جواز استدخال الزوجة ماء زوجها في الفرج من غير جماع في حال حياته، وعلى ثبوت النسب للزوج في الحمل الناتج من الاستدخال.

كما اتفقوا على حرمة استدخال ماء غير الزوج، ويثبت نسبه للزوج صاحب الفراش إن أمكن كونه منه ما لم ينفه باللعان.

وهذه المسألة الافتراضية تتشابه مع نازلة فقهية، وهي التلقيح الصناعي.

والمقصود بالتلقيح في الاصطلاح: نفوذ الحيوانات المنوية الذكرية في البويضات الأنثوية.

والتلقيح الصناعي نوعان:

الأول: التلقيح الصناعي الداخلي:

وهو نقل المني صناعيًّا من الذكر إلى مهبل الأنثى بغير اتصال جنسي بقصد إحداث الحمل.

ويكون ذلك بأخذ السائل المنوي ووضعه في إناء معقم ثم سحبه بمحقن خاص ليدخل إلى الرحم رأسًا، وتترك المرأة بعدها ممدودة على ظهرها لمدة ساعة لتساعد النطف على الوصول إلى الجهاز التناسلي، حيث تنتظرها البويضة في البوق، ولا تجري هذه العملية إلا في اليوم المحدد للتبويض.

ولهذا التلقيح الداخلي أسلوبان:

الأسلوب الأول: تؤخذ نطفة الذكر من الزوج وتحقن داخل مهبل زوجته، فيقع التلقيح بين النطفة وبويضة الزوجة، ثم العلوق في جدار الرحم، كما في المباشرة الطبيعية.

ويُلجأ إليه في حالة عدم قدرة الزوج على إيصال مائه إلى نهاية المهبل لسببٍ ما.

الأسلوب الثاني: تؤخذ نطفة الذكر من متبرع غير الزوج، وتحقن في مهبل الزوجة حتى يقع التلقيح.

ويُلجأ إليه في حالة كون الزوج عقيمًا.

النوع الثاني: التلقيح الخارجي (أطفال الأنابيب).

---

١ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٨/٢٨٨).

وهو تلقيح بين بذرتين في وعاء مختبري ثم غرسها في الرحم.

وله عدة أساليب:

- الأسلوب الأول: أن تؤخذ نطفة من زوج، وبويضة من مبيض زوجته، فتوضعا في أنبوب اختبار طبي، بشروط فيزيائية معينة، حتى تلقح نطفة الزوج بويضة زوجته في وعاء الاختبار، ثم بعد أن تأخذ اللقيحة بالانقسام والتكاثر تُنقل في الوقت المناسب من أنبوب الاختبار إلى رحم الزوجة نفسها صاحبة البويضة، لتعلق في جداره وتنمو وتتخلق ككل جنين، ثم في نهاية مدة الحمل الطبيعية تلده الزوجة طفلًا أو طفلة.

ويلجأ إلى هذا الأسلوب عندما تكون الزوجة عقيمًا بسبب انسداد القناة التي تصل بين مبيضها ورحمها (قناة فالوب).

- الأسلوب الثاني: أن يجري تلقيح خارجي في أنبوب الاختبار، بين نطفة مأخوذة من زوج وبويضة مأخوذة من مبيض امرأة ليست زوجته (يسمونها متبرعة) ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته.

ويُلجأ إلى هذا الأسلوب عندما يكون مبيض الزوجة مستأصلًا أو معطلًا ولكن رحمها سليم قابل لعلوق اللقيحة فيه.

الأسلوب الثالث: أن يجري تلقيح خارجي في أنبوب اختبار بين نطفة رجل وبويضة من امرأة ليست زوجة له (يسمونهما متبرعين)، ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة أخرى راغبة في الحمل.

ويُلجأ إلى ذلك حينما تكون المرأة المتزوجة التي زرعت اللقيحة فيها عقيمًا بسبب تعطل مبيضها، لكن رحمها سليم، وزوجها أيضًا عقيم، ويريدان ولدًا.

الأسلوب الرابع: أن يجري تلقيح خارجي في وعاء الاختبار بين بذرتي زوجين، ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة تتطوع بحملها.

ويُلجأ إلى ذلك حين تكون الزوجة غير قادرة على الحمل لسبب في رحمها، ولكن مبيضها سليم منتج، أو تكون غير راغبة في الحمل تَرَفُّهًا فتتطوع امرأة أخرى بالحمل عنها.

وهذه الصورة تسمى «تأجير الأرحام». وهذه المسألة ستفرد بالبحث كمسألة مستقلة.

وما ذكره الفقهاء القدامى في مسألة استدخال المرأة للمني منطبق على نازلة التلقيح الداخلي في جميع صوره، سواء كان منيًّا للزوج في حياته أو بعد مماته، أو كان مني أجنبي، وليس ثمة فرق سوى

استخدام آلة أدق في إدخال المني، وتدخل طرف ثالث في العملية.

وقد اتفق الفقهاء المعاصرون على حرمة التلقيح الداخلي إذا كان بمني أجنبي غير الزوج.

واتفقوا على ثبوت النسب للمولود بالتلقيح الداخلي إذا كان بمني الزوج.

واختلفوا في جواز التلقيح الداخلي بين الزوجين على قولين:

- الأول: الجواز، وهو قول جمهور المعاصرين، وبه صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ودار الإفتاء المصرية.
- الثاني: التحريم، وهو قول بعض الفقهاء.

واختلفوا في ثبوت نسب المولود بالتلقيح الداخلي للزوج صاحب الفراش إذا كان بمني أجنبي على قولين:

- الأول: لا يُنسب للزوج صاحب الفراش، ويأخذ حكم ولد الزنا، وهو قول الجمهور، وعليه فتوى دار الإفتاء المصرية.
- الثاني: يُنسب للزوج صاحب الفراش، وهو قول بعض العلماء.

أما نازلة التلقيح الخارجي (طفل الأنبوب) بجميع صورها فإنها تعد نازلة جديدة لم يتقدم لها ذكر في كتب الفقهاء.

وقد اتفق الفقهاء المعاصرون على تحريم التلقيح خارج الجسد إذا كان فيه تبرع من طرف ثالث غير الزوجين بأحد البذرتين، سواء كان التبرع بالنطفة الذكرية أو الأنثوية أو بكليهما، أو كان التبرع بالرحم من أجنبية لنقل اللقيحة فيه حتى الولادة.

واختلفوا في حكم التلقيح خارجيًّا بين بذرة الزوجين ثم غرسها في رحم الزوجة، كالخلاف في التلقيح الداخلي بينهما، على قولين:

- الأول: جواز التلقيح الخارجي بين الزوجين بشروط كما في التلقيح الداخلي، وهو قول جمهور العلماء، وبه صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ودار الإفتاء المصرية.
- الثاني: تحريم التلقيح الخارجي بين الزوجين، وهو قول بعض الفقهاء[1].

١ انظر: المسائل الافتراضية وأثرها في نوازل العبادات وفقه الأسرة (ص٦٦٧-٦٩٥).

١٩-استئجار الأرحام:



افترض فقهاء الشافعية مسألة صورتها: لو ألقت امرأة مضغة أو علقة فاستدخلتها امرأة أخرى في فرجها فحلتها الحياة واستمرت حتى وضعتها ولدًا، فهل يصير ابنًا للأولى أم الثانية؟

وفيما يلي نصوص فقهاء الشافعية في هذه المسألة:

جاء في حاشية البجيرمي الشافعي (المتوفى ١٢٢١ هـ) على شرح المنهج: «لو كان لشخص أمتان فوطئ إحداهما وحملت منه فوضعت علقة فأخذتها الأمة الثانية ووضعتها في فرجها فتخلقت وولدت ولدًا فهل تصير الأمة الثانية مستولدة أو لا؟ اعتمد شيخنا أنها لا تصير مستولدة بذلك؛ لأنه لم ينعقد من منيه ومنها في هذه الحالة، ويلحقه الولد»[١].

وجاء في حاشية الشبراملسي (المتوفى ١٠٨٧ هـ) على نهاية المحتاج: «لو ألقت امرأة مضغة أو علقة فاستدخلتها امرأة أخرى حرة أو أمة فحلتها الحياة واستمرت حتى وضعتها المرأة ولدًا لا يكون ابنًا للثانية، ولا تصير مستولدة للواطئ لو كانت أمة؛ لأن الولد لم ينعقد من مني الواطئ ومنها بل من

١ التجريد لنفع العبيد (حاشية البجيرمي على شرح المنهج) (٤/٤٤٤).

مني الواطئ والموطوءة فهو ولد لهما. وينبغي ألا تصير الأولى مستولدة به أيضًا حيث لم يخرج منها مصورًا»[١].

ويتبين من هذه النصوص أن الفقهاء القدامى تناولوا هذه القضية على فرض حدوثها موضحين في ذلك عدم جواز الأم البديلة أو الرحم البديل إلا أنه لو وقع يثبت نسبه لصاحب البويضة والحيوان المنوي المحترم، ولم يثبتوا لصاحبة الرحم البديل أن تكون أم ولد وإن حملته ووضعته؛ لأن الولد لم يخرج منها مصورًا.

وهذه المسألة الافتراضية تتطابق مع نازلة فقهية معاصرة، وهي «استئجار الأرحام»، وهو أن تُزرع بويضة من امرأة ملقحة بحيوان منوي من زوجها في رحم امرأة أخرى حتى تلد مقابل مبلغ من المال أو دون مقابل مالي؛ لأسباب عديدة، منها: أن صاحبة البويضة لا يصلح رحمها للحمل أو ليس لها رحم مع وجود المبيضين صالحين أو أحدهما لإفراز البويضات، أو قد يكون ذلك لرغبة صاحبة البويضة في أن تحافظ على صحتها أو على رشاقتها وجمالها أو غير ذلك من الأسباب.

وقد اتفق الفقهاء المعاصرون على حرمة التبرع بالرحم من أجنبية لنقل اللقيحة فيه حتى الولادة، ومن ثم عدم جواز الحمل عن طريق الرحم البديل مطلقًا؛ وذلك لأن الله تعالى قد اشترط في جواز الإنجاب بين الرجل والمرأة أن يتم في عقد زواج صحيح، والأم البديلة لا توجد صلة زوجية بينها وبين صاحب الحيوان المنوي؛ فتكون النتيجة أن الحمل أمر غير مشروع، وإذا كان حق الاستمتاع الجنسي بالمرأة قاصرًا على الزوج، وهو غير قابل للبذل والإباحة سواء كان تطوعًا أو بأجر؛ فرحمها كذلك غير قابل للبذل والإباحة بإذن زوجها أو بدونه؛ لأن الاستمتاع حق للزوج وحرام على غيره؛ لأن الأصل في الأبضاع التحريم.

واستندوا أيضًا إلى أن حمل امرأة ليست زوجة جنينًا لامرأة أخرى فيه إفساد لمعنى الأمومة كما فطرها الله؛ فالمرأة التي حملته وغذته من دمها أشهرًا حتى غدا جزءًا من كيانها مع تحمل التعب ومشقات الحمل والوضع هي مجرد حاضنة تحمل ثم تلد ثم يؤخذ منها الطفل إلى أمه التي لم تحمله في بطنها ولم يتغذ من دمها، ففي ذلك إفساد لمعنى الأمومة التي هي بذل وعطاء ومكابدة، إضافة إلى أن أعباء الحمل والوضع قد جعلت للأمومة فضلًا وحقًّا ووصية بها من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. إلى غير ذلك من الحجج والدلائل.

---

١ حاشية أبي الضياء نور الدين بن علي الشبراملسي على نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٨/ ٤٣١).

واختلف الفقهاء المعاصرون في حكم ما إذا كان المتبرع بالرحم زوجة ثانية للزوج، مع اتفاقهم على ثبوت النسب للزوج في ذلك، على قولين:

- القول الأول: تحريم تبرع الزوجة الثانية بحمل بويضة الزوجة الأخرى للزوج الملقحة من الزوج، وهو قول جمهور الفقهاء، وبه صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي.
- القول الثاني: جواز التبرع بالحمل إذا كان من زوجة ثانية بشرط عدم قدرتها على الإنجاب، وهو قول لبعض الفقهاء.

والقائلون بجواز تبرع الزوجة الثانية بحمل لقيحة الزوجة الأخرى اختلفوا في تحديد الأم الحقيقية للمولود على قولين:

- الأول: الأم الحقيقية هي صاحبة البويضة، وصاحبة الرحم في حكم الأم من الرضاعة، وهو قول جمهور الفقهاء، وبه صدر قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي.
- الثاني: الأم الحقيقية هي صاحبة الرحم، وصاحبة البويضة في حكم الأم من الرضاع، وهو قول طائفة من العلماء[١].

١ انظر: الفقه الافتراضي وأثره في مستجدات العصر في الفقه الإسلامي (ص٤٢١-٤٣٠).

الفصل الرابع:

ارتباط الإفتاء بالعلوم المختلفة

(وفيه سبعة موضوعات):

١.الطب.

٢.الكيمياء.

٣.الفيزياء.

٤.الفلك.

٥.الجغرافيا.

٦.الرياضيات.

٧.تكامل العلوم الشرعية مع العلوم الإفتائية.

توطئة



ارتباط الإفتاء بالعلوم المختلفة:

لما كان الفقه المستشرف للمستقبل مرتبطًا بالمستجدات والنوازل التي تطرأ نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي فإنه ثمة علاقة بين الإفتاء والعلوم بأنواعها.

والشريعة الإسلامية لا يمكن أن تختلف مع العلم؛ وذلك لأن مصدرهما واحد وهو الله تعالى.

وتوافق الإسلام مع العلم من الخصائص المهمة للإسلام، الذي دعا إلى العلم وإكرام طالب العلم وحامله، وهذه الخاصية ليست في الأديان الأخرى.

كما أن إنكار الحقائق العلمية هدم للشرع؛ لأنه هدم للبراهين التي دلت على صحة الشرع، وكتاب الله تعالى يحث على توجيه الناس إلى التفكر في الخلق، والاستدلال به على كثير من أصول الدين كوجود الله تعالى ومعرفة صفاته، وغير ذلك. قال تعالى: {إِن فِي خَلْقِ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَيْلِ وَالنهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكرُونَ فِي خَلْقِ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النارِ} [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

ومن ارتباط الإسلام بكل جوانب الحياة جاء ارتباط الفقه الإسلامي بكل العلوم، ولا بد للعالم في الدين ألا يجعل هذا الدين معزولًا عن العلوم الأخرى، ولا بد لمن يتصدر للإفتاء من الاستفادة من العلوم بمختلف مجالاتها؛ وذلك للوصول إلى الحكم الشرعي بصورة صحيحة؛ حيث إن أحكام المكلفين تخرج من رحم مجتمعاتهم، التي هي في الغالب مستمدة من عناصر حياتهم وطريقة معيشتهم، ومن ذلك هذا التطور الكبير في العلوم الحديثة؛ فإذا خفي على الفقيه أو المفتي بعض هذه العلوم فإنه قد يزل في فتواه، وهذا يتطلب من الفقيه أن يكون قريبًا من مجتمع الناس مسايرًا للتطور الحاصل في العلوم بمختلف مجالاتها. وفي ذلك يقول الإمام القرافي في كتابه (الذخيرة): «وكم يخفى على الفقهاء والحكام الحق في كثير من المسائل بسبب الجهل بالحساب والطب والهندسة؛ فينبغي لذوي الهمم العلية أن لا يتركوا الاطلاع على العلوم ما أمكنهم ذلك. فلم أر في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام»[١].

وإذا نظرنا إلى التعريف العلمي الدقيق لمصطلح الفقه فسنجد أنه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية. ويمكن أن نستنتج من هذا التعريف أن الفقه مرتبطٌ بكل الجوانب المتعلقة بالحياة؛ فإن الفقه فيه القواعد الكلية التي تندرج ضمنها جميع الجزئيات التي

١ الذخيرة (٥/ ٥٠٢).

تتعلق بالموضوعات المتعددة؛ فيمكن للمجتهد النظر في القضايا المستجدة لتؤطر في إطار الفقه الإسلامي.

وبتتبع ذكر العلم في آيات القرآن والأحاديث النبوية نجد أن المقصود به هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم كل ما يتصل بالحياة فلا يقتصر على علم الشريعة فحسب؛ فقد دعا القرآن إلى النظر في مظاهر الوجود وجعل من الكون كتابًا للمعرفة، ودعا الله تعالى إلى التفكير في آياته، وفهم نواميس الكون فقال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)} [الغاشية ١٧-٢٠].

وأمر الله تعالى الإنسان بالبحث والنظر والتفكر والتدبر مخاطبًا إياه في آيات عديدة: {أَفَلاَ يَرَوْنَ}، {أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنا خَلَقْنَاهُ مِن نطْفَةٍ}، {إِن فِي ذَلِكَ لآَيَاتٍ لقَوْمٍ يَتَفَكرُونَ}، {إِن فِي ذَلِكَ لآَيَاتٍ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.

فهذه الآيات الكريمة وما ماثلها تحث على استخدام العقل للوصول إلى الإيمان بوجوده تعالى والإيمان بوحدانيته في الخلق والتدبير والعبادة.

وينقسم العلم في الإسلام من حيث وجوبه وفروضه مصداقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1] إلى قسمين:

الأول: فرض العين: وهو العلم الذي لا يسع كل مسلم الجهل به، وهو ما يحتاج إليه الإنسان في إقامة دينه وقبول عمله عند الله واستقامة معاملته مع الناس.

الثاني: فرض الكفاية: وهو كل ما يحتاج إليه المجتمع من غير نظر إلى الشخصية بذاتها، كتعلم الصناعات والمهن، أو كل ما يُحتاج إليه في شئون المجتمع كعلم التجارة والطب والهندسة والكيمياء والفيزياء وغيرها، وكذا كل ما يجدُّ في المستقبل من الحاجات إلى علوم أخرى.

فوجه الإسلام الأمة إلى طلب العلوم الدينية والدنيوية معًا؛ لأن الجمع بينهما من أسباب تقدم الأمم فيؤدي إلى صنع الحضارة والازدهار الاقتصادي والاجتماعي.

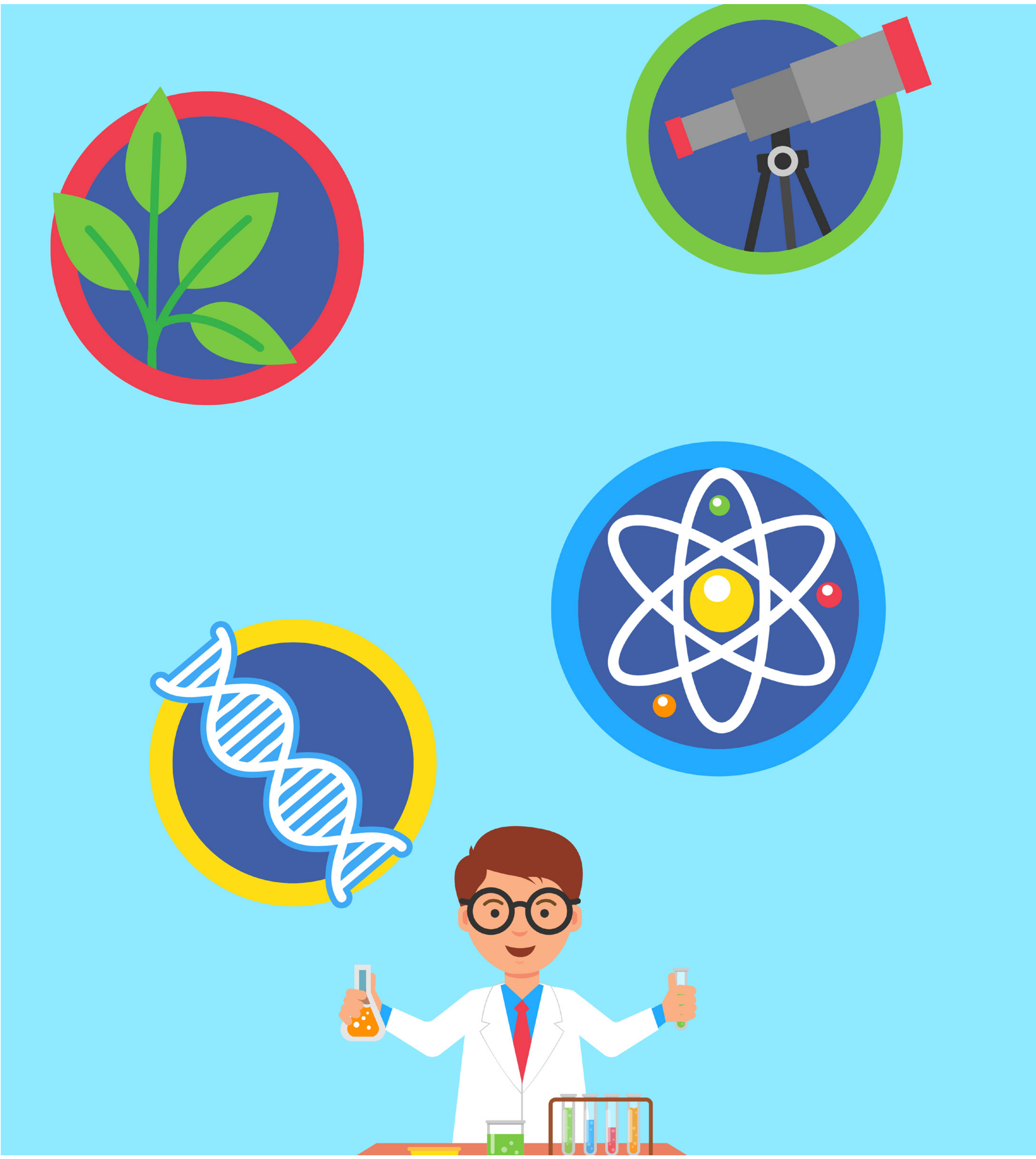
١ أخرجه ابن ماجه، (٢٢٤)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢٨٣٧).

والوصل بين الفقه والعلوم الإنسانية والطبيعية أصبح مطلبًا ملحًّا وضروريًّا بعدما توسعت هذه العلوم وتطورت مناهجها؛ فلا مندوحة عنها في معرفة الواقع من حولنا، وتصور المجال الذي يشتغل فيه الفقه؛ فإن باب المعاملات من الفقه وطيد الصلة بعلم الاقتصاد المعاصر، وباب المناكحات شديد الارتباط بعلم الاجتماع، وباب الجنايات يحتاج إلى علم النفس، ومباحث الطهارة والمباح والمحرم من الأطعمة والمشروبات لا تستغني بحال عن أبحاث العلوم الطبيعية والطبية، وأبواب السياسة الشرعية تحتاج إلى علم السياسة ومعرفة القوانين الدولية.

وإن انعزال الفقه عن سائر العلوم الأخرى وعن مجريات الحياة المعاصرة يدفع إلى جمود الفقه على مفرداته الماضية، ويُعيق شحذ الذهن وتقوية الملكات العقلية؛ فلا يكون الفقه مواكبًا لتطور الحياة المستمر.

إن الفقه لا يكون متينًا مسددًا إلا إذا نشأ عن تصور صحيح وواضح عن المجال الذي يشتغل فيه؛ فإذا كان مجال اشتغال الفقيه هو القضايا الأسرية فإن ذلك يقتضي رصدًا دقيقًا للعلاقات الاجتماعية ووعيًا بطبيعتها ونتائجها، وإذا كان المجال هو المعاملات المالية والاقتصادية فذلك يضطر الفقيه إلى معرفة حقيقة صور التعاملات التجارية وطبيعة العقود وأساليب الاستثمار والتمويل والتوزيع، وكذلك الحال في مختلف مجالات الاشتغال الفقهي.

أقسام العلوم



تنقسم المعرفة الإنسانية إلى ثلاثة أقسام:

١. العلوم الطبيعية: وهي التي تهتم بدراسة البيئة الطبيعية والمشاكل المادية، وهي: الكيمياء والفيزياء والأحياء.

٢. العلوم الاجتماعية: وهي التي تهتم بدراسة المجتمع من نواحيه المختلفة، وكذلك دراسة الإنسان في ذلك المجتمع، مثل الاقتصاد والسياسة والقانون والتاريخ والاجتماع... إلخ.

٣. العلوم الإنسانية، ويضم هذا القسم: الفلسفة والفنون والآداب.

وفيما يلي نبين ارتباط الإفتاء بكل علم من هذه العلوم:

١ علم الطب



يمكن تعريف هذا العلم بأنه علم وفن يتعلق بالمحافظة على الصحة والوقاية من الأمراض وتخفيفها وعلاجها.

وأساس علم الطب هو مادة علم الأحياء (البيولوجيا) لما لها من دور هام في التعريف بالإنسان والحيوان والحشرات والطفيليات والميكروبات وتدريس التشريح والأنسجة والخلايا.

ومع ثورة التقنيات الحديثة تطور استخدام علم البيولوجيا في العلاج، فأصبح هناك الطب الحيوي والعلاج بالجينات.

ارتباط علم الطب بالإفتاء:

بدأت العلاقة بين الفقه والطب مبكرة جدًّا، والشاهد على ذلك مَنْع الإسلام من ممارسة الطب لغير الخبير بالمهنة وتضمين من مارسها وهو ليس عارفًا بها؛ حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَطَبب ولا يُعْلم منه طِب فهو ضامنٌ»[١].

كما تجلت العلاقة بين الفقه والطب في كون حفظ النفس من مقاصد الشريعة الكبرى، وحفظها يكون بصيانتها من العلل والهلاك، فجاء الأمر بحفظ النفس والتداوي معززًا لهذه القاعدة، وقال العز بن عبد السلام: «الطب كالشرع، وضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام»[٢].

وهناك تطبيقات حديثة في المجال الطبي تقدم إمكانيات لإنقاذ الكثير من المرضى لكنها قد تثير مشاكل تتصل بمدى شرعيتها في الفقه الإسلامي، وأصل هذه المشاكل يرجع إلى أن هذه التطبيقات نظرًا لوقوعها على جسم الإنسان تمس حقًّا من الحقوق اللصيقة بشخصية الإنسان، وهو الحق في التكامل الجسدي الذي يعتبره الشرع الحنيف حقًّا فيه جانب لله وجانب آخر للعبد، ومؤدى ذلك أن تصرف الإنسان في جسمه مقيد بمراعاة جانب حق الله عليه.

وكانت فتاوى الفقهاء القدامى في بعض المسائل الفقهية معتمدة على النظرة الطبية السائدة في زمنهم، وقد صرح بعضهم في مثل هذه المسائل بأن ذلك من باب الطب لا الفقه، ويقصدون بذلك أن التدليل لمثل هذه المسائل بالجانب الفقهي المحض دون نظر إلى الجانب الطبي فيها لا يستقيم؛ مما يدل صراحة على اعتبار الجانب الطبي في أمثال هذه المسائل في الفقه.

١ أخرجه أبو داود، (٤٥٨٦).

٢ قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (١/ ٦).

ففي البحر الرائق لابن نجيم: «ووصول البول من المعدة إلى المثانة بالترشح وما يخرج رشحًا لا يعود رشحًا، كالجرة إذا سد رأسها وألقي في الحوض يخرج منها الماء ولا يدخل فيها. قال في الهداية: وهذا ليس من باب الفقه لأنه متعلق بالطب»[١].

يريد أن الجزم بوجود المنفذ من المثانة إلى الجوف مما يختص بمعرفته أهل الطب، ولا شك أن للنظر الطبي هنا أثرًا في قول الفقيه بفساد الصوم من عدمه.

وفي الروض المربع: «ولمريض الصلاة مستلقيًا مع القدرة على القيام لمداواة بقول طبيب مسلم ثقة، وله الفطر بقوله»[٢].

ومما يستلفت النظر أنه رغم حداثة بعض التطبيقات الطبية والجراحية كزراعة الأعضاء البشرية إلا أن الفقهاء أنفسهم تعرضوا لحكم تطبيقات تندرج تحت الفنون الحديثة للجراحة من ذلك مثلًا استعمال عظام الجثث في تجبير العظام المكسورة عند الأحياء، كما أنهم تعرضوا لحكم وسيلة تعتبر تطبيقًا لعملية التلقيح الصناعي التي ظهرت في العصر الحديث، وذكر الفقهاء القدامى ذلك في كتبهم على حسب تصورهم وعصرهم فيما يعرف باستدخال المني في فرج المرأة.

وقد تطورت العلوم الطبية في زمننا هذا تطورًا كبيرًا نتج عنه ظهور كثير من المستجدات والنوازل في مجال الطب، لاسيما ما يتعلق بعالم البيولوجيا، مثل الجينوم البشري الذي يعد من الموضوعات الحيوية التي تكثر حاجات الناس إليه اليوم، والذي يندرج ضمن التقنيات والوسائل العلمية الحديثة للتحكم في الجينات، مما يستلزم استجلاء الرأي الفقهي الرصين المؤسس على الوسطية الإسلامية، والرؤية المقاصدية الموازنة؛ فكان لا بد من أخذ هذه المستجدات بعين الاعتبار، وقد وجدنا المجامع الفقهية المعاصرة تتناول كثيرًا من هذه المسائل بالاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص بهذا الفن.

١ البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٣٠٠، ٣٠١).

٢ الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص١٤٢) ، البهوتي.

٢ علم الكيمياء



يمكن تعريف علم الكيمياء بأنه: هو العلم الذي يبحث في دراسة المواد من حيث تركيبها، وعلاقة هذا التركيب بخواصها وتفاعلها ببعضها لإنتاج مواد جديدة.

ويساهم هذا العلم بشكل فعال في توفير جميع متطلبات أمور حياتنا؛ فالماء الذي نشربه والهواء الذي نستنشقه، وما نلبسه، والمكان الذي نعيش فيه، ومصادر الطاقة المتنوعة جميعها ذات علاقة بعلم الكيمياء.

ولعلم الكيمياء صلة وثيقة بمجال الصناعات، وله علاقة بالطب الحديث الذي يعتمد على الأدوية المصنعة كيميائيًّا، حتى التداوي بالأعشاب له صلة وثيقة بالكيمياء.

والعلماء المسلمون هم أول من بدءوا علم الكيمياء بداية جديدة، وقعدوا له على أساس التجربة والملاحظة بعيدًا عن الأوهام والخرافة، واكتشفوا الكثير من المواد الكيميائية وتفاعلاتها، وأنتجوا لنا مواد لم تكن معروفة من قبل.

ومن العلماء العرب الرواد في علم الكيمياء علي بن محمد الجلدكي رائد علم المذيبات، ولهذا العالم إنجازات واكتشافات، ومن أهم اكتشافاته أنه توصل إلى فصل الذهب عن الفضة بواسطة حمض النيتريك الذي يذيب الفضة تاركًا الذهب الخالص، وله موسوعة علمية في الكيمياء هي «التقريب في أسرار التركيب» وصفها علماء الغرب بأنها موسوعة علمية تجمع المبادئ والنظريات في علم الكيمياء.

ارتباط علم الكيمياء بالإفتاء:

يدخل علم الكيمياء في جميع أنشطة حياتنا، وقد جاءت الشريعة الإسلامية شاملة متكاملة ومهذبة لجميع نواحي الحياة، ومن ثم بدت العلاقة الوثيقة بينهما؛ ففي مسألة التطهر من أجل العبادة مثلًا يأتي دور الكيمياء في التعرف على الماء الصالح لذلك، وطرق تكريره إن تنجس أو أصبح طاهرًا بالوسائل الحديثة.

كما يستعين الفقيه أو من يتصدر للإفتاء بعلم الكيمياء للكشف عن الأجسام التي اختلف الفقهاء في حكم نجاستها، فلو تحول النجس إلى شيء طاهر معلوم فهل يحكم ببقاء نجاسة تلك الأجسام لبقاء أصل النجاسة فيها ولو تحولت؟ أم أنها تحولت كليًّا ولم يبقَ للمادة الأولى أثر؟

وقد دار هذا الخلاف بينهم لعدم إمكانياتهم العلمية والمخبرية التي تؤكد لهم صحة ما ذهب إليه كل فريق.

وقد استُحدثت أدوية مستخرجة من أعيان نجسة كالخنزير ونحوه، بل تعدى ذلك إلى المواد الغذائية والملابس ومساحيق التجميل، وعلى أثر ذلك ظهرت الأبحاث الفقهية التي تبين مدى طهارتها أو إباحتها أو عدم ذلك.

ويستعين من يتصدر للإفتاء بعلم الكيمياء مثلًا في المواد الحافظة وهي المواد الكيميائية التي تضاف إلى الأطعمة بهدف إطالة مدة حفظها أو تحسين لونها أو بنيتها أو مذاقها.

فقد أثبتت الدراسات الطبية أن الإفراط في تناول المواد الحافظة يساعد على نمو الخلايا السرطانية في جسم الإنسان، ولا يمكن الجزم بأن بعض المواد الحافظة بعينها تتسبب في حدوث بعض أنواع السرطان فيأتي دور علم الكيمياء الذي يستعين به الفقيه في تحديد ما يضر من هذه المواد وما لا يضر، وضوابط استخدامه.

ومن أمثلة استعانة من يتصدر للإفتاء بعلم الكيمياء لتقرير الحكم الشرعي ما يتعلق باستخدام المواد الكيميائية المستخرجة من بعض الحشرات كصبغة القرمز، وهو خضاب ذو لون أحمر مشرق اللون الذي يُستخلص من بعض الحشرات كالدودة القرمزية، وقد استخدم هذا الصباغ قديمًا في تلوين الأقمشة والسجاد، وما زال يستخدم كصباغ للنسيج وفي صناعة الملونات الغذائية والدوائية وفي العديد من المنتجات مثل العصائر والمثلجات والحلوى. كما تدخل هذه الصبغة في صناعة بعض مستحضرات التجميل، وقد أشارت بعض الدراسات إلى أعراض هذه الصبغة السلبية، وتأثيرها الضار على الإنسان.

وتتجدد النوازل التي لا يسع الفقيه الاكتفاء بالعلم الشرعي وحده فيها بل لابد له لكي يصدر الحكم الفقهي المتعلق بهذه النازلة من الاستعانة بعلم الكيمياء.

٣ علم الفيزياء

علم الفيزياء هو علم يبحث عن أحوال الطبيعة وما يطرأ في العالم من حدث وتغيير كخواص المادة والزمان والحركة وطاقة الجسم وكتلته وحرارته وغير ذلك، وأصله القياس والتجربة والنظر والرياضيات.

وللفيزياء الحديثة فروع متكاثرة كالفيزياء الفلكية والحركية والحرارية والنووية والطبية وغير ذلك.

أهمية علم الفيزياء:

تبرز أهمية علم الفيزياء في حياتنا من خلال العديد من التطبيقات التي أتاح هذا العلم وجودها في حياة الناس، وأصبحت من ضروريات الحياة التي لا يمكن الاستغناء عنها، كما ساهم هذا العلم في ثورة تقنية ومعرفية هائلة مكنت الإنسان من إيجاد أسلوب أسهل لتنفيذ كافة الأنشطة اليومية، ومن أهم هذه التطبيقات التي تُبرِز أهمية الفيزياء في حياتنا: توليد الكهرباء.

كما أن للفيزياء فضلًا كبيرًا في صناعة بعض الأجهزة التي نحتاجها يوميا مثل أجهزة التكييف والتلفاز والمصابيح، والهواتف، كما أن هذا العلم يدخل في الطب بشكل مباشر من خلال مثلًا الأشعة السينية والاطمئنان على الجنين وعلاج السرطان وكذلك أمراض العيون، وغير ذلك من مجالات الحياة.

ارتباط علم الفيزياء بالإفتاء:

باعتبار الفيزياء علمًا يبحث في أحوال الطبيعة فلا جرم أن له صلة بالفقه الإسلامي الذي يشمل كل جوانب الحياة، وقد بدأ اهتمام المسلمين بالفيزياء بعد حركات الترجمة التي ترجمت كتب الإغريق، وكان للمسلمين -ولا سيما ببغداد وغيرها أيام العباسيين وبعدهم- حِذْقٌ في فروع الفيزياء، فبرع منهم مثل موسى بن شاكر وأولاده، وإبراهيم بن حبيب الفزاري، وهو أول من صنع الأسطرلاب في الإسلام، وغيرهم.

وهناك بعض المسائل الفقهية التي بنيت على الاستعانة بعلم الفيزياء؛ فقد أفتى القرافي في كتابه الذي صنفه في (المواقيت) في مسألة موت أخوين أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب في وقت واحد في الزوال، هل يسقط التوارث بينهما أو لا؟ ومن الذي يرث الآخر منهما؟ فأجاب بأن المغربي يرث؛ لأن

المشرقي مات قبله بيقين، لأن الشمس تزول بالمشرق أولًا[١].

وفي (منح الجليل) عن القاضي أن الفقهاء يورثون المغربي من المشرقي، والمعدلون ينظرون إلى طولي البلدين، فإذا عرفوا فضل الأطول نظروا إلى عدد الدقائق والساعات، واستخرجوا به المتقدم والمتأخر، واقتصر عليه الشيخ السنوسي قائلًا: أطلق الفقهاء أن الميتين ببلدين بوقت واحد كالزوال لا يتوارثان، وهذا صحيح إن كان موتهما ببلدين متحدي الطول، أما إن ماتا ببلدين مختلفي الطول، فإن زوال الأطول مثلًا يتقدم على زوال الأقصر بقدر فضل طوله عليه، وخسوف القمر دليل قطعي على ذلك، فينبغي في مثل هذا أن يرث الميتُ بالموضع الأدنى طولًا الميتَ بالموضع الأرفع طولًا، وبيان وجه هذا مشهور في علم الهيئة[٢].

وكذا تحتل قضية تحديد مطالع الشهور الهجرية ودور الحساب الفلكي فيها حيزًا لا بأس به في الأبحاث الفقهية المعاصرة، فقضية الحساب الفلكي من القضايا المتعلقة بالفيزياء الفلكية وعلم الكونيات.

ومن فروع الفيزياء: الفيزياء الطبية، وهي أحد تخصصات الفيزياء التطبيقية في المجالات الطبية، وخصوصًا في تشخيص وعلاج الأمراض.

وهي التي يستعين الفقيه بها في بيان أحكام النوازل المتعلقة بالفيزياء كما في الأشعة بمختلف أنواعها التي أصبحت تستخدم في جميع مناحي الحياة، ومنها الطب، كما في أجهزة التنظير التي تستخدم أشعة إكس؛ فيتم التشخيص أحيانًا عن طريق إعطاء المريض صبغة إشعاعية ملونة تؤخذ عن طريق الفم لفحص الجهاز الهضمي، أو تصوير البطن والحوض وبعض الأجزاء المختلفة من الجسم كالعنق والعمود الفقري، أو الأجزاء المتناهية الصغر كالغدة النخامية.

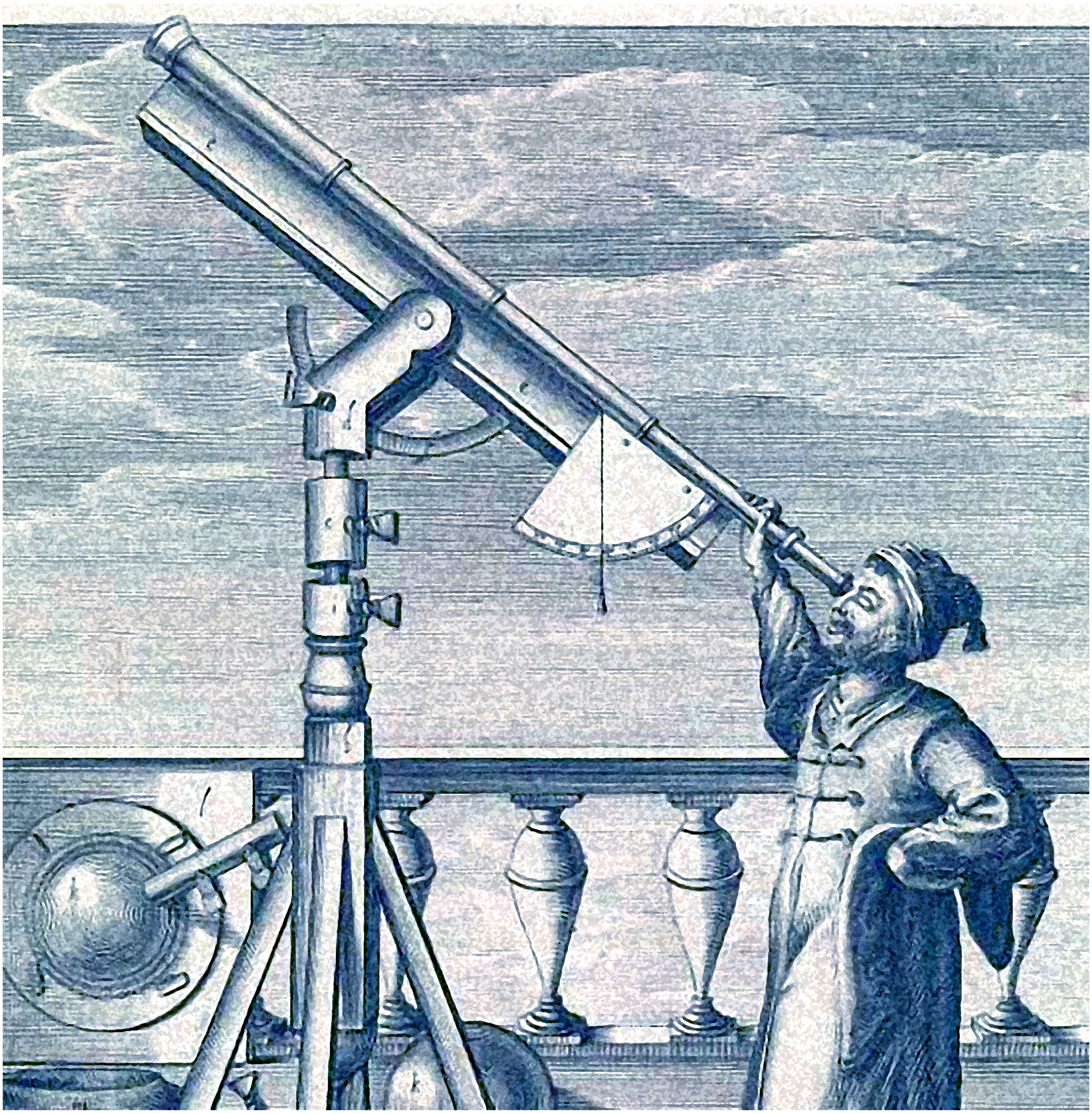
كما أن المناظير الإشعاعية قد تستخدم في التشخيص أو العلاج عن طريق إدخالها في الفم كمنظار المعدة، فيبحث الفقيه بالاستعانة بهذا العلم هذه النازلة بمعرفة طبيعة هذه الأشعة، وهل هذه المناظير من مفسدات الصوم مثلًا.

ويستعين من يتصدر للإفتاء بعلم الفيزياء وفروعه المختلفة فيما يستجد من النوازل التي تتجدد بتطور الزمن.

١ منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/٦٩٨).

٢ منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/ ٦٩٨).

٤ علم الفلك



هو العلم الذي يدرس نشأة الأجرام الفلكية وحركتها ومواقعها، وهو أحد أقدم العلوم البشرية، ويختلف عن:

١-التنجيم الذي يحاول وضع علاقة بين الأجرام الفلكية والأحداث الإنسانية، ولا يمكن اعتباره علمًا.

٢-علوم الكون، وهو العلم الذي يدرس الكون ويضع تصورًا لنشوئه وهيئته ومستقبله.

٣-الفيزياء الفلكية، وهو العلم الذي يدرس العلاقة بين القوى الطبيعية والأجرام الفلكية.

حث الإسلام على معرفة علم الفلك:

علم الفلك من العلوم النافعة، وقد شجَّع الإسلام عليه، كما شجَّع على اكتساب المعارف والعلوم الأخرى، وأراد للإنسان أن يتعرف أسرار الكون ومجاهله، بما في ذلك أوضاع الكواكب، قال تعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل:١٦]، ونحوه قوله تعالى: {وَهُوَ الَذِي جَعَلَ لَكُمُ النُجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِوَالبَحْرِ قَدْ فَصَلْنَا الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام:٩٧]. فهاتان الآيتان، وكذا غيرهما من آيات لا تخلو من إيماءات إلى أهمية ضرورة التعرف إلى مواقع الأفلاك وأوضاعها، وهذا ما فطن إليه المسلمون الأوائل، ولهذا برعوا في علم الفلك.

اهتمام المسلمين بعلم الفلك:

من المعلوم لدى المسلمين أنه لا بد أن يكون تطبيق الأحكام الشرعية صحيحًا دقيقًا موافقًا لما وضعه الشارع، وأن أي خلل في أدائها يُعرض المسلم للحساب والعقاب، ولما كان أداء العبادات على وجه صحيح مرتبطًا بالظواهر الفلكية فقد رصد المسلمون هذه الظواهر ودرسوها دراسة علمية متقنة خوفًا من الوقوع في الإثم. وهذا ما دفعهم إلى قراءة بعض الظواهر الفلكية التي تعلقت بتلك الأحكام الشرعية، كرصد الشمس والقمر، ومتابعة الخسوف والكسوف، وظواهر فلكية أُخرى، قراءة علمية دقيقة دفعت إلى نمو علم الفلك وتطوره.

وقد أدرك الفلكيون المسلمون العلاقة القوية بين الأحكام الشرعية والظواهر الفلكية، وفي ذلك يقول الفلكي المصري الشهير ابن يونس الصدفي المتوفى «٣٩٩ هجرية» في كتابه (الزيج الحاكمي): «للكواكب ارتباط بالشرع في معرفة أوقات الصلاة، وطلوع الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب، وهو آخر أوقات الفجر، وكذلك مغيب الشفق الذي هو أول أوقات العشاء الآخرة، وانقضاء الأيمان والنذور، والمعرفة بأوقات الكسوف للتأهب لصلاته، والتوجه إلى الكعبة لكل مصلٍّ، وأوائل

الشهور، ومعرفة بعض الأيام إذا وقع فيه شك، وأوان الزرع ولقاح الشجروجني الثمار، ومعرفة سمت مكان من مكان، والاهتداء عن الضلال»[1].



إن اهتمام المسلم بواجباته الدينية المذكورة دعاه إلى ضبط الظواهر الفلكية والكونية المرتبطة بها ضبطًا علميًّا محكمًا، وتطلبت هذه الدقة الاهتمام بالمراصد الفلكية، كما تطلبت المزيد من الآلات الفلكية المحكمة؛ فكثرت الآلات الفلكية كالأَسْطُرْلابات وأرباع الدائرة وغيرها في العالم الإسلامي، وأبدع الفلكيون المسلمون آلات جديدة خاصة بضبط الوقت للصلاة والصيام وآلات لتحديد سمت القبلة. ومن هذه الآلات الإبداعية آلة لضبط الوقت ابتكرها الفلكي السوري ابن الشاطر المتوفى «سنة ٧٧٧ هجرية»، وعُرفت (بالبسيط)، وضعت في المسجد الأُموي بدمشق.

١ كتاب الزيج الكبير الحاكمي، لأبي الحسن ابن يونس (ص٦١).

وبرز عدد من الفلكيين عُرفوا بالمؤقتين منهم محمد الخليلي، وابن علي المراكشي.

وظهر علم جديد اسمه (علم الميقات) أو (علم المواقيت).

وعلى يد هؤلاء الفلكيين المؤقتين ظهر عدد من الجداول الميقاتية لتنظيم وقت الصلاة. فمثلًا وضع محمد الخليلي المتوفى «في حدود عام ٨٠٠ هجرية» بالجامع الأُموي جداول لتنظيم أوقات الصلاة لخط عرض دمشق، وجدولًا يحدد اتجاه القبلة، وغير ذلك.

ارتباط علم الفلك بالإفتاء:

يحتاج من يتصدر للإفتاء إلى الإلمام والاستعانة بعلم الفلك الحسابي الذي يُستدل به على الجهات والقبلة وأوقات الصلوات. وقد ذهب البعض إلى أنه فرض كفاية، قال ابن عابدين: «والحسابي حق، وقد نطق به الكتاب في قوله تعالى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} [الرحمن:٥]» اهـ[١].

كما أن علم الفلك الحسابي يُستدل به على تحديد بدايات الشهور القمرية. وفي أخذ علماء الفقه بحقائق ما أنتجه علم الفلك فيما يتصل بهذا الموضوع ما يكون له آثار إيجابية مفيدة وأكيدة لدى جمهور المسلمين؛ فإن الوصول إلى اعتماد منهجية موحدة لمعالجة إشكالية تحديد بدايات الشهور القمرية من شأنه أن يظهر احترام المسلمين للحقائق العلمية، ويظهرهم أمة واحدة أمام شعوب العالم.

١ انظر: رد المحتار على الدر المختار (١/٤٤).

٥ علم الجغرافيا



هو العلم الذي يدرس الظواهر الطبيعية والظواهر البشرية على سطح الأرض من حيث توزيعها والعلاقات المتبادلة بينهما.

فلعلم الجغرافيا جانبان: جانب طبيعي وجانب بشري.

وتُعنى الجغرافيا الطبيعية بفروعها بدراسة الظواهر الطبيعية التي لا دخل للإنسان في وجودها، فهي تدرس الأرض باعتبارها فردًا من أفراد المجموعة الشمسية، وتبحث في ظواهر غلافها الصخري والجوي.

ويتداخل علم الجغرافيا مع غيره من العلوم الأخرى التي تلعب دورًا كبيرًا ومؤثرًا في الطابع الجغرافي، ومن هذه العلوم: الاقتصاد والصحة والفلك والزراعة.

أسباب اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا:

لقد حث الإسلام على التأمل ودراسة السماوات والأرض والكون، وتعاقب الليل والنهار، وخسوف القمر وكسوف الشمس وغيرها، وهذه كلها من المقومات الأساسية لعلم الجغرافيا، إضافة إلى أن الإسلام دعا إلى السفر واستعمال العقل لاكتشاف أسرار الكون، فقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} [العنكبوت: ٢٠]، وكان للعرب اتصالات بأكثر الشعوب والحضارات المحيطة بهم كالحضارة الرومانية والفارسية؛ وذلك بسبب اهتمامهم بالتجارة، وقد أدت هذه الرحلات إلى نمو المعرفة بالأماكن والبلدان، وكانت الفتوحات واتساع الدولة الإسلامية من الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بالمعرفة الجغرافية التي تساعد على معرفة أقطار هذه الدولة المترامية الأطراف.

كما كان الحرص على أداء الشعائر الدينية في أوقاتها من أهم أسباب اهتمام المسلمين بالجغرافيا، فقد اهتموا بالتوقيت وتحديده بدقة بواسطة قياس زاوية سقوط أشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية؛ لأن تحديد الأوقات بدقة ضروري لأداء الصلوات في أوقاتها، كما اهتم المسلمون بمراقبة الشفق لأن مغيبه هو أول أوقات صلاة العشاء، وقد ذكره الله تعالى في قوله: {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ} [الانشقاق: ١٦]، وكذلك اهتم المسلمون بمعرفة الأهلَّة ورصدها لأنها هي التي تحدد بداية الشهور، ومنها شهر الصوم، وعليها يُعتمد في تحديد يوم وقفة الحجاج بعرفة، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلناسِ وَالْحَجِ} [البقرة: ١٨٩].

ارتباط علم الجغرافيا بالإفتاء:

ينبغي على من يتصدر للإفتاء الإلمام بمبادئ علم الجغرافيا فإن جُل أركان الإسلام تعتمد في أدائها على مواقيت زمنية ومكانية، فتحرير أوقات الصلوات في البلاد يتوقف على معرفة عروضها وأطوالها المقررة في علمها.

ولذلك وضع علماء المسلمين في كل قطر إسلامي حدودًا زمنية لإقامة الصلاة، وما تزال الأدوات التي تقاس بها مواعيد الصلاة موجودة في بعض المساجد القديمة، وتسمى بالساعات الشمسية، كما أن الصلاة تُستقبل فيها جهة محددة وهي الكعبة في مكة، ولذلك وجب على من يتصدر للفتوى معرفة الاتجاهات الجغرافية لتحدد قبلة الصلاة في كل مدينة أو قرية.

ولا تختلف الحال كثيرًا في الصيام الذي يحُدد أداؤه بحدود شهرية وحدود يومية.

وكذلك يرتبط الحج والعمرة بمواقيت مكانية للإحرام، وهي مختلفة في أبعادها من مكة حسب الجهات التي يأتي منها المسلمون لأداء الفريضة، وكان ضروريًّا معرفة تلك المواضع التي يتم إحرام الحجاج والمعتمرين منها حتى لا يترتب عند تجاوزها مخالفة شرعية تؤثر على صحة العبادة. إلى جانب أن الحج يرتبط بميقات زمني محدد: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ}، وهي التي تتركز حول شهر ذي الحجة؛ لأن الحج مرتبط بالوقوف بعرفة في يوم التاسع من شهر ذي الحجة، فمن فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج، وهكذا.

وهذه المواقيت المكانية ثابتة بالسنة الصحيحة والإجماع القطعي، وقد كان أمر هذه المواقيت واضحًا؛ فهي تقع على الطرق المؤدية لمكة من كل الجهات، وقد كان الناس كلهم أو غالبهم يقدمون من تلك الطرق فيحرمون من تلك المواقيت.

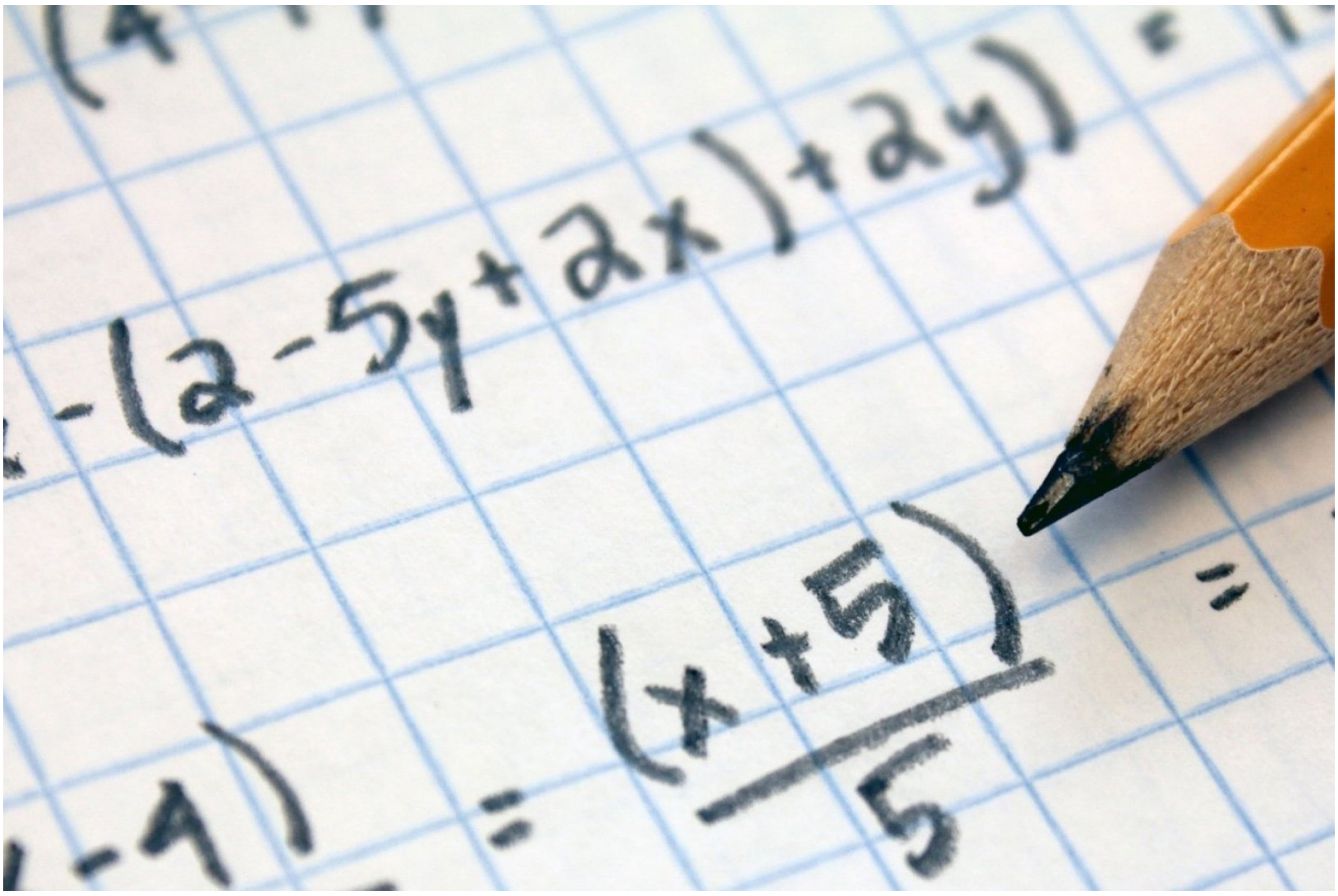
وقد تطورت وسائل المواصلات، وتعددت الطرق الموصلة إلى مكة، واستطاع الإنسان أن يأتي من أطراف الأرض عبر الطائرات فيحرم في الجو، فلا يرى الميقات المحدد له ولا يمر به، وهذا حال أغلب الحجاج الذين يأتون من شتى بلدان العالم، ولأجل هذا استجدت مسائل ونوازل في أحكام المواقيت المكانية، أشكلت تلك المسائل على كثيرين، من هذه المشكلات تحديد معنى محاذاة المواقيت، وهذه مشكلة كبيرة يحتاج إلى حكمها غالبية الحجاج الذين يأتون من خارج السعودية على خطوط الطيران المختلفة والتي لا تمر بالمواقيت إلا على سبيل المحاذاة. وتحديد معنى المحاذاة يستند إلى علم جغرافية الأرض، وإلى أصل مشروعية المواقيت.

والمشهور الذي قال به عدد كبير من جمهور العلماء المعاصرين وجوب الإحرام بالطائرة حين تمر بمحاذاة الميقات.

وقد نص جمع منهم على جواز الإحرام من جدة لأهل سواكن -ميناء بالسودان- ونحوهم ممن يأتي من غرب جدة تمامًا دون غيرهم؛ وعللوا ذلك بأنهم يصلون جدة قبل محاذاة يلملم والجحفة دون غيرهم.

كما يستعين من يتصدر للإفتاء بعلم الجغرافيا عند التقاضي في وقف على بلد من بلاد دولة من الدول معينة شُكَّ في كون تلك البلد من حوزتها وحدودها؛ فإن ذلك يتوقف على علم الجغرافيا، فمنه يُعلم دخولها في شرط الواقف أو عدم دخولها.

٦ علم الرياضيات



يمكن تعريف علم الرياضيات بأنه: العلم الذي يهتم بدراسة الحساب والأرقام والمعادلات التي تربط هذه الأرقام ببعضها البعض.

وفروع الرياضيات الأساسية هي: علم الحساب، وعلم الهندسة، وعلم حساب المثلثات، وهو ذلك العلم الذي ينظر في النسب القائمة بين أضلاع المثلث وزواياه، وقد أطلق المسلمون على هذا العلم اسم «علم النسَب»؛ نظرًا لأنه يبحث في النسب بين أضلاع المثلث.

أهمية هذا العلم في حياتنا:

مما لا شك فيه أن لعلم الرياضيات أهمية قصوى في شتى جوانب الحياة، فهذا العلم يؤثر في طريقة التفكير لدى الإنسان فتجعله منظمًا ومرتبًا.

كما أن الرياضيات تتداخل مع الكثير من العلوم فهي تخدم الكيمياء والفيزياء وعلوم الفضاء وغيرها من العلوم؛ مما يطور هذه العلوم التي تساعدنا على تحسين حياتنا.

كما تتدخل الرياضيات في سلوكيات حياتنا اليومية مثل العمليات الحسابية ومراقبة الساعة وحساب الوقت ومعرفة مقادير الطبخ وتصميم البيوت وقيادة السيارات وتحديد السرعات وغير ذلك من أنشطة الحياة المختلفة.

اهتمام المسلمين بالرياضيات:

وقد عرف المسلمون علم الرياضيات بعد ترجمة المأثور من معارف هذا العلم في الحضارات السابقة: اليونانية والهندية، والفارسية، ولم يكن المسلمون عالة على ما وَرِثوه، بل نجحوا في أن يُطوروا هذه المبادئ المعرفية المتباينة لعلم الرياضيات.

ولم تكن الممارسة الرياضية منفكةً عن العلوم الإسلامية الدائرة على الوحي ولا على اللغة العربية لغة الوحي؛ ولذلك تم الإفتاء من قِبَل الفقهاء بإدراج علم الرياضيات في النظام التعليمي للأطفال في سن مبكرة، فنص محمد بن عبد السلام سحنون (ت ٢٥٦ هـ) أحد كبار مؤسسي الفقه المالكي بالغرب الإسلامي في رسالته «آداب المعلمين» على استحباب تعليم الحساب للأطفال.

وكان الفقيه شقران بن علي القيرواني (ت ١٨٦ هـ) شيخ الفقيه سحنون فقيهًا رياضيًّا، ومن أعلام الحِساب.



ومن أشهر علماء العرب الذين برعوا في الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمي، الذي عاش فيما بين القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ فهو يُعد مؤسس علم الجبر بكتابه الشهير «الجبر والمقابلة»، وهو الذي اكتشف الأعداد العربية التي أصبحت فيما بعد الأعداد العالمية التي نستخدمها الآن.

ارتباط علم الرياضيات بالإفتاء:

يحتاج الفقيه إلى الإلمام بعلم الرياضيات في الإفتاء في المسائل المتعلقة بعلم الفرائض (المواريث) فإن هذا العلم له صلة وطيدة بعلم الرياضيات، فهو في جملته قواعد في الفقه والحساب، يُتوصل بها إلى معرفة نصيب كل وارث من التركة.

ويشير الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه «تكوين العقل العربي» إلى العلاقة بين الرياضيات والفقه، وفضل علم الفقه على علم الجبر قائلًا: «إن حاجة الفقه النظري -وبكيفية خاصة علم الفرائض- قد دفعت بالرياضيات العربية إلى التطور والتجدد، بل ربما إلى اختراع علم الجبر والمقابلة، إننا نكاد نجزم بأن الجبر العربي يدين في وجوده للفقه والفقهاء»[١].



١ تكوين العقل العربي، للدكتور محمد عابد الجابري (ص٩٨، ٩٩).

فعلى ذلك فعلم الجبر هو ابتكار إسلامي منبعه الفقه، سواء من حيث الباعث أو الموضوع أو المصطلح، وقد أسس الخوارزمي لعلم الجبر بصفته العالم الفقيه، وغرضه الأول حل القضايا الفقهية، فقد ذكر هو نفسه ذلك في كتابه «الجبر والمقابلة» قائلًا: «على أني ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتابًا مختصرًا حاصرًا للطيف الحساب وجليله، لما يلزم الناس من الحاجة إليه، في مواريثهم ووصاياهم وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم، من مساحة الأرضين وكري الأناهر والهندسة، وغير ذلك من وجوهه وفنونه»[1].

كما يحتاج الفقيه أو المفتي إلى علم الرياضيات في حساب قسمة الشركات ومقادير زكاة المال.

كما يستعين الفقيه بمبادئ الهندسة في حسم المنازعات في مساحة قطع الأرض، كما يستعين بمبادئ حساب المثلثات فيما يتعلق باتجاه القبلة وتحديد الزاوية المسموحة لانحراف المصلي عنها.



١ كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي، (ص١٥، ١٦).

٧ تكامل العلوم الشرعية مع العلوم الإنسانية والتطبيقية

إن الله سبحانه خلق الإنسان خليفةً وحمله الأمانة، وأمره بإعمار الأرض، وجعل ذلك -مع صلاح النية- جزءًا من العبادة. فهذا العقل الذي أنعم الله به على الإنسان أتاح له أن يكون مخيرًا بين الإصلاح والإفساد، وهذا لب الابتلاء، فإذا أخذ طريق الإعمار فسيكون قد فهم مراد الله سبحانه ونجح في امتحانه، وإذا أخذ طريق الجهل والإفساد فقد غره عقله وأساء الفهم واختار طريق الفاشلين.

وهذا المعنى قد أدركه مبكرًا علماء المسلمين، فاهتموا بالعلوم الإنسانية والتطبيقية بجانب العلوم الشرعية، ولم يروا في ذلك تعارضًا بل وحدةً وتوافقًا، فكل تلك العلوم مصدرها واحد، فكلها مستقاة من علم الحكيم العليم الذي خلق الإنسان بفطرته وطبعه متعلمًا، فكيف سيحدث التعارض؟! فلا خوف إذن، بل ولا كِهانة، ولا حَجر على المسلمين في أن يتعلموا تلك العلوم ويتفننوا فيها، فلن يجدوا فيها إلا توافقًا مع الشرع، فليس في الإسلام خرافةٌ يخشى كهانُها إذا انتشر العلم بين الناس من فضحِها، بل هو دين علم وبدأ بالعلم، وحث الناس على التعقل والتفكر في آيات الله سبحانه في السموات والأرض.

فلا عجب إذن أن ينتشر في ذلك الزمان لفظ «العالم الموسوعي» أو «العالم المتفنن»، والذي يعبر عن ذلك العالم المشارك في مختلف العلوم، فإذا فتحت كتبَ التراجم التي عُنيت برجال ذلك العصر فكثيرًا ما ستقع عينُك على ألفاظ مثل: الفقيه الطبيب الفلكي، الفقيه الأصولي الفيلسوف، الأديب الجغرافي المؤرخ، المحدث الكيميائي... وهذا مع الاختصار طبعًا، فهناك من علماء ذلك العصر من شارك في أكثر من أربعة عشر علمًا مختلفًا.

إن العلم هو نور ذلك الكون وسبب إعماره، وذلك التكامل بين فروعه المختلفة هو الذي يؤدي إلى التقدم والازدهار، أو بعبارة أخرى: يصنع الحضارة.

الباب الثالث:

القضايا المستقبلية وما يترتب عليها من فروع إفتائية

(وفيه أربعة فصول):

الفصل الأول: تكنولوجيا المستقبل.

الفصل الثاني: المستقبليات الاجتماعية.

الفصل الثالث: المستقبليات الاقتصادية.

الفصل الرابع: المستقبليات في استغلال الموارد.

مدخل:

إنَّ مما لا يخفى على أحد أننا نعيش في زمن التطور السريع والتغير المطَّرد في كثير من المعالم، وذلك بسبب الصناعات والتقنيات التي سبَّبت تغيُّر كثيرٍ من الوقائع، وتدخُّل أسباب تؤثر على تكييفها الفقهي، وتغيِّر واقعها الذي انبنى التكييف الشرعي عليه؛ فأدى ذلك إلى تغير كثير من الأحكام الاجتهادية لتتفق مع واقع العصر ولتساير مقتضى الحال، وهذا معلوم مشاهَد.

كما استجدت أمور وقضايا لم تعرِض سابقًا، ولم ينبرِ الفقهاء لبيانها، ولا زال المختصون يبحثون أحكامَ نوازل فتنزل بهم غيرها ولمَّا يفرغوا من سابقتها.

والواقع الذي هو مجال الفقه أصبح عبئًا مرهقًا للفقيه ولجهده الذي يبذله لفهمه واستيعابه؛ بسبب ما حدث لهذا الواقع من تغيرات سريعة وتحولات تتجاوز في أحيان كثيرة قدرة الفكر على ملاحقتها فضلًا عن مواكبتها.

لقد كان الواقع خلال قرون متطاولة بسيطًا فأصبح معقدًا مرتبطًا بخلفيات سابقة وظواهر مجاورة وآثار لاحقة، ولذا كانت هذه المتغيرات والمستجدات كلها تحتاج لبيان الحكم الشرعي، وتفتقر للفتوى الشرعية في حين حصولها؛ إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

وقد كان السلف الصالح –بل والحكماء في الجاهلية والإسلام- يكرهون الجوابَ الدَّبَرِيَّ، وهو الذي يجيء بعد وقته، ومن أمثال العرب «شر الرأي الدبريُّ».

وكان بعضهم ينهى عن الرأي الفَطير، ويستعيذ بالله من الرأي الدبري، وذلك بأن يستعدَّ للرأي باختماره وإدارته في الذهن قبل تقريره؛ ليكون مستعدًّا للإدلاء به عند ورود الحادثة، وهذا ما فعله الفاروق عمر رضي الله عنه فقد هيَّأ وجهز في نفسه ما يقوله يومَ السقيفة قبل وقته استعدادًا لما يقدم عليه.

وانطلاقًا مما سبق فإننا في خلال الصفحات التالية نقف مع بعض الأفكار والمسائل التي نحتاج إلى بيان حكمها مما سيعرض للأمة وأفرادها من نوازل ومستجدات مقبلة استعدادًا لما هو مقبل وآتٍ.

الفصل الأول:

تكنولوجيا المستقبل

(وفيه موضوعات)

١. السيارات ذاتية القيادة.

٢. الروبوت –الإنسان الآلي-.

٣. الوسائل الحديثة في ذبح الحيوان –الإغماء الحراري-.

٤. استيطان الفضاء.

٥. أحكام رواد الفضاء.

٦. التجسس من الفضاء.

٧. التعدين الفضائي.

١ السيارات ذاتية القيادة



تصور القضية[1]:

تطورت وسائل النقل بتطور الحضارة الإنسانية؛ فبعد أن كانت وسيلة النقل بالنسبة للإنسان هي الدواب أصبحت العربات البدائية، ثم تطور النقل إلى الدراجة فالسيارة، وفي هذا الزمن الذي بلغت فيه التكنولوجيا شأوًا بعيدًا يسعى العلماء إلى ظهور سيارات ذاتية القيادة، وهي السيارات التي تسير بدون سائق، وهي مركبات قادرة على استشعار البيئة المحيطة بها والسير على الطرقات العامة دون تدخل بشري، وتعتمد على خوارزميات رسم الخرائط والبيانات التي تحصل عليها من أجهزة استشعار متعددة مدمجة بها لتحديد مسار الطريق، وتتضمن أجهزة الاستشعار النموذجية نظامًا أشبه بالرادار، ونظام رؤية مجسمة، ونظام تحديد المواقع الجغرافية (GPS)، ونظام التعرف البصري على الأشياء، ونظام تحديد الموقع في الوقت الحقيقي؛ وذلك رغبةً في تقليل عدد حوادث الطرق التي تُسفِر عن مقتل ما يقرب من ٣٠ ألف فرد سنويا، وتشير الإحصائيات إلى أن ٩٥٪ من هذه الحوادث تكون نتيجة لأخطاء بشرية.

وفي هذا السياق تأتي دراسة «جون س. سوليفان» المتخصص في تكنولوجيا المعلومات والعلوم السياسية بجامعة نوتردام الأمريكية، والمعنونة: "ماذا سيقود مستقبل السيارات ذاتية القيادة؟"، وهي الدراسة المنشورة عن "معهد المشروع الأمريكي لأبحاث السياسة العامة".

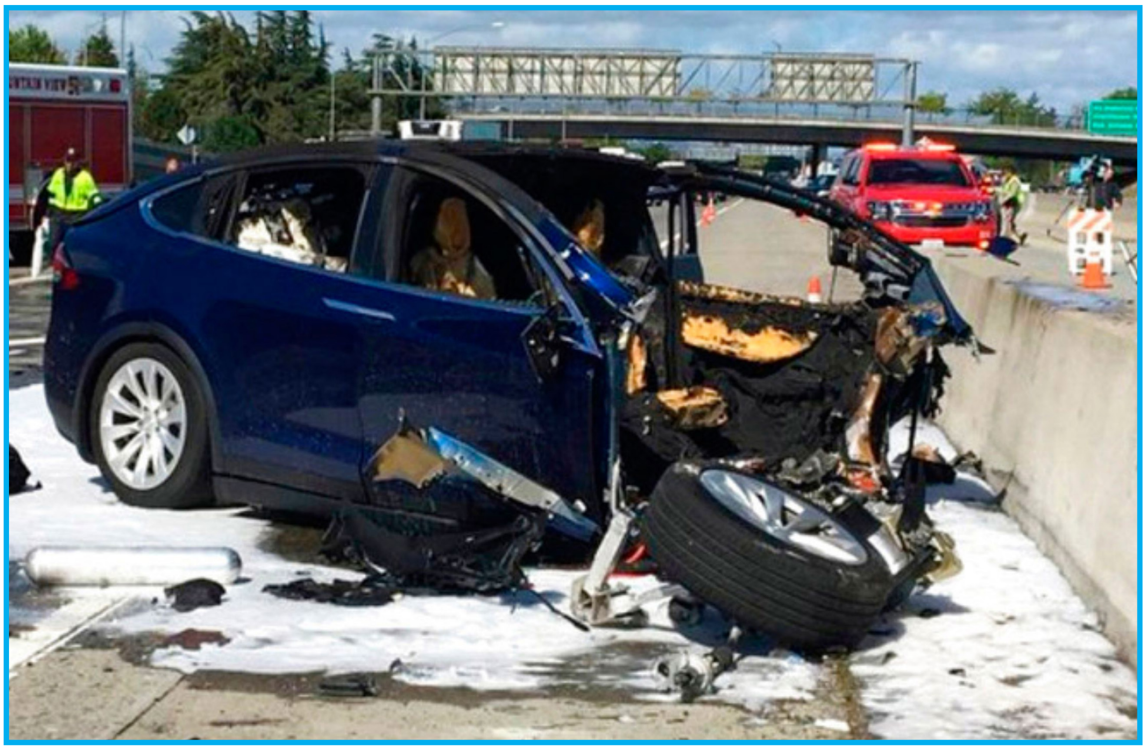


١ مصادر هذه القضية: موقع bbc عربي: https://www.bbc.com/arabic/scienceandtech
-موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة: https://futureuae.com/ar/Mainpage

الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية المستقبلية بعض الفروع الفقهية التي تتطلب مزيد بحث ودراسة للوقوف على الفتوى الصحيحة فيما يعرض من نوازل، ويمكن إجمال هذه الفروع فيما يأتي:

الفرع الأول: المسئولية الجنائية لحوادث السيارات ذاتية القيادة.



تحديد المسئولية الجنائية عند وقوع الحوادث، فهل تقع المسئولية على مالك السيارة أم الشركة المصنعة أم الشركة المطورة لبرامج القيادة الذاتية؟

إن تحديد المسئول في جرائم هذه السيارات من الأمور التي تحتاج إلى اجتهاد فقهي وضبط إفتائي؛ حيث إن القانون الجنائي يقوم على مبدأ الجريمة الفردية، في الوقت الذي لا تمتلك فيه الآلات وعيًا أو إدراكًا.

ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر التي تناولت معنى الضمان وشروطه وضوابطه والدراسات التي تناولت التعويض عن الضرر.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- أبواب الجنايات في كتب المذاهب الفقهية.
- أبواب الضمان في كتب المذاهب الفقهية، وخاصة باب الضمان على البهائم.

ثانيًا: أهم الدراسات المعاصرة:

- المسئولية الجنائية في الفقه الإسلامي، للدكتور أحمد فهمي بهنسي.
- المسئولية في الفقه الجنائي الإسلامي لعبد المجيد الذيباني.
- المسئولية الجنائية لقائدي المركبات، لأحمد بن سعود السيابي، بحث مقدم للدورة الحادية والعشرين لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي ١٤٣٥هـ-٢٠١٣م.
- أحكام جناية البهائم والجناية عليها في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة)، للدكتور إسماعيل شندي، بحث بمجلة الجامعة الإسلامية-غزة، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، يونيو٢٠٠٧م.
- أحكام الضمان في الجنايات في الشريعة الإسلامية (دراسة تطبيقية)، رسالة ماجستير، إعداد: ماجد صالح القدان، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، ٢٠٠٣م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء الأردنية بعنوان: مسئولية السائق الشرعية عن حوادث السير.
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بعنوان: حكم التسبب في حوادث السير.
- قرار مجلس الإفتاء بدار الإفتاء الأردنية رقم: (٢٦٠) (١٣/٢٠١٨) مسئولية حوادث الدهس.

الفرع الثاني: تولي شركات التأمين دفع الدية في حوادث السيارات ذاتية القيادة؟

إذا تسببت السيارة ذاتية القيادة في قتل شخص فهل لشركة التأمين أن تصدر منتجًا ماليا يضطلع بدفع الدية إلى المجني عليه أو أهل المتوفى؟ حيث إن فكرة التأمين تتفق مع فكرة العاقلة في النصرة والتعاون وجبر الأضرار الناجمة عن الجنايات والحوادث، فهل يجوز أن تقوم شركات التأمين مقام العاقلة؟

ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر التي تناولت مسألة التأمين والدراسات التي تناولت التعويض عن الضرر.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

أبواب الديات في الكتب الفقهية.

أبواب الضمان في الكتب الفقهية.

ثانيًا: أهم الدراسات المعاصرة:

- الدية بين العقوبة والتعويض في الفقه الإسلامي المقارن للدكتور عوض أحمد إدريس، دار ومكتبة الهلال-بيروت.
- مسئولية سائق وسائل النقل الجماعية في القتل الخطأ عن الدية والكفارة، بحث من إعداد الدكتور وهبة الزحيلي، مقدم إلى مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي في الدورة الرابعة عشرة ٨-١٣ ذو القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ١١-١٦ يناير ٢٠٠٣م.
- المسئولية الجماعية عن الجناية على البدن في الفقه الإسلامي (دراسة فقهية مقارنة) للدكتور أحمد علي موافي، بحث بمجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٤م.
- التعويضات في حوادث النقل رؤية تجديدية للدكتور مسعود صبري، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، العدد (٥١٨)-شوال ١٤٢٩ هـ-أكتوبر ٢٠٠٨م.
- تحديد جهة العاقلة وأحكامها من منظور فقهي معاصر (دراسة مقارنة)، للدكتور افتكار مهيوب المخلافي، بحث بمجلة الدراسات الاجتماعية باليمن، العدد (٤٥) يوليو-سبتمبر ٢٠١٥م.
- العاقلة حقيقتها وتطبيقاتها المعاصرة، لعلي محمود الزقيلي وخالد علي بني أحمد، بحث بمجلة

علوم الشريعة والقانون-الجامعة الأردنية، المجلد (٣٦) العدد (١)، ٢٠٠٩م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بعنوان «القتل الخطأ في الحوادث المرورية وتعويض المتلفات».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بعنوان «قدر الدية الشرعية».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بعنوان: دية القتل الخطأ في حادث سير.
- قرار بشأن العاقلة وتطبيقاتها المعاصرة للعاقلة في تحمل الدية، قرار رقم ١٤٥ (١٦/٣)،
- الدورة السادسة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد بدولة الإمارات العربية المتحدة ٣٠ صفر– ٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ / الموافق ٩–١٤ نيسان (إبريل) ٢٠٠٥م.

الفرع الثالث: ضمان متلفات السيارات ذاتية القيادة.



قد لا تقتل السيارة ذاتية القيادة شخصًا وإنما قد تُتلف شيئًا من الممتلكات العامة أو الخاصة، فعلى ذلك: ما أفسدته هذه السيارات أو أتلفته من ممتلكات عامة أو خاصة هل يندرج في ضمان المتلفات؟

ببليوجرافيا:

على من يتصدر للإفتاء الرجوع إلى المظان التي تناولت معنى الضمان وشروطه وضوابطه.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

باب الضمان في كتب المذاهب الفقهية.

ثانيًا: أهم الدراسات المعاصرة:

- الضمان في الفقه الإسلامي، للشيخ علي الخفيف.
- نظرية الضمان أو أحكام المسئولية المدنية والجنائية في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، للدكتور وهبة الزحيلي.

- التعويض عن الضرر في الفقه الإسلامي، للدكتور محمد بن المدني بوساق.
- الضوابط الفقهية لضمان المتلفات، إعداد: كداش بن نايف الشمري، رسالة ماجستير، منشورة على شبكة الإنترنت، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٤-٢-٢٠١٠م، بعنوان: صَدَمَ سيارةَ شخصٍ ولم يَدفع له تعويضًا.
- فتوى مكتب الإفتاء بسلطنة عمان بعنوان: حكم التسبب في القتل بحادث سيارة.

الفرع الرابع: الكفارة عن المقتول خطأ في حوادث السيارات ذاتية القيادة.



بما أن السيارة التي لها قائد قد تتسبب في قتل شخص خطأً فكذلك من غير المستبعد أن تتسبب السيارة ذاتية القيادة في قتل شخص، ويحدث ذلك نتيجة خطأ ما، فهل تجب الكفارة إذا نتج عن هذه السيارات قتل خطأ؟ وعلى مَن تجب؟

ببليوجرافيا:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى الأبواب والكتب التي تناولت الجنايات والكفارات.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

كتاب الديات وباب كفارة القتل في الكتب الفقهية.

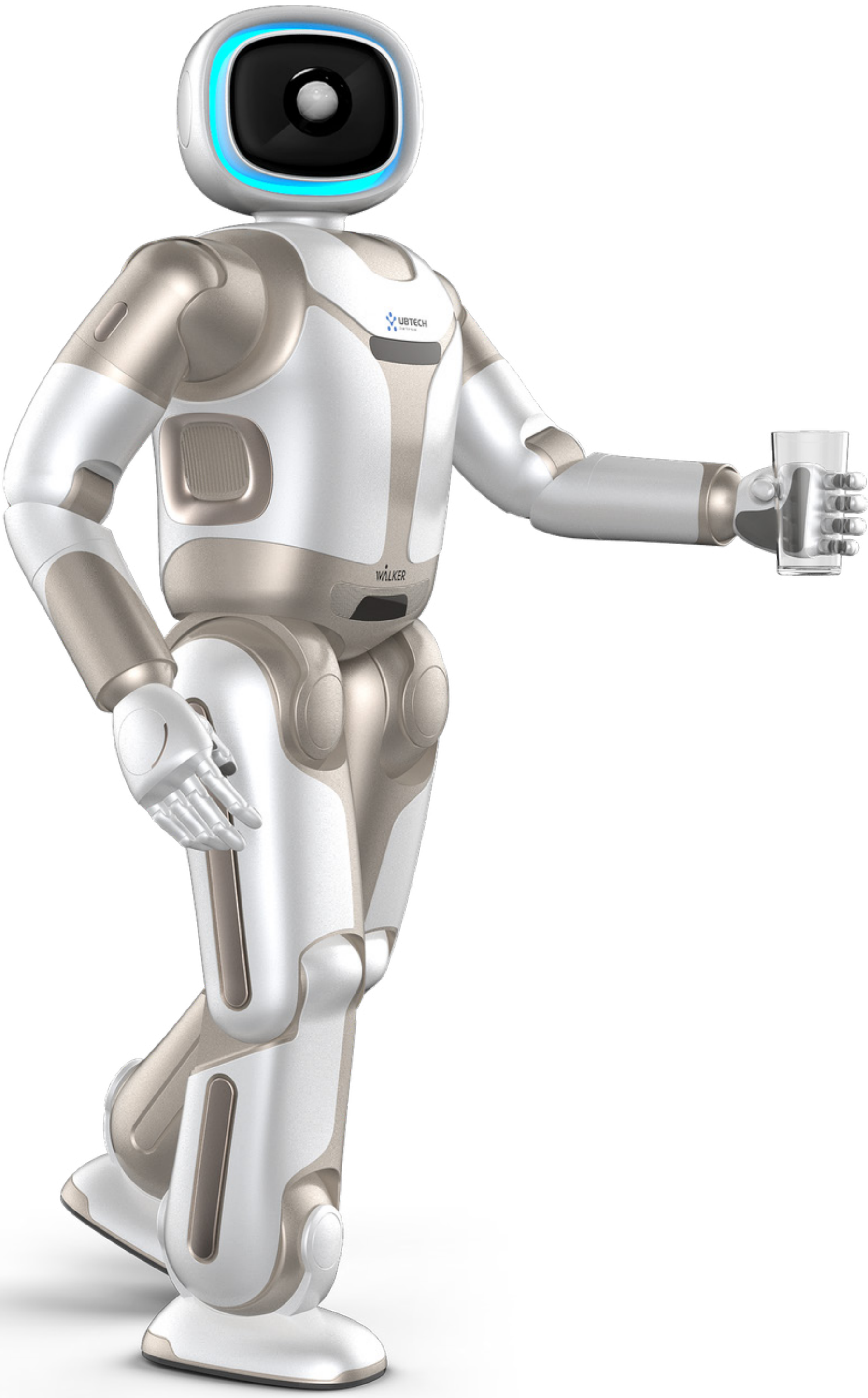
ثانيًا: أهم الدراسات المعاصرة:

- أحكام القتل الخطأ بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي (دراسة حالة حوادث المرور)، إعداد: نوبلي ياسين، رسالة ماجستير، منشورة على شبكة الإنترنت، جامعة الوادي بالجزائر، ٢٠١٥م.
- الآثار الشرعية المترتبة على حوادث السير (دراسة فقهية مقارنة بنظام الحوادث بالمملكة العربية السعودية)، إعداد: نايف بن ناشي الظفيري، رسالة ماجستير، منشورة على شبكة الإنترنت-الجامعة الأردنية ٢٠٠٥م.
- أحكام حوادث المرور في الشريعة الإسلامية، إعداد: محمد علي القحطاني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، رسالة ماجستير، منشورة على شبكة الإنترنت ١٤٠٨هـ.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى مكتب الإفتاء بسلطنة عمان بعنوان: حكم كفارة الاشتراك في القتل.

٢ الروبوت (الإنسان الآلي)



تصور القضية[1]:

لم تعد الروبوتات تدخل ضمن الخيال العلمي، بل أصبحت حقيقة واقعة تحظى باهتمام كبير في العديد من الدول المتقدمة، وقد حققت تكنولوجيا الروبوت تقدمًا سريعًا على مدى السنوات القليلة الماضية، وبدأت تدخل تقريبًا في شتى مجالات الحياة اليومية، ويتوقع كثير من الخبراء أنه في خلال السنوات المقبلة سوف تصبح الروبوتات إحدى اللوازم اليومية للمجتمع البشري، وقد أصبحت تكنولوجيا الروبوت الآن صناعة عالمية واعدة، كما أصبح مستوى تطويرها معيارًا لقياس قوة الدولة الصناعية.

وتسعى الدول المتقدمة إلى تطوير الروبوتات، ويخصص عدد من المؤسسات الصناعية العملاقة في الدول المتقدمة مبالغ طائلة للإنفاق على أبحاث تطوير الروبوت، ويرى خبراء تلك المؤسسات أن المستقبل سوف يشهد نمو الاستخدام التجاري لنتائج تلك الأبحاث، والدخول إلى ما يسمى بعصر الروبوت.

وقد تحقق هذا التقدم السريع في تكنولوجيا الروبوت بفضل تطور قدرات أجهزة الكمبيوتر والاكتشافات المهمة في تكنولوجيا التخاطب الصوتي الآلي التي تتيح لأجهزة الكمبيوتر تعرف معاني الكلام الموجه إليها، بالإضافة إلى نجاح العلماء في إنتاج مكونات إلكترونية غاية في الدقة.

ويمكن تعريف الروبوت بأنه آلة كهروميكانيكية ذكية يمكن برمجتها أو توصيلها بالحاسب لتؤدي بعض المهام التي يقوم بها الإنسان يدويًّا.

وليس بالضرورة أن يتخذ الروبوت شكل الإنسان في الذراع والأرجل والرأس، بل إنه اسم يطلق على أي ماكينة ذات نظام ذكي يتحكم بها، كالأنظمة التي تعمل من تلقاء نفسها عن طريق برمجتها (أوتوماتيك) أو الأنظمة التي نتحكم بها بشكل يدوي (مانيوال) عن طريق متحكم سلكي أو لاسلكي أو حتى من خلال الهواتف الذكية أو من الأقمار الصناعية.

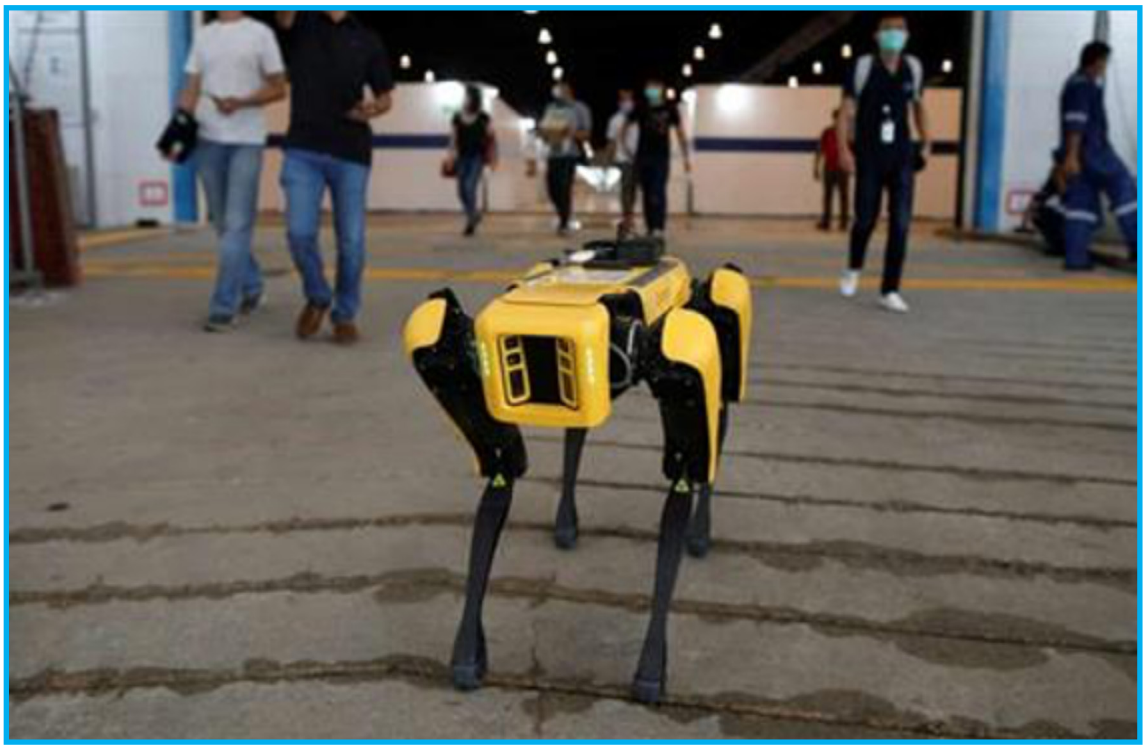
---

١ مصادر هذه القضية:

-موقع sky news عربية (الإماراتي) https://www.skynewsarabia.com/technology

-موقع bbc عربي: https://www.bbc.com/arabic

-موقع صحيفة البيان الإماراتي: https://www.albayan.ae/five-senses



ومن أهم مميزات الروبوتات: رفع الكفاءة الإنتاجية إذا ما أُحسن استخدامها، وتخفيض تكاليف العمل، كما أنها يمكن برمجتها لمواصلة العمل ٢٤ ساعة يوميًّا في المصانع بدون راحة.

ومن مميزاتها أيضًا: استخدامها في الأعمال التي يمثل القيام بها خطورة كبيرة على حياة البشر كالوقاية من خطر اليورانيوم المشع، وتجنيب الإنسان الإصابة بالملل من الأعمال التكرارية.

ويمكن القول بأن الروبوت ليس مجرد آلة تحل محل الإنسان، بل هو آلة يمكنها أن تؤدي ما لا طاقة للإنسان به.

ويستخدم الروبوت في التطبيقات الصناعية كمجال اللحام والتجميع والطلاء، كما يستخدم في المجال الصحي في إجراء العمليات الجراحية وتوصيل الأدوية والوجبات إلى المرضى ونقل العينات للتحليل.

وفي المجال الأمني يستخدم الروبوت في مكافحة الحرائق وفي اكتشاف وإبطال مفعول القنابل والمتفجرات، وفي نقل المواد السامة والمشعة، كما تستخدمه العديد من شركات الطيران الأوروبية في تنظيف وغسل الطائرات وإجراء بعض أعمال الصيانة الدورية لها.

ومن أشهر استخدامات الروبوت استخدامه في الفضاء كالروبوت روفر الذي أطلقته وكالة ناسا لاستكشاف كوكب المريخ.

وتوصف ثورة الروبوتات في المجال العسكري بأنها الثورة الأكبر والأخطر، وأن خطرها يضاهي استخدام القنابل النووية.

ومن أبرز صور الروبوتات العسكرية والتي تستخدم في الحروب: الطائرات بدون طيار.



الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية المستقبلية بعض الفروع الفقهية التي تتطلب مزيد بحث ودراسة للوقوف على الفتوى الصحيحة فيما يعرض من نوازل، ويمكن إجمال هذه الفروع فيما يأتي:

الفرع الأول: هل يجوز للإنسان الاستعانة بالروبوت برغم أضراره ومخاطره وسلبياته ؟

برغم أهمية الروبوت وكثرة مميزاته يتوقع كثير من الخبراء أنه سيترتب على انتشار الذكاء الاصطناعي العديد من السلبيات والمشكلات التي تؤثر على المجتمع ككل؛ فبالنسبة لحلوله محل الأيدي العاملة في العديد من الوظائف سوف يستغني الكثير من أصحاب الأعمال عن هؤلاء فينتج عن ذلك البطالة، وظهور العديد من الجرائم المرتبطة بها كالسرقة والمخدرات والجرائم الجنسية

والانتحار.

كما أنه قد حدثت بالفعل العديد من عمليات القتل كان المتسبب بها «روبوت»، فالجسد الرقيق للبشر لا يتطابق بشكل واضح مع رطل من الفولاذ للروبوتات خصوصًا عندما تعمل الروبوتات بالقرب من البشر.



كما حذر البعض من أن جيلًا جديدًا من الأسلحة المستقلة (ذاتية التحكم ولا تدار بواسطة الإنسان مباشرة) أو ما يُطلق عليه «الروبوتات القاتلة» قد يصيبها عطب بطريقة غير متوقعة، فتقتل أبرياء.

وقال بعضهم: إن «الروبوتات القاتلة» التي لا يتحكم فيها البشر مباشرة يجب حظرها من خلال معاهدة دولية كتلك التي تحظر الأسلحة الكيميائية.

كما حذر متخصصون في مجال الذكاء الصناعي وأجهزة الروبوت من أنه يُخشى من امتلاك جماعات إرهابية مجموعة من النسخ السيئة للغاية لهذه الأسلحة بدون تجهيزها بوسائل الحماية

لمنع القتل العشوائي.



ببليوجرافيا الفتوى:

يجب على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الموازنة بين المصالح والمفاسد، فينبغي عليه الرجوع إلى الكتب والمظان التي تناولت مزايا الروبوت وسلبياته، وعرض ذلك على قواعد الشرع وأصوله التي ترمي إلى درء المفاسد وجلب المصالح.

أولًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الإنسان الآلي: رفاهية علمية أم ضرورة حياتية؟ للدكتور وجدي عبد الفتاح سواحل، مقال بالمجلة العربية العلمية للفتيان، المجلد (٦)، العدد (١٢)، ديسمبر ٢٠٠٢م.
- تكنولوجيا الروبوت: الإمكانات والإشكاليات، للدكتور ضياء الدين زاهر، مقال بمجلة مستقبل التربية العربية، المجلد (٩)، العدد (٢٨)، يناير ٢٠٠٣م.
- أخلاقيات الذكاء الاصطناعي والروبوت: دراسة تحليلية، لخديجة محمد درار، مقال بالمجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، المجلد (٦)، العدد (٣)، سبتمبر ٢٠١٩م.

- قواعد الموازنة بين المصالح والمفاسد وتطبيقاتها المعاصرة، بحث للدكتور علي بن صالح الحمادي، بمجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية-صنعاء، المجلد (٤)، العدد (٧)، يوليو ٢٠١١م.
- قاعدة «درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة دراسة أصولية فقهية»، للدكتور حسن بن إبراهيم الهنداوي، بحث بمجلة الشريعة والقانون-السنة (٩)، العدد (١٧)، فبراير ٢٠١١م.
- الترجيح بين المقاصد وأثره في الفقه الإسلامي دراسة تأصيلية تطبيقية، لفراس عبد الحميد الشايب، بحث بمجلة دراسات علوم الشريعة والقانون-الجامعة الأردنية، المجلد (٤٢)، العدد (٣)، ٢٠١٥م.
- قواعد تعارض المصالح والمفاسد، للدكتور سليمان الرحيلي، بحث بمجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١٤٣)-المدينة المنورة.

ثانيًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠١٥/٠٩/٢٠م، بعنوان «استخدام تقنية الخلايا الجذعية في العلاج الطبي».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢١م، بعنوان «إجراء الأبحاث الطبية على البييضات والأجنة والحيوانات المنوية بغرض تحسين العلاج».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠١٧/٠٢/١٢م، بعنوان «الاستنساخ والهندسة الوراثية».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠٠٤/٠٣/١٢م، بعنوان «التجارة في أجهزة التلفاز».
- فتوى لدار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠١٣/٠١/١٤م، بعنوان «الترجيح بين الأقوال بالمصلحة».

الفرع الثاني: هل رسم الروبوت على صورة الإنسان أو غيره من ذوات الأرواح يعد من التصوير المحرم؟



فقد صنعت بعض الشركات روبوتات على شكل إنسان وعلى هيئة الحيوانات والزواحف والطيور.

وكذلك صنعت بعض الشركات في الصين واليابان وغيرهما الروبوتات الجنسية التي تبدو كالبشر العاديين، فهناك روبوت جنسي كامل على شكل امرأة مثيرة كاملة الأعضاء الجنسية، كما أن هناك روبوتًا جنسيًّا كاملًا للرجل كامل الأعضاء الجنسية.

ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت الضوابط الشرعية في رسم وتصوير الإنسان وذوات الأرواح.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- شرح كتاب اللباس والزينة في كتب شروح السنة النبوية.
- النجم الوهاج في شرح المنهاج، لكمال الدين الدمِيري الشافعي (٧/ ٣٨٠-٣٨٤)، دار المنهاج-جدة.
- الذخيرة، لشهاب الدين القرافي (١٣/ ٢٨٥، ٢٨٦)، دار الغرب الإسلامي-بيروت.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي، للشيخ محمد بخيت المطيعي، المطبعة الخيرية- مصر.
- التصوير بين حاجة العصر وضوابط الشريعة (ماجستير)، للدكتور محمد توفيق رمضان البوطي، دار الفارابي للمعارف-دمشق.
- إشكالية تحريم التصوير في الفن الإسلامي، لإياد عبد الكاظم طارش، بحث بمجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، العدد (٣٠)، أكتوبر ٢٠١٨م.
- حكم تصوير واتخاذ ما لا ظل له من ذوات الأرواح، لحلمي عبد الهادي، بحث بمجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) بنابلس، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ١٩٩٩م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٦٣م، بعنوان «حكم التصوير».
- فتوى مرئية لدار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٣ مارس ٢٠١٦م، بعنوان «حكم الرسم وعمل مجسمات ورقية».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٣٠-٠٧-٢٠١٢م، بعنوان «حكم التصوير».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٧-١٢-٢٠١٢م، بعنوان «ضوابط الرسوم الكاريكاتيرية».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٨-٠٣-٢٠١٣م، بعنوان «حكم اللعب بألعاب الكمبيوتر المحتوية على ذوات الأرواح».

الفرع الثالث: هل معاشرة الروبوتات الجنسية تعد من الزنا؟ أم أن معاشرتها تعد من قبيل الاستمناء شرعًا؟

الروبوتات الجنسية هي عبارة عن دمية لها خصائص البشر في أداء الأصوات والحركات، وتعمل المصانع على تطوير روبوتات جنسية تشابه شكل النساء على نحو هائل، وزودت هذه الروبوتات بعقول تجعلها أكثر من مجرد دمى جنسية؛ فهي قادرة على التأوه والتفاعل مع الرجل، وتحمل وجوهًا جذابة، وشعرًا يبدو حقيقيًّا وأجسادًا أنثوية.

ويستخدم عدد من الشباب هذه الروبوتات الجنسية في قضاء شهوته واستغنى بذلك عن الزواج. ويتوقع الخبراء أن ينتشر استعمال هذه الدمى على نطاق واسع في المستقبل حتى للمتزوجين. بل يرى خبراء الذكاء الاصطناعي أنه سيكون بوسع الإنسان في المستقبل أن يتزوج من الروبوت، فيختار الزوج زوجة آلية، أو تختار الزوجة زوجًا آليًّا.



ببليوجرافيا الفتوى:

ينبغي على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر التي تناولت جريمة الزنا والتي تناولت أيضًا قضية العادة السرية.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب الزنا من كتاب الحدود في كتب المذاهب الفقهية المختلفة.
- فرع: الاستمناء، بكتاب رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين الحنفي.
- فرع: افتدى المحرم من شيء قبل فعله، بكتاب مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب الرعيني المالكي.
- تحفة الحبيب على شرح الخطيب، للشيخ سليمان البجيرمي المصري الشافعي (١/ ٣٦٣)، دار الفكر.
- المبدع في شرح المقنع لبرهان الدين بن مفلح الحنبلي، (٧/ ٤٢٧) دار الكتب العلمية-بيروت.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٣٤/ ٢٢٩-٢٣١)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة.
- بلوغ المُنَى في حكم الاستمنا، للإمام محمد بن علي الشوكاني، علق عليه: مشهور بن حسن آل سلمان، دار الصميعي-الرياض.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الأحكام الفقهية المتعلقة بالشهوة، إعداد: عادل بن عبد الله المطرودي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض.
- الزنا بين الشريعة والقانون، رسالة ماجستير، من إعداد: بوشكوط أسماء، جامعة بجاية، الجزائر.
- جرائم الزنا، لأحمد خليل، دار المطبوعات الجامعية-الإسكندرية.
- جريمة الزنا بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية (دراسة مقارنة)، إعداد: إيناس محمد وهبي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٤م.
- التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي، للدكتور فضل إلهي، مكتبة المعارف-الرياض.
- العوامل الواقية للشباب من الانحرافات الجنسية من قصة يوسف عليه السلام، للدكتور السر أحمد محمد سليمان، بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالكويت، المجلد (٢٢)، العدد (٦٨)، مارس ٢٠٠٧م.
- الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء، لعبد الله بن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٣٠م، بعنوان «العادة السرية وكيفية التخلص منها».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠٠٥/٠٢/٠٨م، بعنوان «الاستمناء باليد وكيفية التغلب عليه».
- فتوى دار الإفتاء المصرية الخاصة بالطلب المقيد برقم ١٥٦٣ لسنة ٢٠٠٣م، بعنوان «حكم العادة السرية».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية، بتاريخ ٠٩-٠٤-٢٠٠٩م، بعنوان «حكم العادة السرية».

الفرع الرابع: هل يجوز لولي الأمر فرض ضرائب على تقنية الروبوت لتسببه في نقص العمالة والوظائف؟



يتوقع كثير من الخبراء أن الدول النامية التي تتميز بوفرة اليد العاملة الرخيصة وتعاني أصلًا من مشكلة البطالة ستكون بين خيارين أحلاهما مر؛ فهي إن قررت استيراد الذكاء الاصطناعي وإدخاله في التصنيع ومختلف أوجه الحياة فستتفاقم مشكلة البطالة لديها، الأمر الذي قد ينذر بحراك اجتماعي يصعب التنبؤ بمآلاته. أما إن قررت هذه الدول عدم استيراد تطبيقات الذكاء الاصطناعي والروبوتات فستكون الشركات والمصانع فيها أمام تحدٍّ كبير يتمثل في منافسة غير متكافئة أو مستحيلة مع شركات عالمية تستخدم آخر تقنيات الذكاء الاصطناعي، وتستغني تدريجيا عن اليد العاملة البشرية التي كانت تكلفها مبالغ مالية باهظة.



فهل يجوز لولي الأمر أن يفرض ضريبة على تقنية الروبوت بهدف تعويض العمال الذين يفقدون عملهم بشكل تدريجي مع استمرار عملية استبدال الروبوتات بالعمال؟

ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى كتب السياسة الشرعية وصلاحيات ولي الأمر، وكذا المظان التي تناولت موضوع الضرائب.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار الكتب العلمية-بيروت.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي-جدة.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، للإمام ابن قيم الجوزية، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي-جدة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- سلطة ولي الأمر في فرض وظائف مالية (الضرائب)، لصلاح الدين عبد الحليم سلطان، تقديم محمد بلتاجي، هجر للطباعة والنشر-القاهرة، ١٤٠٩هـ.
- سلطة الحاكم في فرض الضرائب، من إعداد: نداء فهمي المصري، رسالة ماجستير، الجامعة

الإسلامية بغزة، ٢٠١٢م.

- فرض الضرائب على الأغنياء لسد الأعباء المالية للدولة، لوائل محمد عربيات، بحث بمجلة دراسات علوم الشريعة والقانون بالجامعة الأردنية، المجلد (٤٦)، العدد (٢)، ٢٠١٩م.
- مدى تدخل الدولة في فرض الضرائب وتوظيف الأموال، لعثمان جمعة ضميرية، بحث بمجلة البيان الكويتية، العدد (١٣)، أغسطس ١٩٨٨م.
- قواعد فرض الضريبة: دراسة مقارنة بنظام الزكاة في الإسلام، بحث بمجلة العلوم القانونية بعجمان بدولة الإمارات، السنة الأولى، العدد الأول، يناير ٢٠١٣م.
- النظام الضريبي بين الفكر المالي المعاصر والفكر المالي الإسلامي (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، من إعداد: رحمة نابتي، جامعة قسنطينة-الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤م.
- التعويض عن الضرر في الفقه الإسلامي، للدكتور محمد بن المدني بوساق، دار إشبيليا، الرياض.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٩/٠٤/٢٠١٥م، بعنوان «الضرائب التي تفرضها الدولة».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٣/١١/٢٠١٤م، بعنوان «التهرب من دفع الضرائب».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٧/١٠/٢٠١٤م، بعنوان «حكم الشرع في الضرائب والجمارك».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٠٧-١٠-٢٠١٨م، بعنوان «حكم مطالبة الموظف بتعويض جراء تعرضه لحادث أثناء العمل».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٧-٠٩-٢٠١٨م، بعنوان «حكم التعويضات الناتجة عن ترسيم واستملاك شارع».

الفرع الخامس: ضرورة إصدار الدولة لقانون ينظم أوضاع جرائم الروبوتات وتقنياته.



يرى كثير من الباحثين ضرورة تقنين أوضاع جرائم الذكاء الاصطناعي حتى ينشأ لدينا نص قانوني نستطيع من خلاله معاقبة مرتكبي تلك الجرائم؛ لأنه لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص قانوني، كما أنه يجب التشجيع على تطوير واستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في جميع المجالات لأنه المستقبل ومقياس تقدم الدول، ولذلك تجب الموازنة بين التشجيع على تطويره من جانب ووضع القواعد القانونية التي تحمي المجتمع ممن يستغلونه استغلالًا سيئًا من جانب آخر، كما أنه من الضروري تحديد قواعد قانونية تجبر المصنع على وضع حد للصلاحيات الممنوحة للذكاء الاصطناعي حتى يظل تحت السيطرة.

ويجب أن تراعي الدولة في سن هذه التشريعات أن تتوافق مع ضوابط وقيم وعادات وتقاليد ومصالح المجتمع، فالدمية الجنسية مثلًا والتي تعمل بتقنيات الذكاء الاصطناعي لا يجوز إنتاجها في العالم العربي لأنها تتنافى مع قيم وتقاليد وعادات مجتمعنا؛ ولذلك يجب تجريم ذلك في التشريعات التي ستصدر، وقياسًا على ذلك كل ما يضر المجتمع.

ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت أهمية التشريعات في ضبط المجتمع، وحق الحاكم في إصدار التشريعات والقوانين التي تكفل حقوق الناس وتراعي مقاصد الشرع.

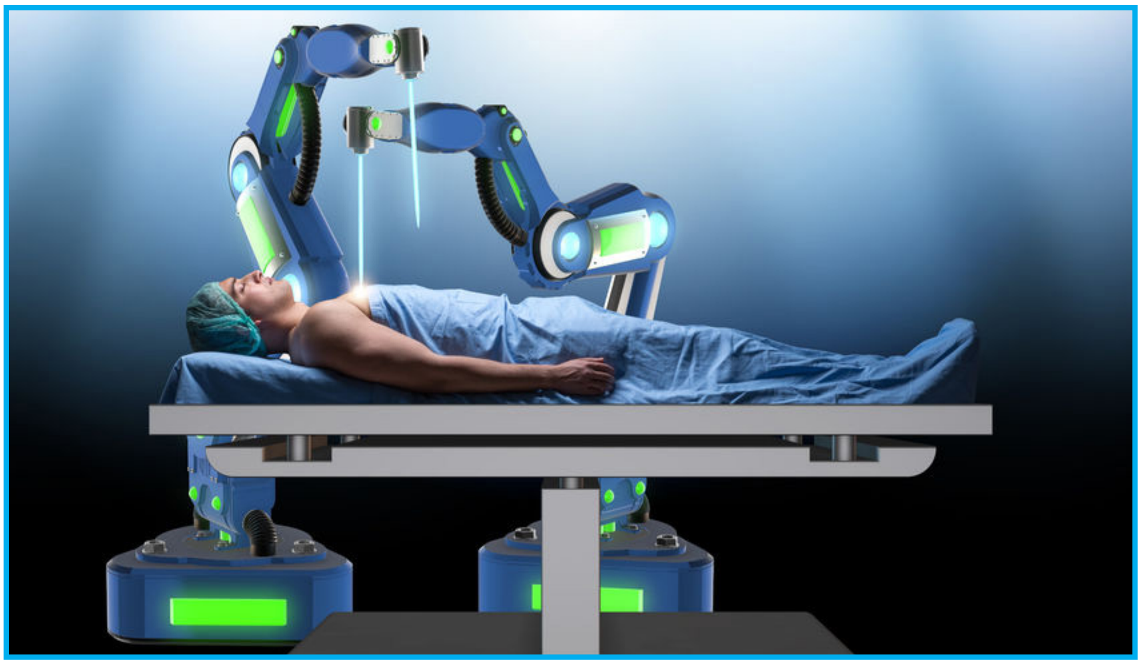
أهم الدراسات المعاصرة:

- قاعدة «التصرف على الرعية منوط بالمصلحة» (دراسة تأصيلية تطبيقية فقهية)، للدكتور ناصر بن محمد الغامدي، بحث بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤٦)، المحرم ١٤٣٠هـ.
- الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، للدكتور فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة-بيروت.
- سياسة عمر بن عبد العزيز في سن الأنظمة بناء على قوله «تُحْدَث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور»، للدكتور عبد العزيز بن سطام آل سعود، بحث بمجلة الجمعية الفقهية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد الثاني عشر، صفر/جمادى الأولى، ١٤٣٣هـ.
- النظرية العامة للتجريم الوقائي، للدكتور خالد مجيد الجبوري، المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية، القاهرة.

الفرع السادس: إذا ارتكب الروبوت جريمة جنائية من سيكون المسئول جنائيًّا عن تلك الجريمة؟

برغم التقدم التكنولوجي المذهل وظهور الروبوتات الذكية المتطورة، والتي تتمتع بمحاكاة السلوك البشري والتفاعل معه واتخاذ قراراتها وتنفيذها بشكل مستقل - تزداد مخاوف الإنسان من الأضرار التي قد تلحقها هذه الآلات به أو بممتلكاته في حالة ما إذا خرجت عن نظام برمجتها أو تشغيلها الإلكتروني الآلي، الأمر الذي يثير تساؤلات، أهمها: من يتحمل المسئولية المدنية عن الضرر الذي تسببه هذه الروبوتات للإنسان أو لممتلكاته؟ وما أساس هذه المسئولية؟ هل يتحملها المشغل أو المالك؟ أم يتحملها صانع الروبوت؟

ويبدو الأمر أكثر تعقيدًا في إدخال الروبوت مثلًا في مجال التشخيص الطبي وإجراء التحاليل الطبية وفي إجراء العمليات الجراحية، فعند حدوث خطأ وضرر يستوجب المسئولية القانونية فهنا تتنازع المسئولية مجموعة من الأطراف أو الأشخاص من الطبيب إلى فني المختبر إلى المشرف التقني على الروبوت.



ببليوجرافيا الفتوى:

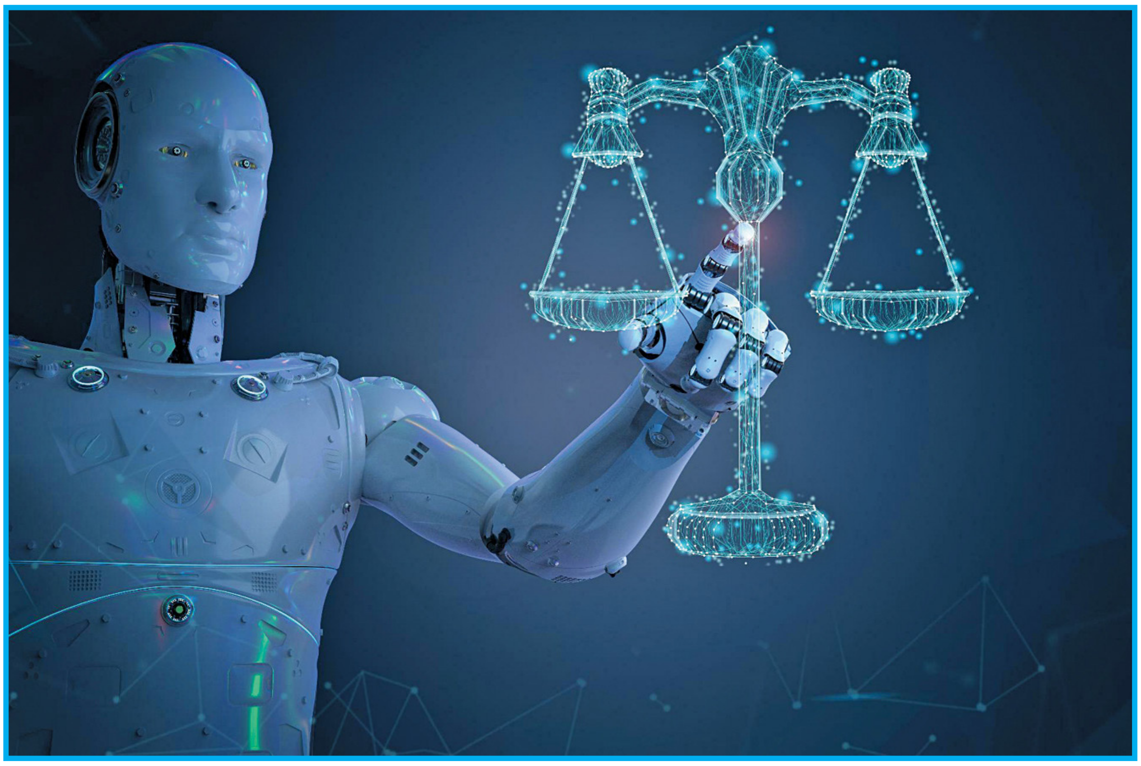
على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المظان والمصادر التي تناولت قضية المسئولية الجنائية والتعويض عن الضرر.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- كتاب الجنايات في كتب فقه المذاهب المختلفة.
- مبحث جناية البهائم في كتاب الجنايات في كتب الفقه المختلفة.
- كتاب الديات في كتب الفقه المختلفة.
- باب الضمان في كتب الفقه المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- المسئولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، للدكتور يحي إبراهيم دهشان، بحث بمجلة الشريعة والقانون بالإمارات، ٢٠١٩م.
- إشكالية الشخص المسئول عن تشغيل الروبوت «تأثير نظرية النائب الإنساني على جدوى القانون في المستقبل» دراسة تحليلية استشرافية في قواعد القانون المدني الأوروبي الخاص



بالروبوتات، للدكتور همام القوصي، بحث بمجلة جيل الأبحاث القانونية المعمقة، العدد (٢٥)، مايو ٢٠١٨م.

- الجناية بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، لمسفر غرم الله الدميني، دار طيبة الرياض.
- نظرية الضمان وأحكام المسئولية المدنية والجنائية في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة)، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق.
- عوارض الأهلية المؤثرة في المسئولية الجنائية، للدكتور صالح بن سعود آل علي، مكتبة العبيكان الرياض.
- التعويض عن الضرر ومدى انتقاله للورثة (دراسة مقارنة)، للدكتور صدقي محمد أمين عيسى، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة.
- جرائم الأطباء والمسئولية الجنائية والمدنية عن الأخطاء الطبية بين الشريعة والقانون، لعبد الصبور عبد القوي علي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠٠٧/٠٧/٠١م، بعنوان «القتل الخطأ في الحوادث المرورية وتعويض المتلفات».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٠-٠٩-٢٠١٨م، بعنوان «الدية والكفارة على القاتل مباشرة أو بالتسبب».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٩-١١-٢٠١٥م، بعنوان «يجوز أخذ التعويض عن الضرر الناتج عن التقصير والإهمال».

الفرع السابع: هل يمكن اعتبار الروبوت شخصية ذات ذمة مالية مستقلة أو أهلية إذا وصل إلى مرحلة الاستقلال الذاتي في التفكير واتخاذ القرار؟

يعتقد الدكتور ديفيد هانسون، مصمم الروبوت الشهير «صوفيا» بأن الروبوتات ذات الذكاء الاصطناعي العالي ستحصل على الحقوق المدنية ذاتها التي يتمتع بها البشر، بحلول عام ٢٠٤٥م، ويشمل ذلك الحق في الزواج، وامتلاك الأراضي والتصويت في الانتخابات العامة.

فهل يمكن أن يتمتع الروبوت بالذمة المالية المستقلة والأهلية في المستقبل عند ظهور الأجيال الجديدة منه ذات القدرة على التفكير والتعلم والتأقلم واتخاذ القرارات بشكل مستقل بدون أدنى تدخل من قِبَل الإنسان؟

ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت قضية الأهلية والذمة.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب بيان الأهلية من كتاب كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي.
- فصل الأهلية من كتاب شرح التلويح على التوضيح، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني.
- فصل بيان المحكوم عليه بالبحث عن الأهلية والأمور المعترضة عليها، لشمس الدين الفناري.
- فصل اختص الحنفية بعقده في الأهلية أهلية الإنسان من كتاب التقرير والتحبير، لابن أمير حاج.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الذمة المالية في الفقه الإسلامي، إعداد: محمد بن أحمد الفراج، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤١٠هـ.
- علاقة الذمة بالأهلية في الفقه الإسلامي، لمحمود العمري، بحث بمجلة دراسات علوم الشريعة والقانون بالجامعة الأردنية، المجلد (٤٥)، العدد (٤)، ٢٠١٨م.
- الذمة والأهلية في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، للدكتور عبد الرحيم بن سلامة، بحث

بمجلة الإحياء بالمغرب، يناير، ١٩٩٨م.

- مبحث الأهلية من كتاب أصول الفقه، للدكتور حسين حامد حسان، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- عوارض الأهلية في الشريعة الإسلامية مع المقارنة بالشرائع الوضعية، للدكتور حسين النوري، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٤م.
- نظرية الأهلية: دراسة تحليلية مقارنة بين الفقه وعلم النفس، لهدى محمد حسن هلال، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٠٣١١٢٠١٦م، بعنوان «لا يجوز التبرع من أموال فاقد الأهلية».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٤ يونية ١٩٨١م، بعنوان «زواج المعتوهة».

٣

الوسائل الحديثة في ذبح الحيوان الإغماء الحراري



تصور القضية[1]:

كثير من اللحوم في البلاد الإسلامية تُجلب من بلاد غير إسلامية، وهذه البلاد تعتمد على طرق ذبح حديثة: كالصعق الكهربائي والتخدير والذبح بالآلات السريعة، وطريقة مسدس التخدير والبلطة والمطرقة وغيرها من الطرق، وهي لا يعنيها تذكية شرعية ولا غيرها، فليس يعنيها إلا ذبح أعداد كبيرة في وقت محدود.

ومن هذه الطرق الحديثة تقنية الإغماء الحراري (diathermic syncope) وهي تقنية حديثة تعتمد على تعريض دماغ الحيوان أو الطائر لدرجة حرارة تصل إلى ٤٥ مئوية ليحصل على أثرها الإغماء الحراري.

وتعتمد آلية العمل في هذه التقنية على زيادة حرارة الدماغ بنسبة ٧ درجات مئوية فقط عن حرارته الطبيعية فيحصل حالة إجهاد للمخ مسببًا له فقدان الوعي المؤقت، ومن المعروف طبيا أن حرارة الجسم إذا وصلت ما بين ٤٠ إلى ٤٥ درجة مئوية فهذه هي النقطة الحرجة التي يفقد المخ فيها الوعي لعدة ثوانٍ بسبب الإجهاد الحراري.

والإغماء الحراري يتم من خلال جهاز لتحرير الطاقة الكهرومغناطيسية فيتم توجيه أشعتها إلى منطقة معينة من الرأس هي المخ لرفع درجة حرارته إلى درجة معينة ومحددة؛ فيحدث على أثرها إجهاد حراري يفقد الحيوان أو الطائر الوعي لمدة ثوانٍ تقدر من ١٥ إلى ٢٠ ثانية، وأن هذا تم تصميمه من قِبَل شركتين أجنبيتين، وتم تطبيقه على الأغنام والماعز والماشية والجاموس والجِمال تحت براءة اختراع.

وقد أثبتت التجارب أن هذه التقنية الحديثة فريدة من نوعها في إحداث حالة الإغماء دون آثار جانبية سلبية كالتي تحدث في الإغماء الكهربائي.

وقد اطلع بعض أهل الخبرة من المسلمين المقيمين بالخارج على هذه التجارب فقال: إن تقنية الإغماء الحراري تتلافى ما يحدث للحيوان جراء التدويخ بكل أساليبه؛ مما دفع بعض المستهلكين لا سيما المسلمين إلى الإحجام عن أكل اللحوم التي تذبح بعد التدويخ؛ لأسباب كثيرة منها احتمال موت الحيوان قبل ذبحه نتيجة لتعرضه لمعاملة الصعق المستخدمة سواء كانت كهربائية أو ميكانيكية أو باستخدام الغاز ويحرم تناوله، ومنها ما يعود إلى الأثر السلبي على تأثر اللحم نتيجة الكرب الذي يعانيه

١ مصدر هذه القضية: «الذبائح»، إعداد: الدكتور حسين بن عبد الله العبيدي، من أبحاث مؤتمر مجلس الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الحادية والعشرون بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٣م.

أثناء التدويخ؛ فيحدث صدمة عصبية تترك بقعًا دموية ناتجة عن تمزق بعض الشعيرات الدموية نتيجة لارتفاع ضغط دم الحيوان بعد تعرضه للصعق.

ومن ثَم فالإغماء الحراري لا يؤثر على قلب الحيوان وعليه لا يؤثر في تدفق الدم من العروق ومن جسد الذبيحة إذا تم الذبح عقب عملية الإغماء الحراري، ومن ثم فهو يسمح بانهمار الدم بصورة طبيعية كما لو تم الذبح منفردًا.

وقد أثبتت النتائج الموثقة من خلال التجارب التي أُجريت على الأغنام أن الأغنام كانت تتنفس بشكل طبيعي ومنتظم أثناء تطبيق هذه التقنية، وكانت بعد الإفاقة من الإغماء بحالة طبيعية من نغمة الصوت وحركات الفك والبلع، مما يشير إلى أن الحيوان قد تعافى منه، وقد أجريت التجربة تحت شروط وضعتها لجنة الرفق بالحيوان الأُسترالية.

وإذا طبقت تقنية الإغماء الحراري وتم قبولها في التطبيق التجاري، فقد يدرسها العلماء المسلمون ويقبلون باستخدامها قبل تذكية الحيوان بديلًا عن أساليب وطرق التدويخ، ومن المحتمل أن يكون لها دور في المستقبل لتحل محل طرق التدويخ المشكوك في صلاحية استخدامها قبل الذكاة.

الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية مسألة فقهية تتطلب بحثًا من أجل الوصول إلى الحكم الشرعي فيها، وهذه المسألة هي: ما مدى توافق هذه التقنية الحديثة مع ضوابط وشروط التذكية شرعية؟

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر التي تناولت شروط التذكية الشرعية والمراجع التي تناولت قضية الإغماء الحراري ومدى مطابقة شروط التذكية الشرعية لهذه التقنية الحديثة، من أجل الوصول إلى حكمها الشرعي.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- كتاب الصيد والذبائح في كتب شروح السنة.
- كتاب الأضاحي في كتب شروح السنة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- حكم اللحم المستورد من أوروبا النصرانية، للشيخ عبد الحي بن محمد بن الصديق الغماري، طبع في المطابع المغربية والدولية طنجة.
- الذكاة الشرعية وموقف الفقه الإسلامي من طرق الذبح الحديثة، بحث بمجلة جامعة المدينة العالمية (مجمع)، للدكتور نادي قبيصي البدوي والدكتور حسن عبد الغفار البشير، العدد (١٠)، أكتوبر ٢٠١٤م.
- أحكام الذبح بالطرق الحديثة واللحوم المستوردة: دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي، للدكتور عطا عبد العاطي السنباطي، من أبحاث مؤتمر الذبائح بين الشريعة الإسلامية والممارسة العملية، مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي ومؤسسة فريدريش إيبرت بالقاهرة، فبراير ٢٠٠٢م.
- اللحوم المستوردة في ضوء المستجدات الحديثة في وسائل الذبح: دراسة فقهية تطبيقية على لحم الدجاج المستورد من البرازيل، للدكتور فهد بن عبد العزيز الداود، بحث بمجلة الجمعية الفقهية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٣٣)، ٢٠١٦م.
- «الذبائح»، إعداد: الدكتور حسين بن عبد الله العبيدي، من أبحاث مؤتمر مجلس الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الحادية والعشرون بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٣م.
- الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، الجزء الثالث.

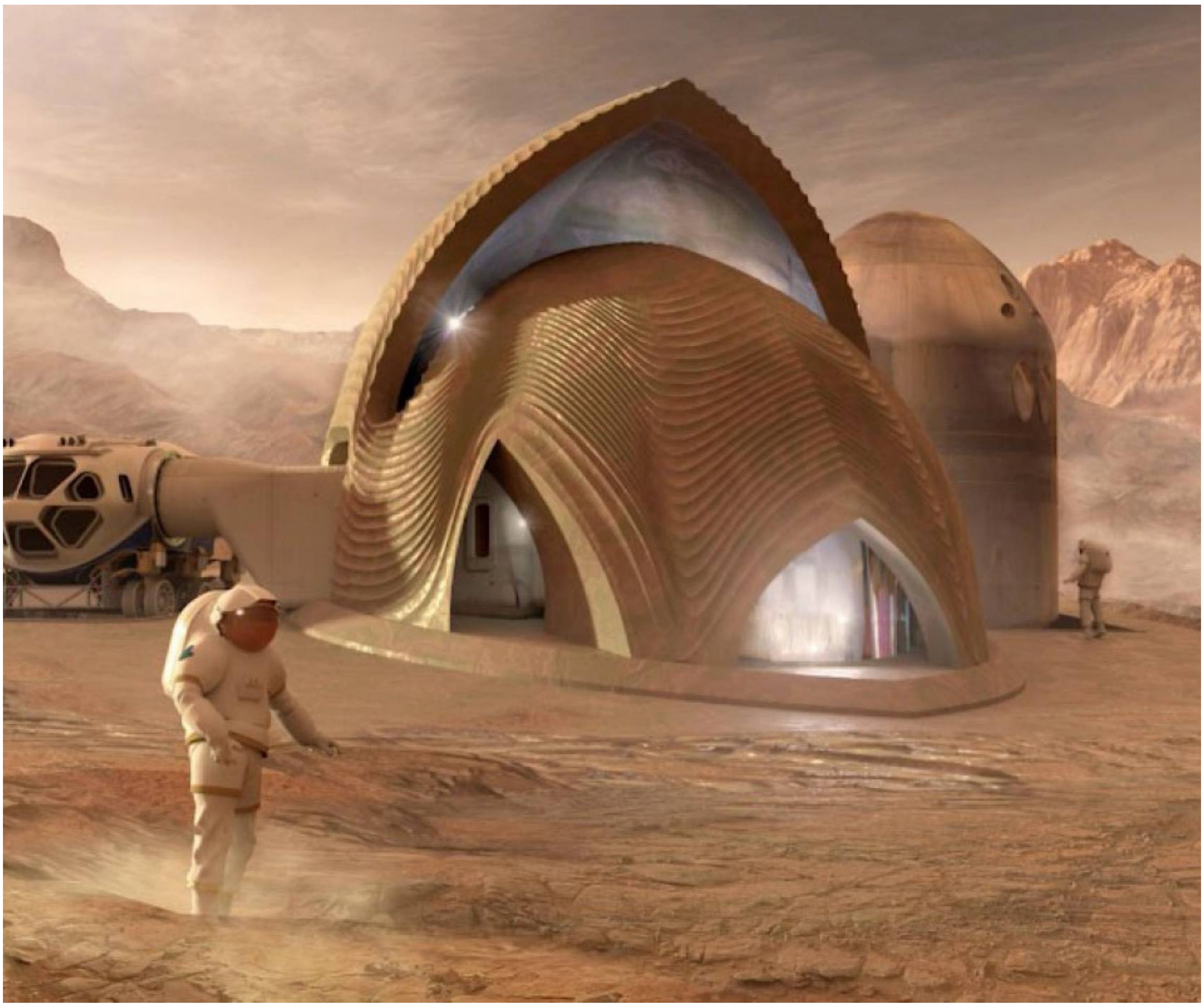
ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠١٦/١٠/٠٣م، بعنوان «تخدير الحيوان قبل ذبحه».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٨٠٤٢٠١٣م، بعنوان «التفصيل الشرعي في أثر صعق الحيوان قبل ذبحه».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠٠٥/٠٦/١٩م، بعنوان «استعمال الصاعق الكهربائي عند الذبح».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠٠٥/٠٥/٣٠م، بعنوان «حكم الذبح بطريقة آلية».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٤١١٢٠١٢م، بعنوان «شروط لا بد من مراعاتها لحل الذبيحة».
- قرار مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره العاشر بجدة في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٣٢٨ صفر ١٤١٨هـ، الموافق ٢٨ يونيو٣ يوليو ١٩٩٧م، بشأن الحيوانات التي تذكى بعد التدويخ ذكاة شرعية.

٤

استيطان الفضاء

الحياة على كوكب المريخ



تصور القضية[1]:

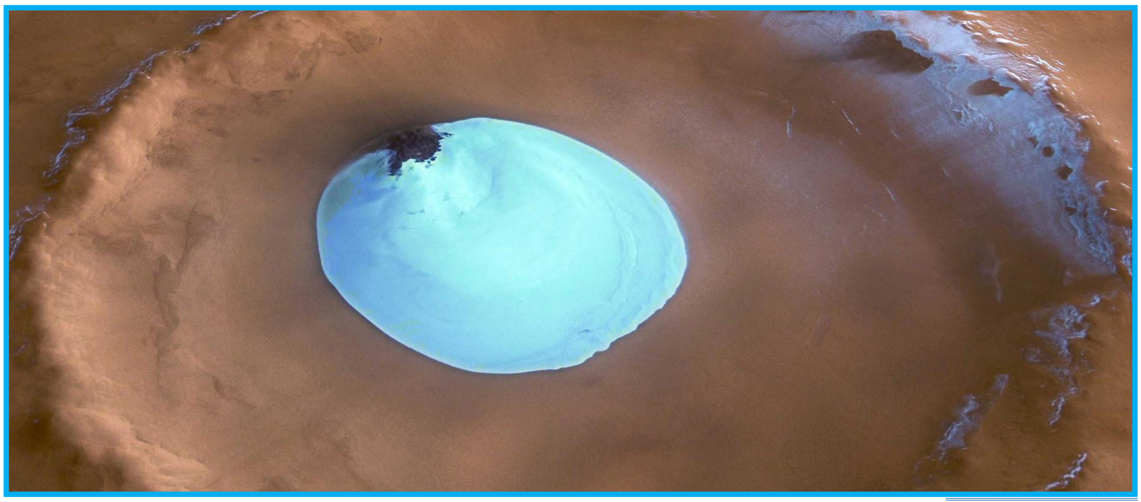
لقد كان استكشاف الفضاء حلمًا يراود الإنسان، حتى جاءت أواخر القرن العشرين بطفرة تكنولوجية هائلة، وتمكن الإنسان عن طريق المركبات الفضائية من استكشاف الفضاء بما فيه من المجرات والنجوم والكواكب.

ويعتقد عدد من كبار العقول البشرية بأهمية انتشار البشر على عدد من الكواكب لتجنب الانقراض؛ إذ تواجه الأرض بعض المشاكل الكبيرة، بما في ذلك التغير المناخي وذوبان الجبال الثلجية والتضخم السكاني ونقص الغذاء واحتمالية حدوث تصادم كوكبي كبير.

ومن بين هؤلاء الفيزيائي المرموق ستيفن هوكينج الذي حذر من أن البشرية بحاجة إلى أن تصبح كائنات متعددة الكواكب، وذلك في القرن القادم، في حال لم نرغب في أن نصبح كائنات منقرضة.

وقد أعلن فريق من العلماء الدوليين عن اكتشاف ٣ كواكب تشبه كوكب الأرض، وتعد الأكثر احتمالًا لوجود حياة عليها خارج المجموعة الشمسية.

إلا أن أنظار العلماء اتجهت إلى كوكب المريخ؛ لأنه أكثر كواكب المجموعة الشمسية شبهًا بالأرض، وأنسب الكواكب للسكنى عليه؛ فقد وُجِدت المياه السائلة على سطحه لفترات قصيرة من الزمن، حيث تشير تضاريس الكوكب إلى أن بحيرات كانت هنا لكنها جفت. لكن إذا استطاع العلماء حل مشكلة المياه فقد يجعل ذلك من المريخ مكانًا صالحًا للسكن، ويعتمد ذلك على التقنيات التي سنأتي بها من الأرض لإنشاء مناطق صالحة للحياة الاصطناعية على سطح المريخ.



١ مصادر هذه القضية:

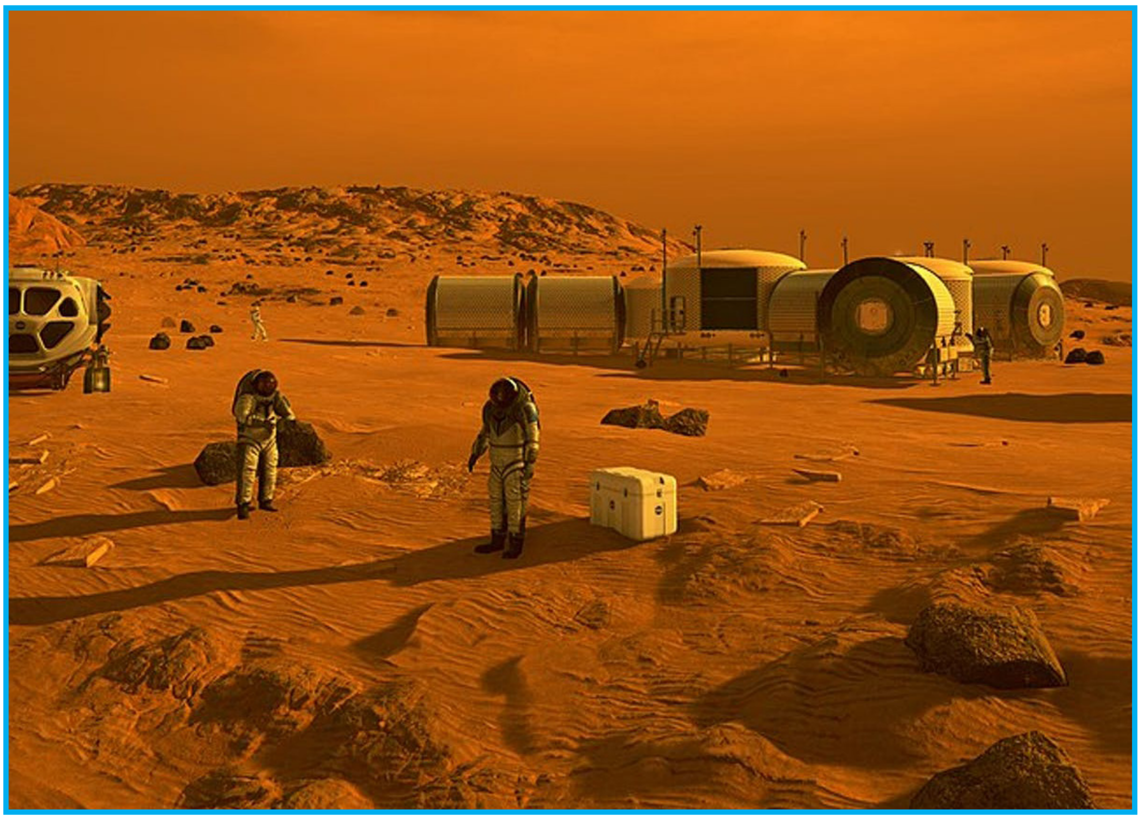
-مرصد المستقبل بدبي: https://mostaqbal.ae/uae-released-vr-tour-first-city-mars/

-موقع cnn بالعربية: https://arabic.cnn.com/style/article/

ويتطلب السكن طويل الأجل على كوكب المريخ منا أولًا تحويل المواد الخام على المريخ لموارد يمكننا استخدامها للبقاء على قيد الحياة، ولحسن الحظ فإن المريخ يمتلك ثروة هائلة من هذه المواد؛ مما يجعله المكان الأكثر قابلية للسكن في النظام الشمسي غير الأرض.

وتطمح الإمارات إلى إقامة مشروع «مدينة الحكمة»، وهي مدينة متكاملة تستوعب ٦٠٠ ألف فرد من المقيمين الدائمين على سطح كوكب المريخ، إضافة إلى المختبرات والجامعات، وقد أبان عن ذلك مدير برنامج المريخ في مركز محمد بن راشد للفضاء.

وقد تحول استعمار المريخ إلى هوس شائع في الآونة الأخيرة، مع إعلان المدير التنفيذي لشركة سبايس إيكس "إيلون ماسك" أنه يسعى إلى إرسال بعثة للمريخ في المستقبل القريب من أجل تحويل البشر إلى «جنس متعدد الكواكب»، بحسب تقرير CNBC حينها.



الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية المستقبلية عدد من الفروع الفقهية التي تتطلب مزيد بحث ودراسة للوقوف على الفتوى الصحيحة، فإذا أمكن البشر استيطان كوكب المريخ ترتب على ذلك فروع فقهية متعددة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

الفرع الأول: هل تجوز الحياة على كوكب المريخ؟

على من يتصدر للإفتاء أن يبحث عن مصالح ومفاسد الحياة على كوكب المريخ؛ فإن التكييف الفقهي للسفر إلى المريخ يدور حول سبب السفر وعلته والموانع الشرعية له إن وجدت، وما يترتب على ذلك من المصالح والمفاسد، والموازنة بينها في ضوء مقاصد الشرع.

ولو تم حل الإشكالات التي تمنع الحياة على المريخ من صعوبة المأكل والمشرب وإقامة العبادات، فهل تجوز الحياة عليه؟

ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى الكتب والأبحاث التي تناولت الحديث عن كوكب المريخ وطبيعته وإمكانية الحياة عليه، وكذلك الكتب التي تناولت المقاصد الشرعية.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- الموافقات في أصول الأحكام، لأبي إسحاق الشاطبي.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام؛ للعز بن عبد السلام.
- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، لأحمد بن إدريس القرافي.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الحياة على المريخ بين العلوم الفلكية والشريعة الإسلامية، للدكتور رضا عبد الحكيم إسماعيل، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، العدد (٣٨٦)، شوال ١٤١٨هـ.
- استيطان المريخ، للأستاذ إياد أبو عوض، مقال بالمجلة العربية العلمية للفتيان، المجلد (٣)، العدد (٦)، ديسمبر ١٩٩٩م.
- الحياة في غير الأرض، للدكتور محمد محمود غالي، مقال بمجلة المجلة، السنة (٩)، العدد (١٠٨)، ١٩٦٥م.
- مقاصد الشريعة للطاهر ابن عاشور، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية-قطر.

- الاجتهاد المقاصدي، حجيته وضوابطه ومجالاته، لنور الدين الخادمي، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية-قطر.
- ضوابط الفتوى في ضوء المقاصد الشرعية، للدكتور أسامة بن محمد الشيبان، دار كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- أصدرت إدارة الإفتاء والبحوث بدائرة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الإمارات في شهر فبراير عام ٢٠١٤ م فتوى تقضي بتحريم العيش على كوكب المريخ؛ بزعم أن العيش على ذلك الكوكب لا يعد إسلاميًّا.

الفرع الثاني: هل يصلح الماء على المريخ للوضوء؟



فقد تمكن مسبار الفضاء «كيوريوستي» التابع لوكالة الفضاء والطيران الأمريكية (ناسا) من التوصل لأدلة تدعم احتمال وجود مياه في حالة سائلة على سطح كوكب المريخ.

ولا يمكن للماء أن يوجد في حالة سائلة على كوكب المريخ بسبب البرودة الشديدة على الكوكب، لكن الأملاح في تربة الكوكب تخفض درجة الحرارة المتجمدة على نحو يسمح بتشكل قشرة ملحية.

ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت أنواع المياه وما يصلح منها للتطهر وما لا يصلح.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب المياه في كتب فقه المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- المياه المعالجة وحكمها في الفقه الإسلامي، للدكتور أسامة علي الربابعة، بحث بمجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٤)، العدد (١)، يناير ٢٠١١م.
- أحكام آبار المياه في الفقه الإسلامي، إعداد هزاع بن زهير الشهري، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، السعودية، ١٤٣٢هـ.
- حكم تطهير واستعمال المياه العادمة في الفقه الإسلامي، إعداد ناصر عبد اللطيف دبوس، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- معالجة المياه: مياه الشرب، المياه الصناعية، مياه الصرف الصحي، مياه التلوث الصناعي، لعبد الكريم درويش، دار المعرفة، دمشق، ١٤١٨هـ.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠١٨/٥/٥م، بعنوان «حكم الوضوء بماء البحر المالح».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١١-٠٧-٢٠١٢م، بعنوان «حكم الاغتسال بماء تغير بوضع الصابون فيه».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠١٥/٠٩/٢١م، بعنوان «التيمم بالغبار الموجود على الملابس وبالرخام والحجر».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠١٨/٠٥/١٣م، بعنوان «حكم الطهارة بمياه الصرف المعالجة».

الفرع الثالث: كيف يمكن تحديد القبلة في الصلاة، وتحديد أوقات الصلاة مع اختلاف مقدار اليوم بين المريخ والأرض؟

نظرًا لاختلاف طبيعة كوكب الأرض عن كوكب المريخ تختلف أوقات الصلاة ويختلف اتجاه القبلة على هذا الكوكب، فكيف يمكن الاهتداء لتحديد أوقات الصلاة والقبلة.



ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة أن يرجع إلى المظان التي تتناول فريضة الصلاة بشروطها، وكذلك المصادر التي تناولت قضية حساب أوقات الصلاة عن طريق علم الفلك وكذلك تحديد اتجاه القبلة فلكيا.

أولًا: الدراسات المعاصرة:

- موسوعة الأفلاك والأوقات للأستاذ أبو أيمن خليل الكيرنوري، كتاب-ناشرون-بيروت.
- أحكام الفضاء في الفقه الإسلامي، للدكتور عبيد عبد الله عبد الطائي-دار الكتب العلمية-بيروت.
- الأهلة والمواقيت: هلال رمضان ومواقيت الصلاة بين الشرع والفلك، للفلكي عماد مجاهد، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.
- تعيين مواقيت الصلاة في أي زمان ومكان على سطح الأرض، للدكتور حسين كمال الدين، بحث من مجلة البحوث الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثالث ١٣٩٧هـ.
- خواطر دينية الجزء الأول، لعبد الله بن الصديق الغماري-مكتبة القاهرة.
- مواقيت العبادات الزمانية والمكانية دراسة فقهية مقارنة، الدكتور نزار محمود الشيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت، دمشق.
- الحسابات والتطبيقات الفلكية العلمية في خدمة الشريعة الإسلامية، للدكتور حميد مجول النعيمي، والدكتور مجيد محمود جراد، الآفاق المشرقة، ناشرون-الإمارات.

ثانيًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٣/ ٠٤/ ٢٠٠٩م، بعنوان «القبلة في الفضاء والكواكب الأخرى».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٧/ ٠٢/ ٢٠٠٦م، بعنوان «تحديد اتجاه القبلة بجعل الأذن اليسرى في اتجاه المشرق».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٦/ ٠١/ ٢٠١٤م، بعنوان «درجة الانحراف المسموح بها في القبلة إذا كان المسجد مبنيًّا بالفعل».

الفرع الرابع: كيف يمكن تحديد الحول في الزكاة؟

لكوكب المريخ قمران هما: فوبوس وديموس، وفوبوس أكبر القمرين وأقربهما إلى المريخ؛ فكيف يمكن تحديد الحول على كوكب المريخ؟



ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر التي تناولت فريضة الزكاة بشروطها، وكذلك المظان التي تناولت شرط الحول في الزكاة، وكذلك المظان التي تناولت قضية الحساب الفلكي.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- كتاب الزكاة في كتب فقه المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

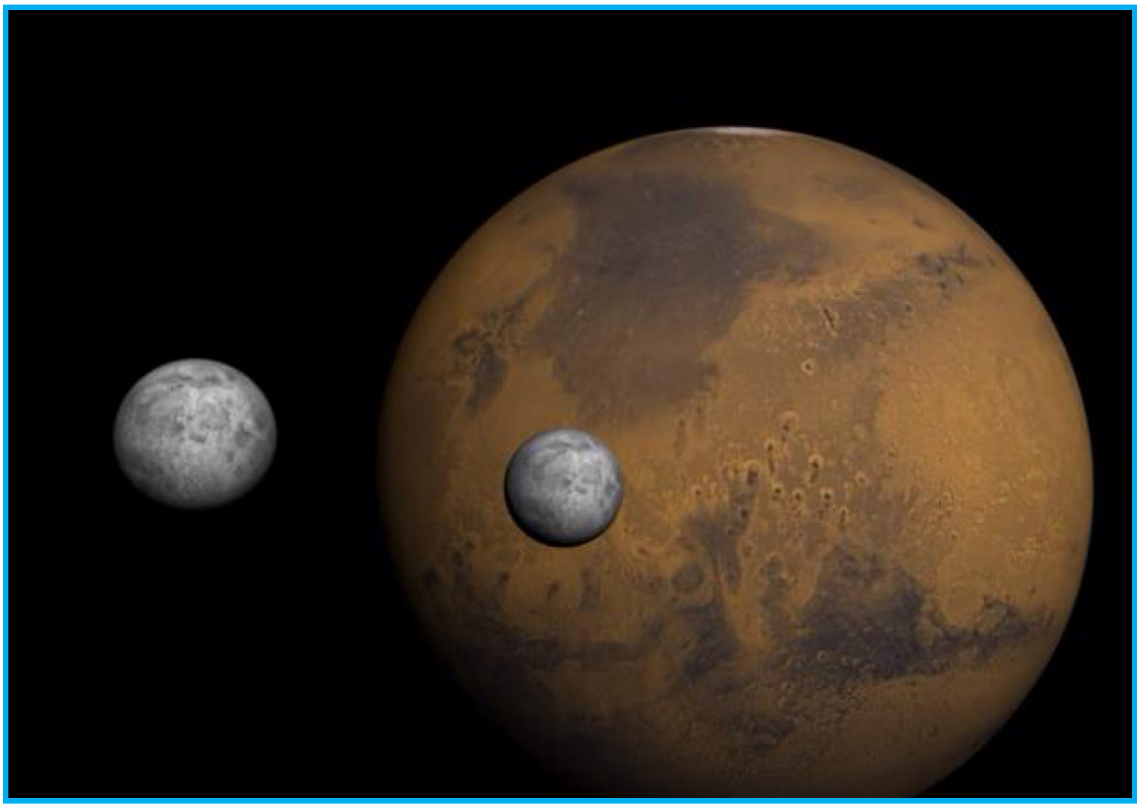
- الحول وأحكامه في الزكاة، إعداد: إبراهيم محمد أحمد عنانزة، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك- الأردن، ٢٠١٠-٢٠١١م.
- «التوقيت الحولي في الزكاة وما يترتب عليها من آثار» بحث للدكتور عبد السلام الشويعر، بمجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد (١٨)، السنة الخامسة عشرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- الحول الشرعي للزكاة وأثر التوقيت بغيره، بحث للدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد، مجلة الأصول والنوازل، العدد الخامس، محرم ١٤٣٢هـ السعودية.
- أحكام وفتاوى الزكاة والصدقات والنذور والكفارات، بيت الزكاة الكويتي، مكتب الشئون الشرعية، ٢٠٠٩م.
- التوقيت والتقويم، للدكتور علي حسن موسى، دار الفكر المعاصر-بيروت.
- أحكام الأهلة والآثار المترتبة عليها لأحمد بن عبد الله الفريح، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٧٦م، بعنوان «إخراج زكاة المال قبل موعدها».
- فتوى مكتب الإفتاء بوزارة الأوقاف والشئون الدينية بسلطنة عمان، بعنوان «حساب حول الزكاة».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٨/ ٠٥/ ٢٠٠٨م، بعنوان «كيفية إخراج الزكاة ومكان إخراجها».

الفرع الخامس: كيف يمكن تحديد شهر الصيام وحساب ساعات الصوم؟

ذكرنا أن لكوكب المريخ قمرين، ومن المعلوم أن فريضة الصيام تعتمد على رؤية الهلال في كوكب الأرض، فكيف يمكن تحديد شهر الصيام وساعات الصوم على كوكب المريخ؟



ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى الكتب والمظان التي تناولت فريضة الصوم بشروطها، وكذلك المصادر التي تناولت قضية الحساب الفلكي.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

-كتاب الصيام في كتب فقه المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- المعايير الفقهية والفلكية في إعداد التقاويم الهجرية دراسة نظرية تطبيقية، للدكتور نزار محمود الشيخ، دار البشائر الإسلامية-بيروت.
- دورتا الشمس والقمر وتعيين أوائل الشهور العربية باستعمال الحساب، للدكتور حسين كمال الدين، دار الفكر العربي-القاهرة.
- أحكام الأهلة والآثار المترتبة عليها لأحمد بن عبد الله الفريح، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
- الأهلة والمواقيت هلال رمضان ومواقيت الصلاة بين الشرع والفلك، للفلكي عماد مجاهد، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.
- مواقيت العبادات الزمانية والمكانية دراسة فقهية مقارنة، الدكتور نزار محمود الشيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت، دمشق.
- التوقيت والتقويم، للدكتور علي حسن موسى، دار الفكر المعاصر-بيروت.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٠/١٢/ ٢٠١١م، بعنوان «الحساب الفلكي والوسائل العلمية الحديثة في رؤية الهلال».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٩/ ٠١/ ٢٠١٢م، بعنوان «مسائل في رؤية الهلال وتعلق العبادات بالتقويم القمري».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٥/ ١٠/ ٢٠١١م، بعنوان «الصيام في الأماكن التي يقصر فيها الليل».

الفرع السادس: كيف يمكن تحديد شهور الحج؟

ومن الأحكام الفقهية المترتبة على اختلاف طبيعة كوكب المريخ عن كوكب الأرض تحديد أشهر الحج، فكيف يمكن تحديد هذه الأشهر؟



ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى الكتب التي تناولت فريضة الحج، وكذلك المظان والمصادر التي تناولت قضية الحساب الفلكي.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- كتاب الحج في كتب فقه المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- مواقيت العبادات الزمانية والمكانية دراسة فقهية مقارنة، الدكتور نزار محمود الشيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت، دمشق.
- التوقيت والتقويم، للدكتور علي حسن موسى، دار الفكر المعاصر-بيروت.
- أحكام الأهلة والآثار المترتبة عليها، لأحمد بن عبد الله الفريح-دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
- توفيق الرحمن للتوفيق بين ما قاله علماء الهيئة وبين ما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن، للشيخ محمد بخيت المطيعي، دار المنهاج للنشر والتوزيع-جدة.
- رؤية الهلال والحساب الفلكي، أو الأحكام المتعلقة بالهلال؛ لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار طيبة للنشر والتوزيع-الرياض.
- أوائل الشهور العربية هل يجوز شرعًا إثباتها بالحساب الفلكي، الشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٧/ ٠٣/ ٢٠١٥م، بعنوان «ضوابط رؤية الهلال».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٥/ ٠٩/ ٢٠١٤م، بعنوان «أشهر الحج».

الفرع السابع: كيف يمكن حساب شهور العدة؟

من الأحكام التي جاءت بها الشريعة بالنسبة للمرأة العدة، سواء كانت من طلاق أو وفاة. فكيف يمكن حساب العدة على كوكب المريخ؟



ببليوجرافيا الفتوى:

على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى الكتب التي تناولت أحكام العدة، وكذلك المصادر التي تناولت قضية الحساب الفلكي.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب العدة في كتب فقه المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم الدراسات المعاصرة:

- أحكام الأهلة والآثار المترتبة عليها، لأحمد بن عبد الله الفريح، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
- الأخذ بالحساب الفلكي في معرفة الأهلة بين الاعتبار والإهدار، للباحث مختار محسن محمد، بحث بمجلة دار الإفتاء المصرية، العدد الرابع، أبريل ٢٠١٠م.
- موقف الفقهاء المعاصرين من اعتبار الحساب الفلكي في تحديد بدايات الشهور القمرية: قراءة في وثائق مجمع الفقه الإسلامي بجدة، بحث بمجلة الواضحة للدكتور عبد الخالق الشدادي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا بالرباط.
- المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، للدكتور عبد الكريم زيدان، الجزء التاسع، مؤسسة الرسالة-بيروت.
- أثر الوقت في أحكام فسخ النكاح والطلاق والعدة لعبد الرحمن محمد عبد الله الحياني، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان-الأردن.
- كيف تعتد المرأة المسلمة، مقال لمنى السيد علي، مجلة الوعي الإسلامي، السنة (٣٦)، العدد (٤٠٥)، سبتمبر ١٩٩٩م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

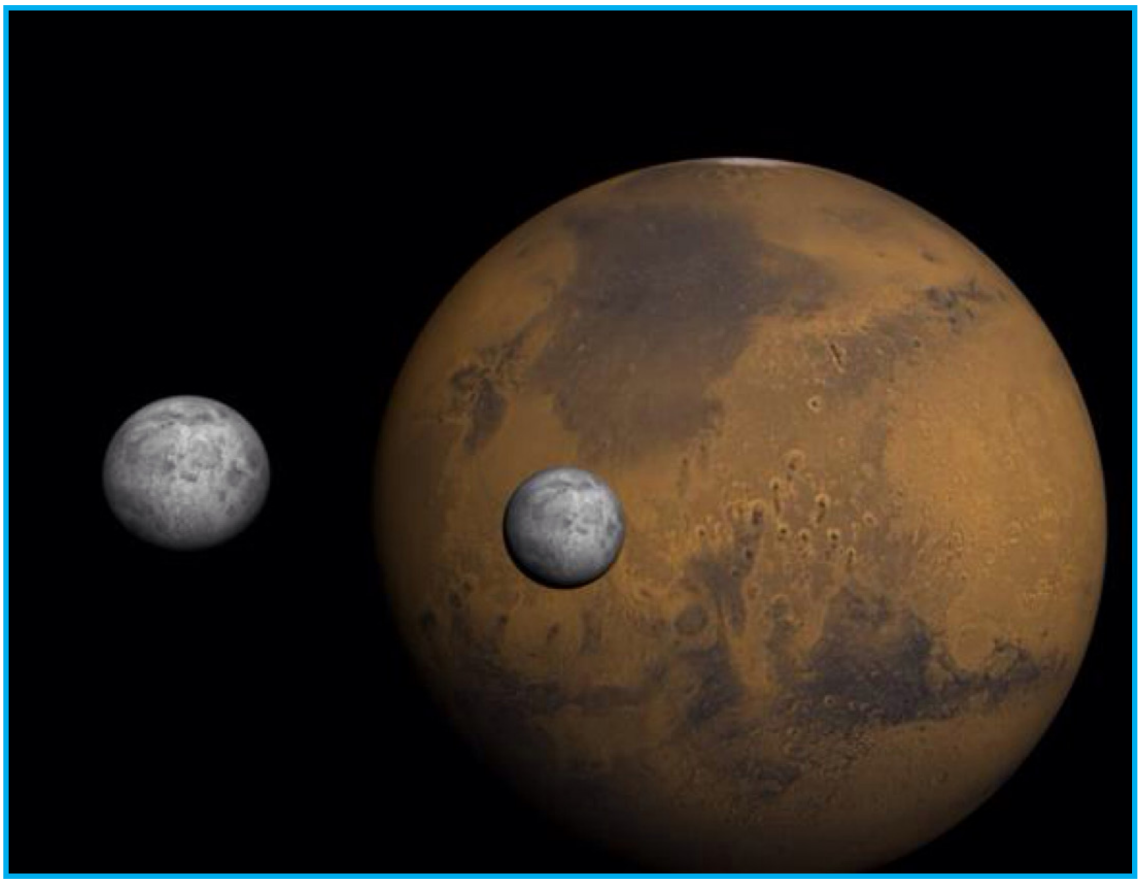
-فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ٢٠١٨م، بعنوان «بداية احتساب عدة المطلقة».

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٢٩م، بعنوان «أقل عدة المطلقة طلاقًا رجعيا غيابيا».

-فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٥/ ١١/ ٢٠٠٣م، بعنوان «هل على الرجل عدة؟»

الفرع التاسع: لو حدث خسوف لأي من القمرين هل تشرع صلاة الخسوف؟

ببليوجرافيا الفتوى:



على من يتصدرللإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى الكتب التي تناولت أحكام الخسوف.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

-باب صلاة الكسوف في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- تغيير بعض الظواهر الكونية بين الدين والعلم، للأستاذ محمد الطنجي، مجلة هدي الإسلام، مجلد (٥)، عدد (٣)، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية-الأردن.
- صلاة الكسوف الجزئي اليسير ومدى مشروعيتها، بحث للدكتور صالح بن علي الشمراني بمجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض.
- هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوات الخاصة، للدكتور نور الدين عتر، دار الفكر العربي- بيروت، دار الفكر-دمشق.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٩-١٢-٢٠١١م، بعنوان «صفة صلاة الكسوف والخسوف».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠/ ٠٨/ ٢٠١٧م، بعنوان «كيفية أداء صلاتي الكسوف والخسوف».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٦-٠٧-٢٠١٨م، بعنوان «صلاة الخسوف وما يتعلق بها من أحكام».

۞ ۞ ۞

الفرع العاشر: لو ظُفِر بإنسان في كوكب المريخ، هل يكون التعاطي بيننا وبين إنسان المريخ كالتعاطي بيننا، في قضايا المناكحة والمواريث وغيرها؟

أعلن علماء فلك أنهم اكتشفوا كوكبًا جديدًا يحمل مواصفات شبيهة بكوكب الأرض من حيث الحجم والظروف، وقد كان هذا الاكتشاف في شهر أبريل عام ٢٠١٤م، وأطلق العلماء على الكوكب الجديد اسم «كيبلر ١٨٦ ف»، وهو ما يعزز إلى حد كبير الاحتمالات بأن ثمة مخلوقات فضائية تشبه البشر ربما تعيش على ذلك الكوكب، وعلى ذلك لو ظُفِر بإنسان في كوكب المريخ، فهل يكون التعاطي بيننا وبين إنسان المريخ كالتعاطي بيننا، في قضايا المناكحة والمواريث وغيرها؟

٥ أحكام رواد الفضاء



تصور القضية[1]:

يعد ارتياد أو استكشاف الفضاء عاملًا مهمًّا لأمن واقتصاد الدول اليوم، حيث تدخل التطبيقات الفضائية في مختلف نواحي الحياة اليومية: الاتصالات والملاحة البحرية والجوية والبث الإعلامي ومراقبة الطقس والنواحي الأمنية والعسكرية ومراقبة الكوارث الطبيعية وغيرها من المزايا، وذلك في ظل سباق دولي للسيطرة على الفضاء واستخداماته، وتقوم العديد من الدول بتنفيذ برامج فضائية عبر بناء مؤسسات متخصصة ورصد ميزانيات ضخمة لتنفيذها.

ويعود استكشاف الفضاء إلى عام ١٩٢١م حيث سخر الإنسان مجموعة من الآلات والمعدات لهذا الغرض، وكان أول استكشاف علمي للفضاء هو تجربة الإشعاع الكوني للولايات المتحدة عام ١٩٤٦م، وتلا ذلك استقبال الصور الأولى المأخوذة للأرض من الفضاء فيما أعقبها من أعوام.

وكان أول إطلاق مداري ناجح بدون طيار للسوفييت «سبوتنيك ١» في أكتوبر عام ١٩٥٧م.

وفي نوفمبر عام ١٩٥٧م أطلق الاتحاد السوفييتي رحلة ثانية «سبوتنيك ٢»، بداخلها الكلبة لايكا لتصبح أول حيوان يتم إرساله للفضاء.

من هو رائد الفضاء؟

هو شخص يتم تدريبه بواسطة برنامج رحلات فضائية مأهولة ليأتمر على أو يقود أو يخدم كعضو في طاقم المركبة الفضائية.

وكانت أول رحلة فضائية بشرية ناجحة عام ١٩٦١م، بواسطة المركبة الفضائية «فوستوك ١» التي حملت رائد الفضاء الروسي يوري جاجارين، وأكملت مدارًا واحدًا حول العالم.

وفي غضون شهر من إطلاق «فوستوك ١» أطلقت الولايات المتحدة لأول مرة شخصًا يُدعى ألان شيبارد إلى الفضاء في رحلة «ميركوري-ريدستون ٣».

وفي عام ١٩٦٣م كانت فالنتينا تيريشكوفا، وهي رائدة فضاء سوفيتية، أول امرأة تسافر في الفضاء. وقد أمضت نحو ٧٠ ساعة في المركبة الفضائية «فوستوك ٦» حيث أكملت ٤٨ دورة حول الأرض.

١ مصادر هذه القضية:

-موقع bbc عربي: https://www.bbc.com/arabic

-موقع العلوم للعموم (مؤسسة دبي للمستقبل): https://www.popsci.ae

-موقع ناسا بالعربي: https://nasainarabic.net/main/articles

وتشير بعض المراجع إلى أن ٥٥٨ شخصًا زار الفضاء حتى عام ٢٠١٩م، بحيث يشكل الذكور الأغلبية العظمى منهم، إذ بلغ عددهم ٤٩٥ رائد فضاء، بينما بلغ عدد الإناث ٦٣ رائدة فضاء.

ويعد الأمير سلطان بن سلمان أول رائد فضاء عربي وأول رائد فضاء مسلم.

وتعد أنوشا أنصاري أول رائدة فضاء مسلمة، وهي مواطنة أمريكية ذات أصل إيراني؛ إذ انطلق صباح يوم ٤ أغسطس ٢٠١٠م من قاعدة باينكور الجوية في كازخستان صاروخ روسي من نوع سيوز على متنه أنوشا ورائدا فضاء، أحدهما روسي والآخر أمريكي، في رحلة تستغرق عدة أيام بين النجوم.

وحياة رواد الفضاء من أصعب أنواع الحياة؛ فحياتهم لا تشبه الحياة على سطح الأرض؛ وذلك بسبب انعدام الجاذبية، ولذا يدرب رواد الفضاء بشكل حثيث على العيش في الفضاء قبل الصعود إليه، فهناك أساليب خاصة في الحياة في الفضاء، وهناك أنظمة غذائية معينة يجبر رواد الفضاء على تناولها لمدة عدة أشهر.

كما أنهم يواجهون صعوبات فيما يتعلق بقضاء الحاجة والاستحمام والنوم، كما أنهم يمكثون فترات زمنية طويلة في الفضاء قد تستغرق شهورًا، ولقد وصلت أطول مدة زمنية لرائد في الفضاء ٤٣٨ يومًا، حيث بقي فاليري بوليكاف في محطة الفضاء الروسية «مير» في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٥م.

وتبين دراسة نشرتها ناشيونال جيوجرافيك بأن النساء أقدر على التأقلم في رحلات الفضاء الطويلة، كما أن إرسال طاقم من النساء سيوفر في الميزانية بشكل كبير.

ويعود ذلك لأسباب مختلفة. أهمها صغر حجم المرأة، كما تعاني النساء أعراضًا جسدية أقل مرتبطة في تأقلم الجسد مع المشكلات الفضائية، كما تتمتع النساء بصفات شخصية تجعلهن أقدر على تحمل رحلات طويلة الأمد.

الأثر الإفتائي للقضية:

ويتعلق بهذه القضية المستقبلية بعض المسائل الفقهية التي تتطلب مزيد بحث للوقوف على الحكم الشرعي لهذه المسائل التي تتعلق بهذه القضية، ويمكن إجمال هذه الفروع الفقهية فيما يلي:

الفرع الأول: هل يجوز أن تكون المرأة المسلمة رائدة فضاء؟



ينبغي على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة أن يدرك جيدًا ما يواجه رواد الفضاء في حياتهم في الفضاء، وأهمية ارتياد الفضاء من الناحية الشرعية، وهل هناك ضوابط فيما يتعلق بسفر المرأة إلى الفضاء إذا كانت بصحبة محارم أو بصحبة رفقة من النساء، وما ضمانات الأمان في هذه الرحلات الفضائية، إلى غير ذلك من الأمور التي حددها الشرع؟

ببليوجرافيا الفتوى:

يرجع من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة إلى المختصين في شئون الفضاء، كما ينبغي عليه الرجوع إلى مصادر ومظان الشريعة التي تناولت أحكام المرأة، ومقاصد الشريعة فيما يتعلق بالضروريات الخمس.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- أحكام النساء، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية-القاهرة.
- فتاوى النساء لشيخ الإسلام ابن تيمية، إعداد وتحقيق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن-القاهرة.

- أحكام النساء، لعلاء الدين بن العطار الشافعي، تحقيق: الدكتورة إيمان بنت محمد علي عزام، (سلسلة دفائن الخزائن)، دار البشائر الإسلامية-بيروت.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الحقوق السياسية للمرأة المسلمة، للدكتور شوقي إبراهيم علام، مكتبة الوفاء القانونية-الإسكندرية.
- ولاية المرأة في الفقه الإسلامي لحافظ محمد أنور، (أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير)، دار بلنسية –الرياض.
- المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة-بيروت.
- عمل المرأة: ضوابطه، أحكامه، ثمراته، دراسة فقهية مقارنة، لهند محمود الخولي، (أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير)، مكتبة الفارابي-دمشق.
- وظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم، لخولة عبد اللطيف العتيقي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم-الرباط.
- وظيفة المرأة المسلمة في المجتمع الإنساني، لعلي القاضي، دار القلم-الكويت.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٦/ ٠٦/ ٢٠١١م، بعنوان «سفر المرأة لأداء العمرة والحج بدون محرم».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٦/ ٠٥/ ٢٠٠٨م، بعنوان «عمل المرأة كوكيل للنيابة وتوليها القضاء».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٩/ ١١/ ٢٠١٤م، بعنوان «مشاركة المرأة في العمل السياسي والاجتماعي».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٩/ ٠٥/ ٢٠٠٦ م، بعنوان «سفر المرأة بدون محرم لحضور المؤتمرات».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٠-٠٥-٢٠١٠م، بعنوان «لا مانع من عمل المرأة ضمن الضوابط الشرعية».

الفرع الثاني: كيف يتوضأ رائد الفضاء ويصلي ويصوم في المركبة الفضائية؟



يفرض الوجود في الفضاء صعوبات تتعلق بأداء الصلاة لانعدام الجاذبية؛ مما يجعل هناك صعوبة في أداء حركات الصلاة وقوفًا وركوعًا وسجودًا، كما يؤدي انعدام الجاذبية إلى صعوبة في سيلان المياه بشكل طبيعي يسمح بالوضوء، فضلًا عن كيفية أداء رواد الفضاء الصلاة خمس مرات يوميا في محطة فضاء تدور ١٦ مرة حول الأرض خلال ٢٤ ساعة، بما يعني أن الشمس تشرق وتغرب عليهم عدة مرات في اليوم.

فماذا يفعل المسلم عندما يكون على متن المكوك الفضائي، والذي يبقى في الفضاء الخارجي لمدة سبعة أيام بالمتوسط؟ أو يكون على متن المحطة الدولية، حيث يبقى الرائد فيها بضعة أشهر؟ وكيف يؤدي المسلم الصلوات الخمس؟ كيف يتوجه إلى القبلة؟ وكيف يصوم إذا طالت رحلته الفضائية بضعة أشهر؟

هل يعتمد على توقيت مكة المكرمة مثلًا أم يعتمد على توقيت الموقع الذي انطلق منه؟ وهل يمكنه الوضوء بفوط مبللة بالماء مثلًا أم يلجأ إلى التيمم؟ وهل يمكنه أن يصلي جالسًا مربوطًا بحزام الأمان مثلًا؟ وهل يسقط شرط استقبال القبلة في حقه؟ وهل يجب عليه الصوم أم يفطر باعتباره مسافرًا وينتظر حتى يرجع لبلده ويصوم؟

ببليوجرافيا الفتوى:

أولًا: أهم المصادر المعاصرة:

- أثر التقنية الحديثة في الخلاف الفقهي، للدكتور هشام بن عبد الملك آل الشيخ، مكتبة الرشد ناشرون-الرياض.
- اقدروا له: تقدير أوقات الصلاة والصيام لخطوط عرض عليا، لعدنان عبد المنعم قاضي، مطابع كنوز المعرفة-جدة.
- إشكاليات فلكية وفقهية حول تحديد مواقيت الصلاة، لعودة محمد شوكت، مؤتمر الإمارات الفلكي الثاني، المشروع الإسلامي لرصد الأهلة-الإمارات.
- مواقيت الصلاة وحساباتها بالطرق العلمية الفلكية الدقيقة، للدكتور مجيد محمود جراد، والدكتور عوني محمد الخصاونة، المملكة الأردنية الهاشمية.

ثانيًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٩/ ٠٧/ ٢٠١٣م، بعنوان «الصيام في البلاد التي يقصر فيها الليل».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٣/ ٠٤/ ٢٠٠٩ بعنوان «القبلة في الفضاء والكواكب الأخرى».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٥/ ٠٤/ ٢٠١٦م، بعنوان «الصلاة في القطار المتحرك».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٩/ ٠١/ ٢٠١٢م، بعنوان «مسائل في رؤية الهلال وتعلق العبادات بالتقويم القمري».

الفرع الثالث: هل يجوز الوقف على رواد الفضاء وأبحاثهم؟

تعمد الكثير من الدول إلى إنشاء مراكز خاصة بالفضاء؛ وذلك رغبة منها في اكتشاف هذا العالم الغريب، ولحاقًا بركب الحضارة والتطور، وتجري في هذه المراكز والمعاهد الكثير من الدراسات والبحوث حول الفضاء وما يتصل به، ففي المملكة العربية السعودية مثلًا تضم مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية مركزًا متخصصًا في بحوث الفضاء يعرف بمعهد بحوث الفضاء؛ فهل يجوز أن يقف شخصٌ على هذه المراكز، أو يجعل غلة وقفه على تكاليف الرحلات الفضائية، ونحو ذلك مما يتصل بالفضاء ورواده؟

وذلك بناءً على أن في الوقف على الأمور المتعلقة بالفضاء من أبحاث ونحوها تقويةً لروح المسلمين المعنوية، وإعانةً لهم في مسيرتهم العلمية؛ مما يقوي شوكتهم أمام أعدائهم، كما أن هذه الأمور من العلم الذي حث عليه الإسلام ورتب عليه الثواب الجزيل.



ببليوجرافيا الفتوى:

ينبغي على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر التي تناولت موضوع الوقف، ومعرفة الجهة التي يجوز الوقف عليها والتي لا يجوز الوقف عليها.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب الوقف في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.
- كتاب «أحكام الوقف» للإمام هلال بن يحيى بن سلمة الرأي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-الهند.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- نظام الوقف والاستدلال عليه، للشيخ محمد بخيت المطيعي، تحقيق: محمود محمد الكبش، الإصدار السابع والستون من إصدارات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية-الكويت.
- أحكام الوقف والمواريث، لأحمد إبراهيم بك، المطبعة السلفية ومكتبتها-القاهرة.
- -نظام الوقف في التطبيق المعاصر، لمجموعة من العلماء والباحثين، الأمانة العامة للأوقاف-الكويت.
- المشروعات الوقفية والتوسع في مفهوم مقاصد الواقفين، إعداد: عبد الهادي عبد الحميد الصالح، رسالة ماجستير، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية-لندن.
- أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى، لخالد بن هدوب بن فوزان المهيدب، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٢/ ٠٧/ ٢٠١٥م، بعنوان «الوقف للبحث العلمي وإيداع أمواله في البنوك».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٩/ ٠٧/ ٢٠٠٦م، بعنوان «وقف الودائع المالية لصالح الإنفاق على معهد أزهري».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٢-٠٧-٢٠١١م، بعنوان «المساهمة في بناء مركز لعلاج مرضى السرطان يعد من الوقف الخيري».
- قرار مجلس الإفتاء والبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية رقم: (٢٥٣) (٦/ ٢٠١٨) التبرع للوقف التعليمي بتاريخ (٦/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٩هـ) الموافق (٢٢/ ٢/ ٢٠١٨م).

الفرع الرابع: هل يجوز التأمين على حياة رائد الفضاء؟

التأمين على الحياة أحد أنواع التأمين، وهو: عقد يتعهد المؤمن بمقتضاه دفع مبلغ من المال للمؤمن له عند موته أو عند بقائه حيا بعد مدة معينة.

والتأمين من العقود المستحدثة، لذلك لم يتعرض له الفقهاء الأولون صراحة، وقد اختلف المعاصرون فيه على قولين: الجواز والحرمة.

ونظرًا لخطورة رحلات الفضاء واحتمال الموت والهلاك تبدو جدية هذه المسألة الفقهية، فهل يجوز التأمين على حياة رائد الفضاء من هذه الحيثية؟

ببليوجرافيا الفتوى:

ينبغي على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت قضية التأمين، وتطبيق قضية التأمين على هذه المسألة الفقهية.

أولًا: أهم المصادر المعاصرة:



- التأمين الإسلامي، دراسة فقهية مقارنة بالتأمين التجاري مع التطبيقات العملية، للدكتور علي محيي الدين القره داغي، طبعة دار البشائر الإسلامية-بيروت.
- نظام التأمين في هدي أحكام الإسلام وضرورات المجتمع المعاصر، للدكتور محمد البهي، مكتبة الشركة الجزائرية-الجزائر.
- نظام التأمين حقيقته والرأي الشرعي فيه، لمصطفى أحمد الزرقاء، مؤسسة الرسالة-بيروت.
- التأمين وأحكامه، للدكتور سليمان بن إبراهيم بن ثنيان، طبعة دار ابن حزم-بيروت.
- التأمين في الشريعة والقانون، للدكتور شوكت محمد عليان، طبعة دار الشواف بالسعودية.

ثانيًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٧/ ٠٣/ ٢٠١٨م، بعنوان «التأمين على المصنع والسيارات والموظفين ضد بعض المخاطر».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٨٠م، بعنوان «حكم التأمين ضد الحريق».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٥-١-٢٠١٠م، بعنوان «حكم التأمين الشامل على السيارة».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٣-١٠-٢٠١٤م، بعنوان «الفرق بين التأمين التعاوني الإسلامي والتأمين التجاري».
- قرار مجلس الإفتاء والبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة الأردنية رقم: (١٥٨) (٢٤/ ٢٠١٠) حكم أخذ الورثة أموال التأمين على الحياة بعد وفاة مورثهم بتاريخ (١٧/ ١/ ١٤٣٢هـ) الموافق (٢٣/ ١٢/ ٢٠١٠م).

الفرع الخامس: إذا مات رائد الفضاء كيف يمكن تجهيزه ودفنه إذا تعذر ذلك بالطرق الشرعية المعروفة؟

قد يواجه رواد الفضاء احتمالات مأساوية أثناء وجودهم في الفضاء، ولم يحدث أن توفي رائد فضاء على متن محطة الفضاء الدولية من قبل، ولكن ما الذي يمكن لرواد الفضاء فعله إذا توفي أحد زملائهم على متن المحطة؟

هل يجب أن توجد أكفان في المركبة الفضائية؟ وإذا لم تتوفر أكفان فهل يلف الميت في أي قماش؟ وإذا لم يتوفر الماء للتغسيل فهل يمكن اللجوء إلى التيمم؟

كما أن وجود جثمان مسجى في المركبة الفضائية يشكل معضلة كبيرة وتهديدًا صحيا لباقي رواد الفضاء؛ إذ ليس من السهل توفير مكان مناسب لحفظ تلك الجثة على متن المركبة الفضائية.

وهناك تقنية لا تزال في طور التجربة تعتمد على تجميد وتجفيف الجسم، فبدلًا من حرق الجثة للتحول إلى رماد ستقوم التقنية الحديثة بتفتيت الجثمان إلى ملايين القطع الصغيرة من حبات الجليد ضمن حقيبة خاصة يمكن حفظها داخل المركبة الفضائية لسنوات طويلة، فهل إذا نجحت هذه التقنية يجوز اللجوء إليها شرعًا؟ وإذا لم يكن متاحًا اللجوء إلى تقنية التجميد والتجفيف هل يجوز شرعًا إلقاء الجثمان ليسبح في الفضاء الخارجي قياسًا على قول كثير من الفقهاء برمي الميت بالبحر إذا خيف عليه التغير قبل الوصول إلى البر؟

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة أن ينظر إلى مقاصد الشرع في رفع الضرر وضوابط الضرورات، كما يتعين عليه الرجوع إلى المظان التي تكلمت عن أحكام الجنائز.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- كتاب الجنائز في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.
- كتاب الجنائز في كتب شروح السنة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- أحكام التصرف بالجثة في الفقه الإسلامي، إعداد: رقية أسعد صالح عرار، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية-نابلس، ٢٠١٠م.
- الحماية الجنائية لحرمة الميت بين الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري، إعداد: طارق حليلو، رسالة ماجستير، جامعة الوادي-الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤م.
- حقوق الموتى في الشريعة الإسلامية، للدكتور سالم عبد الله أبو مخدة والدكتور خليل محمد قنن، بحث بمجلة البحوث والدراسات الشرعية بجمهورية مصر العربية، منشور بتاريخ ٠٧/٠٧/ ٢٠١٦م.
- المستجدات في كتاب الجنائز جمعًا ودراسة، إعداد: عايد بن معافي بن جمعان الجدعاني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٣٢هـ.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٦/ ٠٦/ ٢٠٠١م، بعنوان «حرق جثث الموتى».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٤/ ٠٥/ ٢٠١٥م، بعنوان «تغسيل المتوفى بمرض الإيبولا».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٣٠/ ٠٤/ ٢٠٠٣م، بعنوان «التيمم للميت إذا تعذر تغسيله».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٧/ ٠١/ ٢٠١٩م، بعنوان «حكم الدفن في تابوت».

٦ التجسس من الفضاء



تصور القضية[1]:

أصبحت الأقمار الصناعية من أهم وسائل جمع المعلومات؛ فهي تعد تقنية من تقنيات التجسس.

ويحاصر كوكب الأرض أقمار صناعية صغيرة بعضها «مدني» وأغلبها «عسكري»؛ إذ تنفي معظم دول العالم حين إطلاقها للأقمار أنها تستخدمها لأسباب عسكرية، بل تؤكد أنها أطلقتها لأهداف تخدم البيئة والمناخ والأبحاث العلمية، وهي في أصلها عسكرية بحتة.

وقد بدأت أولى برامج التجسس والتصوير الفوتوغرافي من الفضاء في عام ١٩٦٠م في مشروع مشترك بواسطة المخابرات المركزية الأمريكية والقوات الجوية الأمريكية وأطلق على هذا المشروع اسم «كورونا»، حيث تم إطلاق أكثر من ١٠٠ قمر صناعي للتجسس على الاتحاد السوفيتي؛ حيث كانت الأقمار الصناعية الأولى تدور في المدار القطبي للأرض في مسارات محددة وتلتقط صورًا للأرض من أماكن محددة ثم تقوم بإرسال الفيلم الذي يحتوي على الصور إلى الأرض بواسطة كبسولة يقذفها القمر الصناعي إلى الأرض، ويتم التقاطها فيما بعد من الفريق على الأرض لتحميضها والحصول على المعلومات التي فيها.

وقد تطورت تقنيات التجسس بشكل كبير للغاية في العقود الأخيرة، وأصبحت لأقمار التجسس الحديثة إمكانيات كبيرة حيث تتمكن من التقاط الصور والبث الحي والمباشر وإرسالها مباشرة وفي التو واللحظة للأرض لأي نقطة يتم تحديدها من مركز التحكم الأرضي؛ حيث تتحرك الأقمار الصناعية الحديثة بسرعة كبيرة توازي سرعة دوران الأرض للتموضع في الأماكن التي يراد تصويرها.

ويمكن لأقمار التجسس الصناعية مراقبة كل حركة من حركات الشخص المستهدف حتى وإن كان «الهدف» موجودًا في منزله أو في أعماق مبنى ضخم، أو مسافرًا في سيارة على الطريق السريع، ومهما كانت حالة الطقس.

١ () مصادر هذه القضية:

-موقع dw (موقع أخبار وتحليلات وخدمات من ألمانيا وأوروبا بثلاثين لغة) https://www.dw.com/

-موقع المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني: http://www.accronline.com

-موقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح: https://defense-arab.com/



وتمتلك اليوم غالبية دول العالم الأول أقمارًا تجسسية تجوب أصقاع الفضاء القريب، ومن هذه الدول: الصين وألمانيا وفرنسا وأمريكا.

الأثر الإفتائي للقضية:

تتعلق بهذه القضية مجموعة من التساؤلات التي تحتاج إلى حكم فقهي، يبين جواز هذا التجسس وعدم جوازه، ويمكن إجمال الفروع الفقهية المرتبطة بهذه القضية فيما يلي:

إذا كان التجسس لمصلحة معينة، كتجسس الدولة على الرعية لوجود ضرورة من انتهاك حرمة أو حصول مفسدة، فما حكم هذا التجسس؟ وما حكم تجسس الدولة على الولاة والحكام والموظفين لمتابعة ومراقبة أعمالهم؟

وما حكم تجسس المسلم على أمن الكافر لصالح الدولة المسلمة؟ وما ضوابط مشروعية هذا التجسس في زمن الحرب وزمن السلم؟

وما حكم تجسس دولة على دولة تتجسس هي عليها؟

ببليوجرافيا الفتوى:

ينبغي على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت قضية

التجسس، والضوابط التي وضعها الشرع الحنيف التي تحدد ما يجوز منه وما لا يجوز وفقًا لمقاصد الشريعة ومصالح العباد.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- تفسير قوله تعالى: {ولا تجسسوا} في كتاب «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي.
- تفسير قوله تعالى: {ولا تجسسوا} في كتاب «روح البيان في تفسير القرآن»، للشيخ إسماعيل حقي الخلوتي.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- التجسس عبر التصوير في الفقه الإسلامي، إعداد: أمل جبر أشتيوي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١١م.
- التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، لمحمد راكان الدغمي، دار السلام، ٩٨٥م.
- التجسس وإفشاء الأسرار بين الحل والحرمة، للدكتور توفيق يوسف الواعي، بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالكويت، المجلد (١٢)، العدد (٣١)، أبريل ١٩٩٧م.
- التجسس لمصلحة الدولة في الفقه الإسلامي، للدكتور راشد سعود العميري، بحث بمجلة الدراسات العربية بكلية دار العلوم-جامعة المنيا، المجلد (٥)، العدد (٢١)، ٢٠١٠م.
- الأمن والأجهزة الأمنية من وجهة نظر إسلامية، لمحمد سليمان الزير، دار الفكر-دمشق، دار الفكر المعاصر-بيروت، ٢٠١٢م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٢ يونية ١٩٥٧م، بعنوان «التجسس في الإسلام».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٩/ ٠٦/ ٢٠١٨م، بعنوان «تجسس أحد الزوجين على هاتف الآخر».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٣٠/ ٠٧/ ٢٠١٩م، بعنوان «وضع كاميرات مراقبة في غرف القياس».
- فتوى دار الإفتاء المصرية عن الطلب المقيد برقم ١٣٢٥ لسنة ٢٠٠٠م، بعنوان «جريمة التجسس وحكم التبليغ عمن يشك فيه».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٩/ ٠٤/ ٢٠١٧م، بعنوان «تتبع عورات الناس وعيوبهم».

٧ التعدين الفضائي



تصور القضية[1]:

التعدين الفضائي: هو عملية استخراج المعادن والأحجار النادرة والثمينة من المذنبات، والكويكبات، والأجسام الفضائية الصغيرة ضمن نظامنا الشمسي.

فمع التقدم العلمي والتكنولوجي، واندثار الموارد والمعادن الطبيعية على سطح الأرض اتجهت الأنظار صوب الفضاء مع انكشاف ثرواته الهائلة التي يضمها بين كويكباته؛ فقد أكدت الدراسات الحديثة أن استخراج الموارد المعدنية من الأجرام الفضائية يمكن أن يضخ في اقتصاد العالم عشرات المليارات من الدولارات في المستقبل القريب.

وتعمل بالفعل بعض مؤسسات الفضاء الخاصة والحكومية بشكل فعال على اكتشاف الكويكبات التي تنطوي على إمكانات كبيرة لتحقيق الأرباح، وتسعى لاستخراج هذه الموارد.

هذا، وتشارك الدول أيضًا في سباق التعدين الفضائي، حيث تواكب لوكسمبورغ واليابان والإمارات العربية المتحدة التطورات في هذا المضمار.

ويُعتقد أن العديد من الكويكبات غنية بالمعادن بما فيها الذهب، والبلاتينيوم، والألومينيوم، والنيكل، والتيتانيوم. ويمكن استخدام هذه المعادن كمواد بناء عند الاستيطان في الفضاء أو يمكن جلبها إلى الأرض.

وتُقدِر وكالة (ناسا) أن القيمة الإجمالية للموارد الحبيسة في الكويكبات لو وُزعت على سكان الأرض لكان نصيب الفرد الواحد نحو ١٠٠ مليار دولار.

وقد أجرت (ناسا) أبحاثًا مكنتها من التعرف على ٧٥٠ ألف كويكب، لكن جزءًا كبيرًا منها يُستبعد أن يكون هدفًا محتملًا للتعدين في الوقت الحالي. ولهذا تمَ تضييق نطاق البحث لحصره في حدود ١٧ ألف كويكب، ويقدِر علماء الفيزياء الفلكية أن الكويكب الذي يستحق التعدين يحتاج إلى أن تكون قيمته السوقية مليار دولار على الأقل.

---

١ () مصادر هذه القضية:

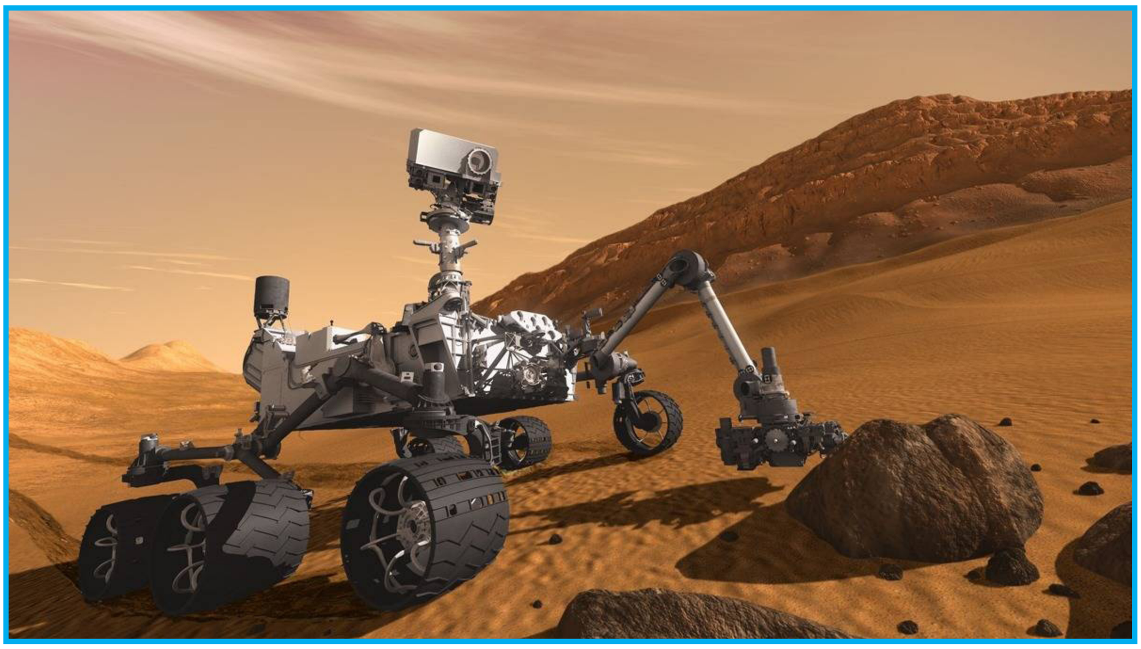
-موقع deutschland.de رابطك إلى ألمانيا: https://www.deutschland.de/ar/

-موقع bbc عربي: https://www.bbc.com/arabic/scienceandtech/

- موقع صحيفة الاقتصادية (جريدة العرب الاقتصادية الدولية): http://www.aleqt.com/



ومن المفترض خلال العقود القادمة أن يكون بالإمكان إرسال مسابر فضائية متطورة لاستكشاف إمكانات النيازك القريبة من الأرض، وتقدير مخزوناتها من المواد الخام، فتقوم بعملية سبر لكل من هذه النيازك، وتجمع العينات وتقوم بتحليل محتوياتها من المواد الخام، ثم ترسل النتائج إلى الأرض. وعندما تجد المسابر النيزك المناسب يمكن لمركبات فضائية كبيرة غير مأهولة التوجه إلى هناك، حيث يقوم روبوت خاص باستخراج المواد الأولية.



الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية المستقبلية بعض الفروع الفقهية التي يتطلب البحث عنها الاطلاع على المصادر والمراجع التي توقفنا على الحكم الشرعي، ويمكن إجمال هذه الفروع فيما يلي:

الفرع الأول: لمن تعود ملكية موارد الفضاء؟ للشركة التي نقبت أم أن موارد الفضاء مِلْك للبشرية؟

يعتبر الفضاء الخارجي من وجهة نظر القانونيين من الأملاك الجماعية كما يعبرون عن ذلك، أي أن الفضاء لا مالك له، وإنما هو من الأشياء العامة التي يستفيد منها جميع البشر.

ففي السابع والعشرين من يناير عام ١٩٦٧م اجتمعت كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي على طاولة واحدة للعمل على معاهدة بخصوص استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي، وقد وقعت جميع الأطراف على ما يسمى بـ«معاهدة الفضاء الخارجي». وقد أصبحت هذه الاتفاقية الأساس الذي يقوم عليه قانون الفضاء الدولي. وفي سبتمبر عام ٢٠١٥م بلغ عدد الدول التي وقعت عليها أكثر من ١٠٠ دولة.

وتحظر هذه المعاهدة على أي دولة المطالبة بحقوق السيادة على أي أجرام فلكية، لكنها لا تشمل الموارد التي تحتويها الأجرام، وعلى نحو مشابه فإن اتفاقية القمر لعام ١٩٧٩م لا تمنع استغلال موارد القمر بشكل صريح.

ببليوجرافيا الفتوى:

ينبغي على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المظان والمصادر التي تناولت حق الملكية في الشرع الإسلامي، سواء أكانت ملكية عامة أم خاصة.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي.
- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي لأبي الحسن الماوردي، الجزء السابع، دار الكتب العلمية-بيروت.
- باب إحياء الموات في كتب الفقه المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- قانون الفضاء الكوني، لفاروق سعد، الأهلية للنشر والتوزيع-بيروت.
- من يملك الفضاء، للعميد علي حلمي علوان، مقال منشور بمجلة الحرس الوطني، العدد (٢٢٧)-السعودية.
- الملكية في الشريعة الإسلامية مع المقارنة بالشرائع الوضعية للشيخ علي الخفيف، دار الفكر العربي-القاهرة.
- الملكية في الإسلام، للدكتور عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى، دار المعارف-القاهرة.
- الملكية العامة في الإسلام: طبيعتها، ومسئوليات الدولة عنها، مقال للدكتور عايد فضل الشعراوي، مجلة الوعي اللبنانية، العدد (٣٧١)، السنة الثانية والثلاثون، ذو الحجة ١٤٣٨هـ.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٨/ ٠٢/ ٢٠١٩م، بعنوان «التنقيب عن الذهب في الصخور».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٤/ ١١/ ٢٠١٥م، بعنوان «النظام الاقتصادي في الإسلام».

الفرع الثاني: لو تمكنت دولة إسلامية من استغلال ثروات الفضاء فهل يجب في هذه الثروات زكاة الركاز؟



يُعرف الركاز بأنه ما ركزه الله تعالى في الأرض من المعادن في حالتها الطبيعية. ويُعرف المعدن بأنه ما يوجد في باطن الأرض بخلق الله تعالى، سواء كان سائلًا كالنفط «البترول»، أو صلبًا كالذهب والحديد.

وأكثر الفقهاء المعاصرين على أن النفط والغاز ونحوهما من الثروات المعدنية إن كانت ملك الدولة فشأنها شأن كل أموال الدولة، وهذه لا زكاة فيها بالإجماع؛ لأنها ليست ملكًا لشخص بعينه، ولأنها مصروفة في النهاية في مصالح المسلمين العامة.

وقد ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى وجوب الزكاة في أموال النفط «البترول» مما تملكه الحكومات الإسلامية، وهو بمقدار الخمس، بناءً على أنه ركاز؛ فقد صح في الحديث «في الركاز الخمس».

وقد ذهب هذا البعض إلى أنه على فرض التسليم بأن الدول المنتجة للبترول تصرف كل عائده على المصالح العامة وعلى تنميتها الاقتصادية، إلا أنهم طالبوا بتخصيص نسبة ٢٠٪ من دخل البترول وكل ثروات الركاز، بحيث يستقل به فقراء هذه الدول، وما يزيد على حاجتهم يُصرف لفقراء

العالم الإسلامي؛باعتباره حقهم الشرعي؛ فإن المال هو مال الله حقيقة ومجازًا.

وبناء على هذا الخلاف، إذا تمكنت دولة إسلامية من استغلال ثروات الفضاء فهل يجب في هذه الثروات زكاة الركاز؟

ببليوجرافيا الفتوى:

ينبغي على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت قضية زكاة الركاز، وأدلة كل فريق أوجب فيها الخمس أو ربع العشر، وكذلك يجب النظر في أدلة من لم يوجب فيها الزكاة بالنسبة للدولة، والترجيح بين الأدلة وفقًا لمقاصد الشريعة.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب زكاة المعدن والركاز في كتب الفقه المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- زكاة البترول والثروة المعدنية، إعداد: جمال أبو شريعة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م.
- زكاة المعادن، من تأليف: إبراهيم عبد الصادق محمود-الشيخ محمد عبد الرحمن-ضرار الماحي العبيد أحمد-عبد الوهاب محمد نور، كتاب من إصدار المعهد العالي لعلوم الزكاة بالسودان.
- زكاة الركاز والمعادن: دراسة فقهية مقارنة، للدكتور سعد الدين هلالي، بحث بمجلة البحوث القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق جامعة المنصورة، العدد (٢٣)، أبريل ١٩٩٨م.
- مدى مسئولية الدولة عن استخراج الثروات وتنميتها واستثمارها من منظور الفقه الإسلامي، للدكتور عبد الفتاح محمود إدريس، بحث بمجلة البحوث والدراسات الشرعية بالقاهرة، العدد (٧٣)، يناير ٢٠١٨م.
- زكاة المعادن حل لمشكلة الفقر، للدكتور علي القره داغي، بحث قدم للدورة الثامنة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد بماليزيا، في الفترة من ٩-١٤ يوليو ٢٠٠٧م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠١٤م، بعنوان «التجارة في الآثار».

الفصل الثاني

المستقبليات الاجتماعية

(الحكومة العالمية الموحدة)



تصور القضية[1]:

مثَّلت الحكومة الموحدة فكرة وأملًا راود الفلاسفة ودعاة السلام العالمي، وترجع البدايات الأولى لفكرة الحكومة العالمية إلى الفلسفات العالمية والديانات السماوية؛ إذ شكلت موضوعات العالمية ووحدة الجنس البشري والقانون الطبيعي أصولها الفكرية الأولى.

ومع ذلك لم يعرف العالم تطبيقًا للحكومة العالمية، بل لم يصادف العالم وجود سلطة عالمية واحدة باستثناء تاريخ الإمبراطوريات التي جسدت نوعًا من سلطة القهر والغصب العالمي، والتي لم تدم طويلًا، كما أنها لم تخضع كل العالم لسيطرتها.

وقد أصبحت فكرة الحكومة العالمية مع ظهور الدولة القومية في العصر الحديث وتطور شكل التنظيم السياسي أكثر نضجًا وتطورًا؛ إذ تأثر معظم المفكرين بشكل النظام السياسي المحلي في وصف مؤسسات الحكومة العالمية وتحديد أهدافها.

ويعتقد البعض أن تشكيل نوع من الحكومة العالمية أمر مقبول؛ فإن قيام الاتحاد الأوروبي ومن بعده الاتحاد الأفريقي وباقي المنظمات والتجمعات كجامعة الدول العربية وجمعية بلدان شرق آسيا وجامعة أمم جنوب أمريكا، كلها في حكم التمهيد والتفكير بقيام الدولة العالمية الموحدة، خصوصًا وأن وجود منظمة الأمم المتحدة كمؤسسة دولية لتنسيق النشاطات السياسية والاجتماعية والعلمية والتواصل بين الدول بعديد مؤسساتها يشكل ما يشبه الضابط والمعيار لهذه الدول والمؤسسات.

وكتب جيفري بلايني، المؤرخ الأسترالي البارز: «لأول مرة في تاريخ الإنسانية أصبح الآن تشكيل حكومة عالمية من نوع ما أمرًا ممكنًا». ويتوقع بلايني حدوث محاولة لتشكيل حكومة عالمية في وقت من الأوقات خلال القرنين المقبلين.

وحسب صحيفة «أرابيان بيزنس» توقع الرئيس التنفيذي لشركة «كاسبرسكي لاب» يوجين كاسبرسكي أن تتحد الحكومات في حكومة واحدة عالمية خلال ١٠٠ عام، وبالتالي سيكون لهذه الحكومة عملة واحدة يتم التعامل بها وتوحيدها في جميع أنحاء العالم مع وجود عملات أخرى؛

١ مصادر هذه القضية:

- كتاب «الحكومة العالمية وتطورات النظام السياسي الدولي»، للدكتورة يسرا كريم العلاق، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ٢٠٢٠م.

- موقع جاري ديفيس كان أول شخص بارز يقترح قيام حكومة عالمية بعد الحرب العالمية الثانية.

https://garrydavis.org/

- صحيفة الاتحاد الإماراتية. https://www.alittihad.ae/

- (الاقتصادية) جريدة العرب الاقتصادية الدولية. http://www.aleqt.com/

مؤكدًا أن هذه العملة لن تكون عملة ورقية بل ستكون عملة رقمية.

ويمكن تعريف الحكومة العالمية بأنها: سلطة عالمية عليا تستند إلى قانون أو دستور عالمي ينشأ من اتفاق دولي عام تتنازل فيه الدول عن سلطتها في المجال الأمني لصالح سلطة عالمية مشتركة تحتكر حق استخدام القوة المسلحة لقمع حالات العدوان والجريمة، وتقوم هذه السلطة على أساس مجموعة من المؤسسات التشريعية والتنفيذية والأمنية والقضائية الملزمة.

والدعوات الحديثة للحكومة العالمية بصورة عامة لا تدعو إلى تفكيك نظام الدول ذات السيادة بل إلى ابتكار تصميم مؤسسي عالمي لتحرك الإنسانية نحو فدرالية عالمية.

بمعنى أن الحكومة الفدرالية العالمية لا تعمد إلى إذابة الخصوصيات الثقافية والقومية وتوحيدها في إطار دولة واحدة لتحقيق أهدافها، وإنما ترتكز على إقامة سلطة مركزية عالمية تكون هي السلطة الوحيدة المخولة باستخدام القوة للحفاظ على الأمن وتحقيق السلام العالمي، والتصدي للمشكلات التي يواجهها العالم.

ومن إيجابيات فكرة الحكومة العالمية إلغاء الجيوش، وعدم شراء الأسلحة في دولة أممية عالمية، ما يوفر أموالًا طائلة وتحويلها إلى مشروعات تخدم البشرية جمعاء، وتصب في مصلحة الإنسان بمعزل عن عرقه ودينه ومعتقداته، فضلًا عن إنهاء النزاعات والصراعات الدموية وحلول السلام العالمي ودعم المناطق الفقيرة والأقل حظا.

كما أن من ميزات وجود الحكومة العالمية: مواجهة التهديدات العالمية، مثل الكوارث والحروب والمذنبات والأوبئة، وحدوث تبادل معرفي أكبر بين البلدان، بالإضافة إلى التقدم العلمي.

ومن المعلوم أن دول العالم تضم أديانًا وأعراقًا مختلفة، ومن هنا تبدو أهمية هذه القضية في ارتباطها بالدول المسلمة.

الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية المستقبلية بعض الفروع الفقهية التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

الفرع الأول: هل يجوز للدول المسلمة الانضمام لهذه الحكومة العالمية التي يترأسها غير المسلمين؟

يقر الإسلام وجود علاقات سياسية دولية بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية، من أجل تحقيق غايات إنسانية أو ثقافية وتعليمية أو اقتصادية أو لأهداف سلمية، وتعاون بين أعضاء الأسرة الدولية المعاصرة؛ ولذلك فإن إقامة العلاقة الخارجية للدولة الإسلامية واجب شرعي نابع من عالمية الدعوة الإسلامية؛ فلا يجوز للدولة الإسلامية التفريط فيه، ومن هنا يثور التساؤل: هل يجوز انضمام الدول الإسلامية إلى الحكومة العالمية التي يرأسها غير المسلمين؟

ببليوجرافيا الفتوى:

ينبغي على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى كتب السياسة الشرعية التي حددت المبادئ العامة التي تحكم العلاقة الخارجية للدولة الإسلامية بالدول غير الإسلامية، وذلك في ضوء المقاصد التي توختها الشريعة بما يعود على المسلمين بالنفع والمصلحة.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- كتاب الجهاد والسير في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.
- كتاب «الخراج»، للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، دار المعرفة-بيروت، ١٩٧٩م.
- كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، مع شرحه للإمام محمد بن أحمد السرخسي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٧م.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الحكومة العالمية وتطورات النظام السياسي الدولي، للدكتورة يسرا كريم العلاق، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ٢٠٢٠م.
- الحكم العالمي في دراسة العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة، للدكتور إياد هلال حسين الكناني، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ٢٠٢٠م.
- مفهوم الحكومة العالمية في النظرية الليبرالية للعلاقات الدولية، لهاني رمضان طالب، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين-ألمانيا.
- نظرية الحكومة العالمية: حتمية تاريخية أم استراتيجية أمريكية لتكريس الهيمنة، للدكتور فريد

أبرادشة، بحث بمجلة العلوم الإنسانية الجزائرية، العدد (٧)، الجزء (٢)، يونيو ٢٠١٧م.

- التحالفات السياسية في العصر الحديث من المنظور الإسلامي، لصهيب مصطفى آميدي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مركز معرفة الإنسان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.
- المبادئ الإسلامية في التعامل عبر الأديان، للدكتور سعيد إسماعيل صيني، دار الكتب العلمية-بيروت.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

-فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٣/ ٠٦/ ٢٠١٢م، بعنوان «الوظائف الحكومية في البلاد غير الإسلامية».

-فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٤/ ٠٨/ ٢٠١٦م، بعنوان «الإقامة في بلاد غير المسلمين».

-فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٦/ ٠١/ ٢٠١٩م، بعنوان «حكم السفر إلى بلاد غير المسلمين».

-فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٤-٠٣-٢٠١٤م، بعنوان «معاملة أهل الكتاب في الإسلام».

الفرع الثاني: إذا انضمت الدولة الإسلامية لهذه الحكومة العالمية فهل تُلزم بتنفيذ قرار فيه بعض الإجحاف بحقوق المسلمين، أو تُلزم بتنفيذ قرار يتعارض مع الشرع إذا كان ميثاق هذه الحكومة يلزم كل الدول بالتنفيذ؟



فالمعاهدات والاتفاقيات التي تأخذ طابعًا دوليا، إذا طلب من دول العالم الإسلامي إقرارها والتوقيع عليها وكان فيها بعض الإجحاف بحقوق المسلمين أو تعارضت مع نص شرعي فما يكون موقف الدولة المسلمة حينئذٍ ؟

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى الكتب والدراسات التي تناولت موضوع التحالفات والمعاهدات، وذلك في كتب السياسة الشرعية التراثية، والدراسات المعاصرة، ولا سيما التي ضمت النماذج العملية للتحالفات والمعاهدات في الصدر الأول من الدولة الإسلامية.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- كتاب الجهاد والسير في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.
- كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، مع شرحه للإمام محمد بن أحمد السرخسي، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٧م.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، دار النفائس-بيروت، ١٩٨٧م.
- المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني دراسة فقهية مقارنة، لعثمان بن جمعة ضميرية، سلسلة كتاب دعوة الحق العدد (١٧٧)، السنة (١٥).
- أحكام المعاهدات في الفقه الإسلامي، للدكتور إسماعيل كاظم العيساوي، مكتبة الرشد ناشرون-الرياض.
- العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية دراسة مقارنة، لسعيد عبد الله حارب المهيري، مؤسسة الرسالة-بيروت.
- العلاقات الدولية في الإسلام، للدكتور وهبة الزحيلي، دار المكتبي، دمشق-سوريا.
- أصول العلاقات الدولية في الإسلام، لمخلد عبيد المبيضين، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ٢٠١٢م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٧٩م، بعنوان «اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل وأثرها».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢ مارس ١٩٨٠م، بعنوان «مشروع الاتفاقية الدولية باختطاف الأطفال».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٨ يناير ١٩٥٦م، بعنوان «الصلح مع اليهود، والمعاهدات مع الدول المعادية».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٥ مايو ١٩٧٩م، بعنوان «موقف الإسلام من اتفاقية الطلاق والانفصال الجسدي».

الفصل الثالث

المستقبليات الاقتصادية

(العملات الرقمية المشفرة)


PREMIER PEER TO PEER CRYPTO CURRENCY
PHYSICAL ARTIFACT FOR THE REAL WORLD
[ETH]
DECENTRALIZED PLATFORM THAT RUNS SMART CONTRACTS

تصور القضية[1]:

في خضم هذا التقدم التكنولوجي الهائل الذي نعيشه، وفي ظل هذا التطور الرقمي الذي بات يشمل جميع مجالات الحياة ظهرت مسألة العملات الرقمية المشفرة فأحدثت ثورة في النظام النقدي العالمي.

وقد أصبحت العملات المشفرة أمرًا واقعًا، ويبدو أنه سيبقى في المستقبل المنظور ويزداد توسعًا وانتشارًا، فقد رجح خبراء اقتصاد دوليون لصحيفة «ليبراسيون» الفرنسية اختفاء العملات الورقية والمعدنية في غضون سنوات لصالح الرقمية، وتحديدًا بحلول ٢٠٣٠م، مشيرين إلى أنه لن يتم التعامل بالعملات النقدية.

والعملة الرقمية هي عملة معماة -أي مشفرة- ونظام دفع عالمي يمكن مقارنتها بالعملات الأخرى، لكن مع عدة فوارق أساسية من أبرزها: أنها عملة إلكترونية بالكامل، فليس لها وجود فيزيائي، وتُتداول عبر الإنترنت فقط، وتقوم عمليات التبادل بهذه العملة على مبدأ الند للند، وهو مصطلح تقني يعني التعامل المباشر بين مستخدم وآخر من غير وجود وسيط بينهما، فتُدار سائر العمليات المتعلقة بهذه العملات بشكل كامل عن طريق مستخدميها دون أية سلطة رقابية أو مركزية، فلا يُعرف أصحابها، ولا يمكن تتبع عمليات البيع والشراء التي تتم بها حول العالم.

وإذا قلنا: إن الذهب والفضة معدنان ثمينان، والأوراق النقدية عبارة عن أوراق، فالعملة الرقمية هي مجرد أرقام إلكترونية، فهي عملة وهمية غير قابلة للمس كالدولار واليورو، تستخدم للشراء في العالم الرقمي ولا تحتاج لأي وسيط بين البائع والمشتري، كما أنها متوفرة في جميع أنحاء العالم.

وتسمى هذه العملات أيضًا بالعملات الافتراضية لأنها لا وجود لها حقيقةً في أيدي الناس.

وهذه العملة لا يمكن الحصول عليها من البنوك والمصارف كسائر النقود والعملات، وإنما يتم الحصول عليها بإحدى طريقتين: إما عن طريق الشراء من المواقع الإلكترونية المتخصصة في بيع هذه العملات على شبكة الإنترنت، وإما عن طريق ما يسمى بالتعدين أو التنقيب، وهي طريقة إلكترونية

---

١ مصادر هذه القضية:

-موقع صحيفة الاتحاد الإماراتية: https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/

-موقع العين الإخبارية الإماراتي: https://al-ain.com/article/economic-experts-disappear-cash-money

-العملات الرقمية «البتكوين أنموذجًا» ومدى توافقها مع ضوابط النقود في الإسلام، للباحث باسم أحمد عامر، بحث بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية بالإمارات، المجلد (١٦)، العدد (١)، يونيو ٢٠١٩م.

معقدة للغاية، ويشق على غير أصحاب الخبرة بالحواسيب وعلم البرمجيات القيام بها.

وأشهر العملات الرقمية وأوسعها انتشارًا «البتكوين»، التي بدأ تداولها عن طريق الشبكة العنكبوتية عام ٢٠٠٩م.



ويبدو أن الذين قاموا بابتكار فكرة هذه العملات أرادوا إعادة تشكيل النظام النقدي في العالم، وتكوين مفهوم جديد للمال وطرق تداوله، خصوصًا أن طرح فكرة «البتكوين» جاء مباشرة بعد الأزمة المالية العالمية التي عصفت باقتصادات العالم عام ٢٠٠٨م.

وبسبب الفضاء الإلكتروني المفتوح فإنه يمكن لأي شخص عنده من الإمكانات والخبرة في علوم الحاسب الآلي والبرمجيات إصدار عملة رقمية يتم تداولها عبر الإنترنت كما هو الحال مع عملة «البتكوين»؛ لذا فقد تسارع ظهور نماذج أخرى لهذه العملات، حتى تجاوز عددها ٣٠٠٠ عملة افتراضية، وأكثر العملات المشفرة غش وخداع وتلاعب بالأرقام والأموال، والقليل منها فقط يمكن اعتباره ابتكارًا حقيقيا بمفاهيم وآليات جديدة سواء في جانب الفكرة أو التقنية أو التطبيق.

وتعتبر تقنية (Blockchain) الأساس الذي تعمل عليه العملات الافتراضية، والبلوك تشين عبارة عن سجل إلكتروني موحد يحتوي على سلسلة من كتل معلومات تتضمن جميع التحويلات السليمة

للعملة الرقمية في العالم منذ إنشاء هذه العملة وبداية تداولها، وعن طريق هذه التقنية يمكن تفادي مشكلة الإنفاق المزدوج أي إنفاق المبلغ النقدي ذاته في إجراء معاملتين مختلفتين.

ومن خصائص هذه العملة سهولة الدفع، فهي تسمح لمستخدميها أن يتحكموا بأموالهم بحرية كاملة، فيمكن إرسال واستقبال الأموال دون أي قيود، وكذا السرعة في نقل الأموال وتحويلها دون وسيط وبلا رسوم، كما أنها تتصف بالعمومية فلا ترتبط بموقع جغرافي؛ فيمكن اعتبارها عملة محلية لكل الدول.

والعملات المشفرة بواقعها الحالي فيها محاذير شرعية، ولا تتفق تمامًا مع مبادئ الاقتصاد الإسلامي، لكن يمكن تلافي هذه المحاذير الشرعية بوسائل مختلفة.

وقد أثارت هذه العملات وخاصة عملة «البتكوين» العديد من المسائل القانونية والاقتصادية والشرعية التي توجب على المختصين الاهتمام بها ودراستها وإعطاءها الأحكام القانونية والشرعية؛ فهذه العملة مؤسسة على أسس مختلفة عما عهدناه من العملات النقدية، فهي مجهولة الماهية والمصدر والحال.

الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية المستقبلية بعض المسائل الفقهية التي تتطلب بحثًا من أجل الوصول إلى الحكم الشرعي فيها، ويمكن إجمال هذه المسائل فيما يأتي:

الفرع الأول: ما ضوابط جواز التعامل بالعملات الرقمية؟ وإذا تم تعميم التعامل بها على مستوى الدول برغم محاذيرها الشرعية فهل تدخل في عموم البلوى؟

تكتنف العملات الرقمية المشفرة عدة محاذير شرعية، فهي عملات مجهولة الأساس والمصدر، ويلفها الغموض حول كيفية إصدارها، ولا توجد جهة موثوقة تضمنها، كما أنها وسيلة تبادل يمكن استخدامها بسهولة في عمليات غسيل الأموال والتجارة بالسلع المحرمة والممنوعة كالمخدرات والأسلحة، فإنها لا تمر بالقنوات الرسمية كالبنوك والمؤسسات المالية بل تعتمد على التعامل المباشر بين الأشخاص بعيدًا عن أية رقابة مركزية أو دولية لتحركات الأموال وانتقالها، كما أن المتعاملين بهذه العملات يقصدون في الأساس المضاربة بها والمقامرة على تذبذب أسعارها الفاحش، فهل يمكن من الناحية الشرعية تلافي هذه المحاذير؟ وإذا لم يمكن تلافيها وعمم التعامل بهذه العملات على مستوى العالم فهل يدخل ذلك في عموم البلوى؟

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى الأبواب الفقهية التي تناولت مفهوم المال وكذلك الرجوع إلى كتب الاقتصاد الإسلامي ودراسات المتخصصين التي تناولت طبيعة هذه العملة، ومدى انطباق الشروط التي حددها الفقهاء في النقود عليها، للوصول إلى الحكم الشرعي للتعامل بهذه العملة الرقمية.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- كتاب البيع في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.
- كتاب الصرف في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- العملات الرقمية «البتكوين أنموذجًا» ومدى توافقها مع ضوابط النقود في الإسلام، للباحث باسم أحمد عامر، بحث بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية بالإمارات، المجلد (١٦)، العدد (١)، يونيو ٢٠١٩م.
- النقود الرقمية الرؤية الشرعية والآثار الاقتصادية، للدكتور عبد الستار أبو غدة، بحث مقدم لمؤتمر الدوحة الرابع للمال الإسلامي (المستجدات المالية المعاصرة والبناء المعرفي)، يناير ٢٠١٨م.
- النقود الافتراضية مفهومها وأنواعها وآثارها الاقتصادية، للدكتور عبد الله بن سليمان الباحوث، بحث بالمجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، كلية التجارة، جامعة عين شمس بالقاهرة، العدد (١)، يناير ٢٠١٧م.
- أثر سد الذرائع في التعامل بالعملات الافتراضية «البيتكوين أنموذجًا»، للدكتور عبد اللطيف حاجي العوضي، بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجلد (٣٤)، العدد (١١٦)، مارس ٢٠١٩م.
- تعاملات العملة الافتراضية: دراسة قانونية، للباحث محمد ديب، بحث بالمجلة المصرية للدراسات القانونية والاقتصادية، العدد (١٠)، يناير ٢٠١٨م.
- العملة المشفرة (البتكوين) تكييفها الفقهي وحكمها الشرعي دراسة فقهية مقارنة، للدكتور حسن عبد الله أبو زهو، بحث بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، المجلد (٢)، العدد (٢)، ٢٠١٨م.

- ضوابط النظام النقدي في الإسلام للدكتور ناصح بن ناصح المرزوقي، بحث بالمجلة العلمية لقطاع كليات التجارة-جامعة الأزهر، العدد (١٣)، يناير ٢٠١٥م.
- قاعدة عموم البلوى وأثرها في دراسة القضايا الفقهية المعاصرة (المعاملات المالية وفقه الأسرة أنموذجًا)، للدكتور مسلم بن محمد الدوسري، بحث مقدم لندوة: نحو منهج علمي أصيل لدراسة القضايا الفقهية المعاصرة، مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ٢٠١٠م.
- حجية عموم البلوى عند الأصوليين، للدكتور أنس محمود العواطلي، بحث بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر، العدد (٣٣)، ٢٠١٦م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ٢٠١٧م، بعنوان «تداول عملة البيتكوين والتعامل بها».
- فتوى دار الإفتاء الفلسطينية بتاريخ ١٤/ ١٢/ ٢٠١٧م، بعنوان «حكم التعامل بالعملة الإلكترونية التي تسمى (البيتكوين) وحكم تعدينها».
- فتوى الهيئة العامة للشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠١٨م، بعنوان «حكم التعامل بالبتكوين».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٥م، بعنوان «استخدام الإنترنت في بيع وشراء السلع والوساطة فيهما».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٢/ ٠٩/ ٢٠١١م، بعنوان «التسويق الشبكي كيو نت».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٤/ ٠١/ ٢٠١٣م، بعنوان «الترخص والتيسير عند الابتلاء».



الفرع الثاني: هل يجري الربا في العملات الرقمية؟

يترتب معرفة جريان الربا في العملات الرقمية على معرفة علة الربا في الذهب والفضة، وعلة جريان الربا في الذهب والفضة مطلق الثمنية؛ فإذا أمكن اتصاف العملات الرقمية بوصف الثمنية الموجود في الذهب والفضة ترتب على ذلك تحقق علة الربا في العملة الرقمية؛ والعملة الرقمية تحقق فيها الرواج والاشتمال على وظائف الثمن، ولعلها أقرب شبهًا بالذهب والفضة من الأوراق النقدية من حيث انتشارها العالمي غير المحدود.

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت مفهوم الربا ومفهوم الثمنية، والرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت حقيقة العملات الرقمية، ومدى تطابق تلك المفاهيم على هذه العملات.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب الربا في كتب الفقه المختلفة.
- باب الصرف في كتب الفقه المختلفة.
- شروح باب الصرف وباب الربا في كتب شروح السنة النبوية.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- النقود الرقمية وأثر التعامل بها في نمط الحياة الإسلامية، للدكتور أحمد عيد عبد الحميد، بحث بمنتدى فقه الاقتصاد الإسلامي، طبع دائرة الشئون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ٢٠١٨م.
- أحكام صرف النقود والعملات في الفقه الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة، للدكتور عباس أحمد

الباز، دار النفائس-الأردن. (أصل الكتاب رسالة ماجستير).

- أحكام الصرف في الفقه الإسلامي، إعداد: عادل محمد أمين روزي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٩٦م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٨/ ٠٩/ ٢٠١٥م، بعنوان «تبديل العملات المعدنية بما يماثلها من العملات الورقية».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١١-٠٦-٢٠١٨م، بعنوان «الأوراق النقدية يثبت لها أحكام الذهب والفضة».
- قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي بشأن القبض: صوره وبخاصة المستجدة منها وأحكامها رقم: ٥٣ (٤/ ٦) المنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠هـ، الموافق ١٤-٢٠ مارس ١٩٩٠م.
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٧-٠٢-٢٠١٩م، بعنوان «حكم التعامل بالمحفظة الإلكترونية الخاصة بالأجهزة الخلوية».

الفرع الثالث: هل تثبت الزكاة في العملات الرقمية؟

إذا ثبت جريان الربا في العملات الرقمية حمايةً لمال الفقير من الأخذ ظلمًا؛ ثبتت الزكاة فيها أيضًا حماية لحق الفقير من المنع ظلمًا.

وإذا أمكن اعتبار العملات الرقمية أموالًا اكتسبت صفة الثمنية؛ فإنه يجري عليها أحكام الذهب والفضة المنصوص عليها في الشرع، ومنها الزكاة؛ فعلى ذلك تحسب قيمة نصاب الذهب بالعملة الرقمية، وقيمة نصاب الفضة بها، وتخرج زكاته مما يساويه من العملات الرقمية في مصارف الزكاة المعتبرة شرعًا.

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر التي تناولت طبيعة العملات الرقمية، وكذا المراجع والمصادر التي تناولت الزكاة وشروطها وطبيعة النقد المزكى، ومدى مطابقة مبادئ الشرع في فريضة الزكاة لطبيعة هذه العملات.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب الزكاة في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- عملة البيتكوين وحكم التعامل بها في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، للدكتور أحمد أمداح والدكتور صالح بوبشيش، بحث بمجلة الإحياء، الجزائر، المجلد (١٨)، العدد (٢٢)، سبتمبر ٢٠١٩م.
- النقود الرقمية وأثر التعامل بها في نمط الحياة الإسلامية، للدكتور أحمد عيد عبد الحميد، بحث بمنتدى فقه الاقتصاد الإسلامي، طبع دائرة الشئون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ٢٠١٨م.
- أحكام الأوراق النقدية والتجارية في الفقه الإسلامي، إعداد: ستر بن ثواب الجعيد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ

- زكاة العملات الورقية، للدكتور عطية عبد الحليم صقر، دار الهدى للطباعة بالقاهرة، ١٩٩٢م.
- تغير قيمة العملة في الفقه الإسلامي، للدكتور عجيل جاسم النشمي، بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجلد (٥)، العدد (١٢)، ديسمبر ١٩٨٨م.
- زكاة النقود وأسسها في النظرية الإسلامية للنقد، لمحمد الحبيب التجكاني، بحث بمجلة الاعتصام، جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية بالمغرب، السنة (٩) العدد (٩)، ١٩٨٥م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٥٧م، بعنوان «زكاة أوراق البنكنوت وأسهم الشركات».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٨١م، بعنوان «بيان بنك ناصر في الزكاة ورأي دار الإفتاء فيه».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٦/٠٦/٢٠٠٧م، بعنوان «التعامل في البورصة وزكاة الأسهم».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٦/٠٢/٢٠١٤م، بعنوان «هل في الأوراق المالية (البنكنوت) زكاة؟»
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٩/٠٢/٢٠١٧م، بعنوان «زكاة الأسهم».

الفرع الرابع: هل تنطبق أحكام الصرف على العملات الرقمية؟

إذا أمكن اعتبار العملات الرقمية أثمانًا قائمة بذاتها يجري عليها الربا بعلة الثمنية، وتجب فيها الزكاة؛ فحينذاك تنطبق عليها أحكام الصرف كما قرر الفقهاء المعاصرون في انطباق أحكام الصرف على النقود الورقية، وكما أن الورق النقدي أجناس تتعدد بتعدد جهات الإصدار، فالورق النقدي الأمريكي جنس والورق النقدي السعودي جنس، فكذلك الحكم بالنسبة للعملات الرقمية؛ فهي أثمان مستقلة بذاتها، تحمل قيمًا مختلفة؛ فصرف العملة الرقمية بجنسها يشترط فيه التقابض والتماثل، وصرفها بجنس ثمني آخر سواء كان عملة رقمية أخرى أو عملة ورقية يشترط فيه التقابض فقط، ويدخل في هذا الحكم شراء الذهب والفضة بالعملات الرقمية؛ فهو عقد صرف أيضًا لا يجوز إلا يدًا بيد، والتقابض في العملات الرقمية تقابض حكمي؛ حين تُسجل عملية التحويل أو الدفع بالقيد الإلكتروني في السجل الموحد (Blockchain)، وتظهر العملة رقمًا في المحفظة الإلكترونية الخاصة بالمحول إليه، كما هو الحال في القيد المصرفي في المعاملات البنكية.

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة أن يراجع المصادر التي تناولت الصرف وأحكامه وشروطه، ومدى مطابقة ما جاء به الشرع لطبيعة هذه العملات الرقمية، من أجل الوصول للحكم الشرعي المتعلق بهذه المسألة.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب الصرف في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.
- باب الربا في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- العملات الافتراضية: تكييفها الفقهي وحكم التعامل بها «البيتكوين نموذجًا»، للدكتور مراد رايق عودة، بحث بمجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية بالمدينة المنورة، العدد (١٨٩)، الجزء الثاني، يونيو ٢٠١٩م.

◈ الأحكام الفقهية للصرف الإلكتروني: دراسة حالة العملات الافتراضية «البيتكوين نموذجًا»، إعداد: أحمد خزان، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي بالجزائر، رسالة ماجستير، ٢٠١٧-٢٠١٨م.

◈ اختلاف الفقهاء في علة الربا وأثره في الصرف: دراسة مقارنة، للدكتور أحمد عبد العليم عبد اللطيف، بحث بمجلة المسلم المعاصر، السنة (٢٩)، العدد (١١٤)، أكتوبر ٢٠٠٤م.

◈ أحكام الصرف النقدي في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، إعداد: بربر سعد الدين السماني، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية بالخرطوم، ١٩٩٩م.

◈ قواعد الصرف وأحكامه في الشريعة الإسلامية، إعداد: علي محمد محمود بني عطا، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٠م.

◈ أحكام الصرف في الفقه الإسلامي، إعداد: عادل محمد أمين روزي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٩٩٦م.

◈ أحكام صرف النقود والعملات في الفقه الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة، للدكتور عباس أحمد الباز، دار النفائس-الأردن. (أصل الكتاب رسالة ماجستير).

◈ أحكام فك النقود المعاصرة ومبادلتها بجنسها، للدكتور محمد بن عبد الله المحيميد، بحث ضمن بحوث محكمة في الفقه، جامعة القصيم-بريدة، ملتقى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الجزء الرابع، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

◈ فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٠-٠٣-٢٠١٦م، بعنوان «حكم تأجيل التقابض في عقود الصرف».

◈ فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٨-٠١-٢٠١٥م، بعنوان «القبض الحكمي في العقود يقوم مقام القبض الحقيقي بشروط».

◈ فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٠-١٠-٢٠١٦م، بعنوان «وجوب التقابض في بيع الذهب بالنقد».

الفرع الخامس: هل للعملات الرقمية حرز؟

اشترط جمهور الفقهاء الحرز لتطبيق حد السرقة، والحرز هو ما نُصب لحفظ أموال الناس كالدار والحانوت وغير ذلك بحيث لا يعد صاحب المال مضيعًا له بوضعه فيه، فهل يمكن تطبيق حد السرقة إذا اعتُبرت العملات الرقمية أموالًا وأثمانًا؟

وكيف يمكن الاعتداء بالسرقة على هذه العملات؟



سبق أن العملات الرقمية ليس لها وجود فيزيائي فليست محسوسة، وطريقة تداولها بأن يكون لدى كل طرف من المتعاملين بها محفظة إلكترونية بمنزلة الحساب البنكي، فائدتها حفظ العملات الرقمية بمختلف أنواعها، وهي الطريقة الوحيدة لاستقبال هذه العملات أو تحويلها.

والمحفظة الإلكترونية عبارة عن برنامج إلكتروني يعمل في المنصات الإلكترونية كالحاسب الآلي والهواتف الذكية، وكل محفظة إلكترونية لها مفتاحان: المفتاح العام، وهو ما يقابل رقم الحساب البنكي، وهو عبارة عن أرقام وحروف، وقد يستعاض عنه بكود مربع.

فإذا رغب صاحب المحفظة الإلكترونية باستقبال العملات فإنه يعطي المفتاح العام للمرسِل، فيقوم المرسل من خلال محفظته الإلكترونية بإدخال المفتاح العام للمستقبِل وإرسال المبلغ المطلوب من العملات.

والمفتاح الخاص، وهو ما يقابل الرقم السري في الحسابات البنكية، وهو عبارة عن أرقام وحروف كالمفتاح العام، فحين يقوم المرسِل بتحويل عملات رقمية إلى محفظة المستقبِل لا يتمكن المستقبِل من صرف هذه العملات إلا بإدخال المفتاح الخاص؛ فإذا تمكن أحد من الوصول إلى المفتاح الخاص لأي محفظة إلكترونية فإنه يمكنه سرقة محتوياتها من العملات الرقمية.

فهل يمكن اعتبار المحفظة الإلكترونية حرزًا، ولا سيما أن الفقهاء اتفقوا على أن تقدير الحرز يرجع إلى عُرف الناس حسب زمانهم ومكانهم؟

وهل يمكن تطبيق حد السرقة إذا استولى المعتدي على العملات الموجودة في الحرز الإلكتروني لانطباق وصف السرقة عليه؟

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت حد السرقة وشروط تطبيقه، والرجوع إلى المصادر التي تناولت طبيعة هذه العملات الرقمية، وهل ينطبق عليها ما ينطبق على الأموال.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- باب حد السرقة في كتب الفقه في المذاهب المختلفة.
- باب حد السرقة ونصابها في شروح كتب السنة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الحرز وأثره في جريمة السرقة، للدكتور عبد الرحمن بن سليمان الربيش، بحث بمجلة البحوث الأمنية، مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية، المجلد (١٨)، العدد (٤٤)، نوفمبر ٢٠٠٩م.
- التطبيقات المعاصرة لشرط الحرز في السرقة، للدكتور فداء فتحي شطناوي، والدكتور أيمن محمد الشبول، بحث بالمجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب-الرياض، المجلد (٢٨)، العدد (٥٥).
- السرقة الإلكترونية: دراسة فقهية، إعداد: ضياء مصطفى عثمان، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك-الأردن، ٢٠١٠م.

◈ سرقة بطاقات الائتمان في الفقه الإسلامي، للدكتورة ردينا إبراهيم الرفاعي، بحث بالمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (١١)، العدد (٣)، ٢٠١٥م.

◈ الشروط الفقهية لتطبيق حد السرقة، إعداد: أميرة الجليدي مسعود، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية بالخرطوم، ٢٠٠٨م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

◈ فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٣١-٠١-٢٠١٣م، بعنوان «حكم الاعتداء على الملكية الفكرية وسرقة الأموال عن طريق بطاقات الائتمان».

◈ فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٨/ ٠٩/ ٢٠٠٠م، بعنوان «سرقة الأفكار والإبداع».

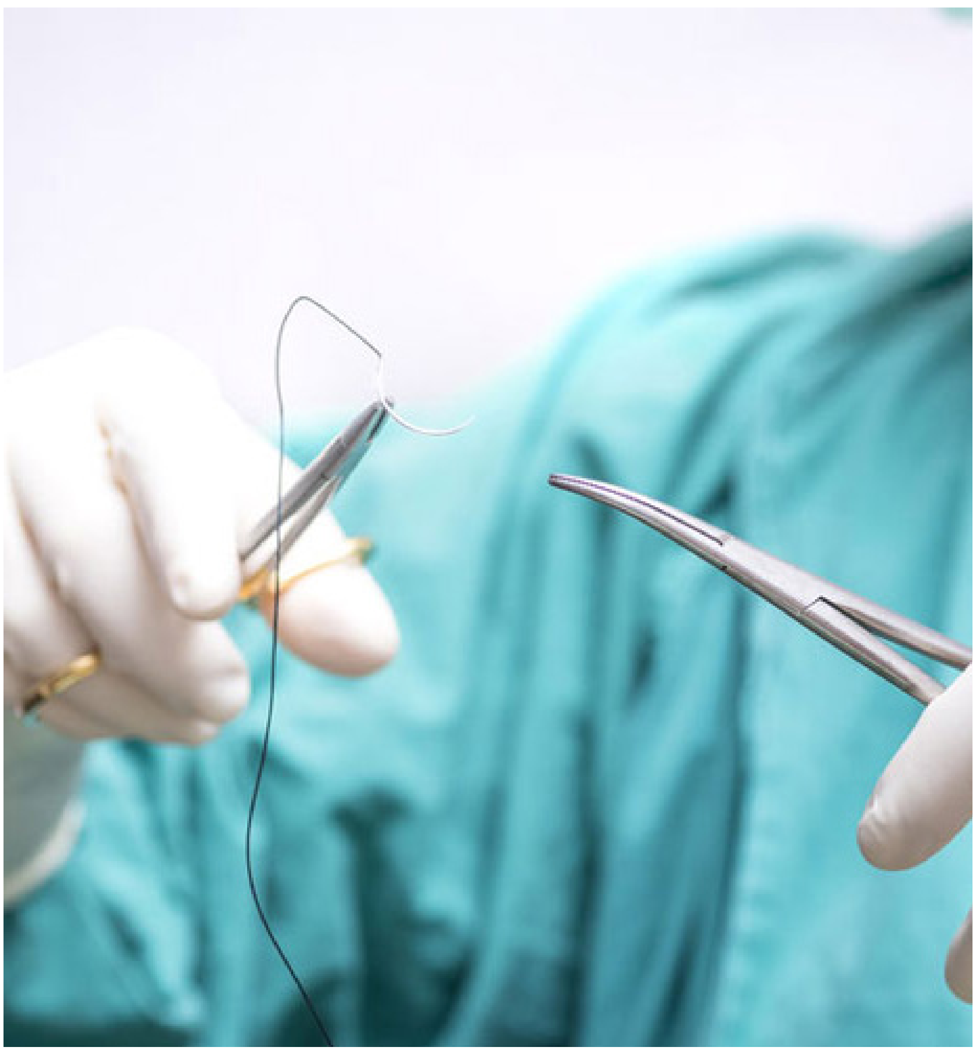
الفصل الرابع

مستقبليات استغلال الموارد

(وفيه مبحثان)

١.استخدام الحيوان النجس في الأغراض الطبية.

٢.استخدامات لبن الحمير.



المبحث الأول

استخدام الحيوان النجس في الأغراض الطبية والعلاجية

تصور القضية[1]:

يعتبر موضوع زراعة الأعضاء في جسم الإنسان من الموضوعات الطبية المهمة المستجدة، والتي شغلت العديد من المجامع الفقهية ومجالس الفتوى في العالم الإسلامي.

ويقصد بزرع الأعضاء: نقل عضو سليم أو مجموعة أنسجة من متبرع إلى مستقبِل ليقوم مقام العضو أو النسيج التالف.

وقد كان الأمر في إطار محدود يتعلق بالاستفادة من بعض الأعضاء وبعد وفاة الإنسان العادية، مثل الاستفادة من قرنية العين، أو الاستفادة من بعض الأعضاء في الإنسان الحي له نفسه أو لغيره كالاستفادة من الدم والجلد، ثم تتابع التقدم الطبي فأثار قضايا الاستفادة من أعضاء أساسية في الإنسان كالقلب والكلى والكبد، وأثار قضايا موت الدماغ والتفريق بينه وبين الموت العادي، ودخلت على هذا الموضوع اعتبارات جديدة وخطيرة تتعلق بنقل الخصية والمبيض؛ لما يترتب على ذلك من اختلاط في الأنساب وتداخل في النسل.

وقد ظهر الآن ما يسمى بالزراعة العضوية الحيوانية، وهي نقل الأعضاء من الحيوان إلى الإنسان.

وقد اتجهت أنظار العلماء إلى زراعة أعضاء الحيوانات في البشر لما يعانيه العالم من نقص في المتبرعين بالأعضاء، ويُعزى ذلك جزئيًّا إلى انخفاض حوادث السيارات، وسيتفاقم هذا الأمر عندما

---

١ مصادر هذه القضية:

-موقع مرصد المستقبل: https://mostaqbal.ae/

-موقع neoscope: https://futurism.com/neoscope/

- موقع العين الإخبارية الإماراتي: https://al-ain.com/article/xenotransplantation

- موقع بي بي سي عربي: https://www.bbc.com/arabic/

- موقع skynews بالعربية: https://www.skynewsarabia.com/technology/

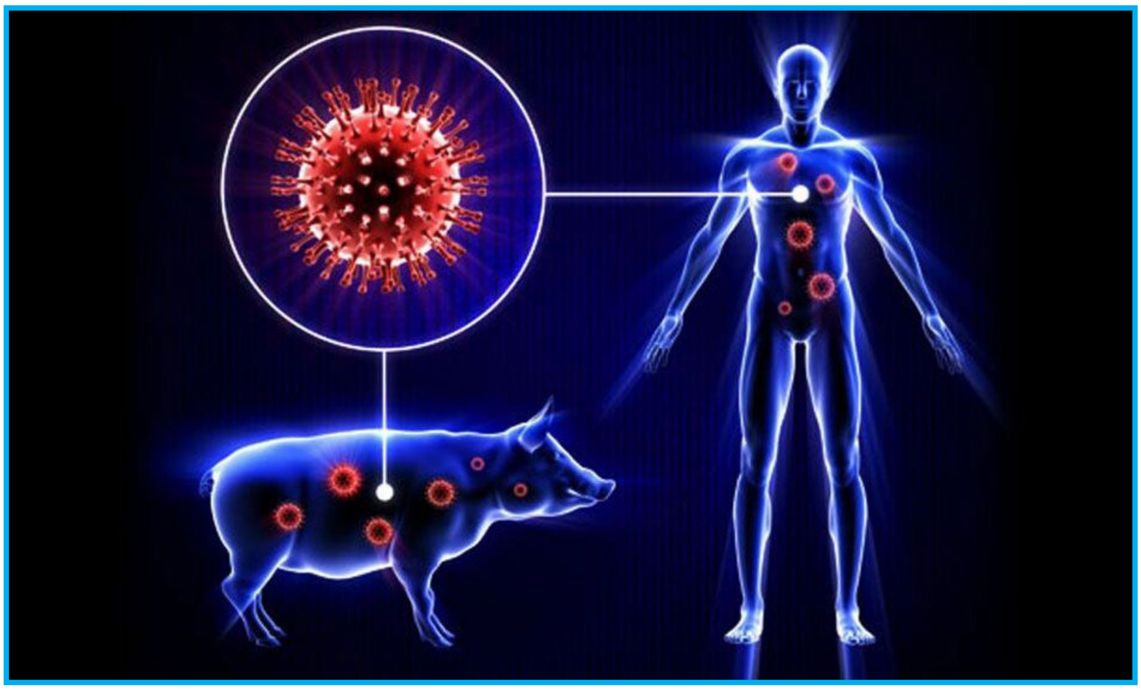
- موقع الباحثون السوريون: https://www.syr-res.com/article/

- بوابة أخبار اليوم: https://akhbarelyom.com/news/

تسود السيارات ذاتية القيادة نتيجة لانخفاض أعداد الوفيات من الأصحاء لأن أعضاءهم تُزرع في الأفراد المحتاجين.

فقد حفز عدمُ كفاية الأعضاء البشرية المتاحة العلماءَ إلى دراسة إمكانية الاستعانة بالحيوانات لسد النقص، الذي يموت بسببه الملايين من البشر سنويًّا.

وقد وجد العلماء أن أعضاء حيوان الخنازير تعتبر الأفضل من حيث قابليتها للزراعة في أجسام البشر؛ وذلك لأن تلك الأعضاء هي الأقرب للأعضاء البشرية من ناحية الحجم وعمليات الأيض، علاوة على إمكانية تربية الخنازير بكميات كبيرة، ويعرف ذلك النوع من العمليات باسم (Xenotransplantation) أي: نقل الأعضاء بين الكائنات الحية.



وحسبما نقلت صحيفة «ديلي ميل» البريطانية، فإن علماء من ألمانيا نجحوا في زراعة قلب خنزير في جسم قرد بابون، من أجل علاج مشكلات صحية خطيرة.

واستطاع القرد الذي استفاد من زراعة قلب الخنزير أن يظل على قيد الحياة لمدة وصلت إلى ١٩٥ يومًا، ورأى الباحثون أن هذا الإنجاز الطبي ينعش آمالًا كبرى.



وبعد الجراحة التي وصفها العلماء بالاختراق الطبي الكبيريرى الأطباء أن نقل الأعضاء المهمة مثل القلب من الحيوانات إلى البشربات على بُعد خطوة واحدة.

وحتى الآن، فإن استخدام أجهزة الخنازير في البشر قد تعثرت إلى حد كبير بسبب المخاوف من الفيروسات الخطرة التي توجد في الخنازير، ويمكن أن تكون قاتلة للإنسان، إذا كانت في طريقها إلى الجسم، ويمكن أن يسبب بعد ذلك وباء؛ حيث إنها تنتشر من الإنسان إلى الإنسان.

ويُذْكَر أن زرع أعضاء من الخنازير للإنسان ليس بالأمر الجديد، فقد جرى استخدام أنسجة من صمامات قلب الخنزير لإصلاح صمامات تالفة لدى البشر.

لكن استخدام أعضاء كاملة من جسم الخنزير قريبة الشبه بمثيلاتها لدى الإنسان لم يتم قط؛ بسبب احتمال أن تنطوي العملية على نقل فيروسات ارتجاعية كامنة لدى الخنازير، لا تصيبها بأي ضرر لكنها تسبب أمراضًا للبشر.

والفيروسات التي تحملها الخنازير، والمعروفة باسم «بيرف»، هي جزء دائم من جيناتها، ولذا فقد بدا أنه من المستحيل إزالتها.

ولكن العلماء نجحوا الآن في إزالة الفيروسات من خريطة جينات الخنازير، وذلك باستخدام تقنية التعديل الجيني المعروفة باسم «كريسبر-سي إيه إس ٩» التي سمحت بوجود خنازير حية خالية من هذه الفيروسات، وذلك بواسطة تقنية الاستنساخ.

ونجح العلماء في الولايات المتحدة من علاج ٣٧ خنزيرًا كانت تعاني من بعض الفيروسات الموجودة في حامضها النووي؛ ما يفسح الطريق أمام زراعة أعضائها في الجسم البشري.

هذا، ويأمل الباحثون أنه في المستقبل القريب يمكن استخدام جلد الخنزير كرقعة مؤقتة، في حال الحروق الخطيرة وواسعة النطاق.

وقد أثارت قضية نقل أعضاء الحيوانات إلى البشر وزراعتها جدلًا كبيرًا، فقد احتجت مختلف جماعات حقوق الحيوان على هذه التضحية من جانب الحيوانات للمشاركة في البحوث وإنقاذ أرواح البشر، وأن التجارب البشرية على الحيوانات يجب أن تكون في إطار تخفيف الألم وتخفيضه إلى أدنى حد، ولا يخفى ما في ذلك من إيذاء الحيوان نفسه، وتعريضه للتعذيب.

ويرى البعض الآخر أن نقل أعضاء الحيوان إلى الإنسان مرفوض أخلاقيًّا؛ لأنه محاولة إخصاب بين الإنسان والحيوان، وهو ما يتعارض وكرامته، رغم أن الأبحاث الأخيرة أثبتت أن الخنازير المعدلة وراثيًّا يمكن أن تكون أكثر توافقًا مع البشر من الحيوانات الأخرى.

بالإضافة إلى الأسباب الأخرى للرفض، ومنها: القلق من خطر انتقال الفيروسات ومسببات الأمراض الأخرى من نوع جنس إلى آخر.

الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية بعض المسائل الفقهية، التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

الفرع الأول: ما الحكم الشرعي في نقل أعضاء الخنزير إلى جسم الإنسان؟

وتبدو أهمية هذه المسألة من الناحية الفقهية فيما إذا حكم بنجاسة هذه الأعضاء المنقولة من الخنزير؛ فإن وضعها في بدن الإنسان يوجب بطلان الطهارة، ومن ثم بطلان الصلاة ونحوها من العبادات التي يُشترط لها الطهارة.

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت التداوي بالنجس والمحرم، وكذا المصادر التي تناولت مقصد حفظ النفس، وكذا المصادر التي تناولت

قاعدة رفع الضرر، وقاعدة الضرورة وضوابطها، ومدى ملاءمة هذه المسألة الفقهية لمقاصد الشرع وقواعده.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- البناية شرح الهداية، لبدر الدين العيني الحنفي (٨/ ١٦٥)، دار الكتب العلمية –بيروت.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (١/ ٩٥) مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.
- أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي (١/ ٨٣، ٨٤)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- فتح العزيز شرح الوجيز، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (١٢/ ١٥٨-١٦٤)، دار الكتب العلمية-بيروت.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (٢٤/ ٢٧٠-٢٧٦)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة.
- المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (١/ ١٧٥، ١٧٦)، دار الفكر-بيروت.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- التداوي بالمحرمات «استخدام الصمامات الخنزيرية في العلاج البشري» (ورقة عمل)، للدكتور عبد الله بن محمد المطلق، السجل العلمي لمؤتمر الفقه الإسلامي الثاني: قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٠م.
- قاعدة الضرورة تقدر بقدرها وتطبيقاتها في النوازل الطبية المعاصرة -التداوي بالمحرمات أنموذجًا، إعداد: غمام عمارة خديجة، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، الجزائر، ٢٠١٧-٢٠١٨م.
- التداوي بالمحرمات والنجاسات (دراسة فقهية مقارنة)، للدكتور السيد رضوان محمد جمعة، السجل العلمي لمؤتمر الفقه الإسلامي الثاني: قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٠م.
- مقصد حفظ النفس وأثره في زراعة الأعضاء البشرية (دراسة فقهية وقانونية)، إعداد: محمد أبو الإسعاد الطيب حسن، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية الحكومية مولانا مالك إبراهيم-مالانج، إندونيسيا، مايو ٢٠١٥م.

◈ القواعد الفقهية الناظمة للرخص الشرعية الطبية المتعلقة بمقصد حفظ النفس: دراسة فقهية، تيسير عزمي محمود الدويك، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، رسالة ماجستير الأردن، ٢٠١٨م.

◈ قاعدة الضرورات تبيح المحظورات وتطبيقاتها المعاصرة في الفقه الإسلامي، للدكتور حسن السيد خطاب، بحث بمجلة الأصول والنوازل، السعودية، العدد الثاني، رجب ١٤٣٠هـ.

◈ نقل الأعضاء من الحيوانات إلى الإنسان وموقف الشريعة الإسلامية، للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية-الرياض، ٢٠٠٥م.

◈ أثر قاعدتي «المشقة تجلب التيسير» و«لا ضرر ولا ضرار» في المسائل الطبية المستجدة، للدكتور محمد بن عبد العزيزبن سعد اليمني، بحث بمجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، الرياض، مجلد (٢٤)، العدد (١)، ٢٠١٢م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

◈ فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٠٨/ ٠٥/ ٢٠١٤م، بعنوان «العلاج بمادة مستخلصة من الخنزير».

◈ فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٤/ ٠١/ ١٩٩٧م، بعنوان «أخذ جزء من بنكرياس الخنزير وزراعته في إنسان».

◈ فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١١/ ٠٣/ ٢٠١٠م، بعنوان «استعمال واستيراد صمام للقلب من أنسجة الخنزير».

◈ فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٤-٢-٢٠١٤م، بعنوان «حكم الدواء من أصل خنزيري رغم وجود البديل البقري».

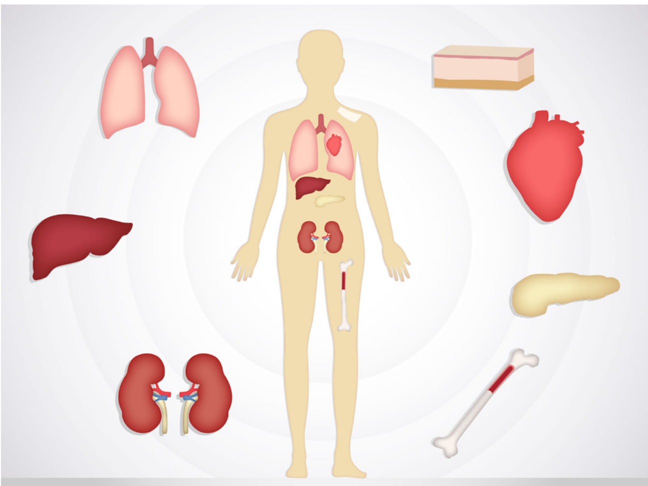
◈ فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٣م، بعنوان «الحكم الشرعي في نقل الأعضاء».

◈ قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الثامنة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ إلى يوم الإثنين ٧ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ الموافق ١٩-٢٨ يناير ١٩٨٥م.

◈ توصية عن الندوة الفقهية الطبية الثامنة للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية المنعقدة بدولة الكويت، في الفترة من ٢٢-٢٤/ ٥/ ١٩٩٥م، بإباحة التداوي بالأنسولين الخنزيري المنشأ لمرضى السكري في حال الضرورة إليه، إذا توفرت ضوابطها الشرعية.

الفرع الثاني: هل يجوز تحصيل أجزاء الخنزير بغرض الاستفادة منها في زراعة الأعضاء؟

من المعلوم أن الفقهاء اتفقوا على عدم اعتبار الخنزير مالًا متقومًا في حق المسلم؛ وذلك لأن المال في الإسلام هو ما يمكن الانتفاع به شرعًا في غير الضرورات، والخنزير لا يمكن الانتفاع به لنجاسة عينه ولنهي الشارع عن بيعه، ويترتب على عدم اعتبار الخنزير مالًا عدم صحة بيعه وشرائه؛ ولذلك فقد أجمع الفقهاء على عدم صحة بيع الخنزير وشرائه، ولكن إذا كان بيع الخنزير وشراؤه بغرض الاستفادة منه في زرع الأعضاء في الإنسان فهل يجوز للمسلم تربيته والتجارة فيه لهذا الغرض؟ وهل يجوز للدولة أن تسمح باستيراد أجزاء الخنازير لهذا الغرض؟



ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت البيوع المحرمة والمنهي عنها، وعرض ما جاءت به الشريعة في ذلك الأمر على مبادئ الشرع في جلب المصالح وتحقيق المقاصد المعتبرة.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين الزيلعي الحنفي، ومعه حاشية الشلبي (٤/ ٥٠، ٥١)، المطبعة الكبرى الأميرية-بولاق، القاهرة.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطاب الرعيني المالكي (٤/ ٢٥٨، ٢٥٩)، دار الفكر.
- فتح العزيز شرح الوجيز، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (١٢/ ١٥٨-١٦٤)، دار الكتب العلمية-بيروت.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (٢٤/ ٢٧٠-٢٧٦)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة.
- المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (١/ ١٧٥، ١٧٦)، دار الفكر-بيروت.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- قاعدة الضرورة تقدر بقدرها وتطبيقاتها في النوازل الطبية المعاصرة -التداوي بالمحرمات أنموذجًا، إعداد: غمام عمارة خديجة، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، الجزائر، ٢٠١٧-٢٠١٨م.
- مقصد حفظ النفس وأثره في زراعة الأعضاء البشرية (دراسة فقهية وقانونية)، إعداد: محمد أبو الأسعاد الطيب حسن، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية الحكومية مولانا مالك إبراهيم- مالانج، إندونيسيا، مايو ٢٠١٥م.
- نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي، للدكتور وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- أحكام بيع الأعيان النجسة ومدى الانتفاع بها وبنقل الدم والترقيعات الجلدية، للدكتور محمد فالح مطلق بني صالح، بحث بمجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة بالأردن، المجلد (١٨)، العدد (٥)، ٢٠٠٣م.
- بيع الأعيان النجسة في الفقه الإسلامي، للدكتور حمد فخري عزام، بحث بمجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة بالأردن، المجلد (٢٧)، العدد (١)، ٢٠١٢م.
- البيوع المحرمة والمنهي عنها: دراسة فقهية مقارنة، للدكتور عبد الناصر بن خضر ميلاد، دار الهدي النبوي-مصر.
- القواعد والضوابط الفقهية لأحكام المبيع في الشريعة الإسلامية، إعداد: عبد المجيد عبد الله دية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م.
- أحكام الاستيراد في الفقه الإسلامي، إعداد: حمد قبلان العازمي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠١٤م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٨-٠٩-٢٠١٤م، بعنوان «يحرم استعمال أجزاء الخنزير في الصناعات».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٠٤-٠٥-٢٠٠٩م، بعنوان «حكم الاتجار بالخنازير في بلاد المسلمين».
- قرار مجلس الإفتاء والبحوث والدراسات الإسلامية بدار الإفتاء الأردنية رقم: (١٧٣) (٢٠١٢/٥) حكم استيراد أحذية مصنوعة من جلد الخنزير، بتاريخ (١٤٣٣/٦/٢٥هـ) الموافق (٢٠١٢/٥/١٧م).

المبحث الثاني

استخدامات لبن الحمير



تصور القضية[1]:

يتحدث العالم كله اليوم عن أهمية وفوائد «حليب الأتان (أنثى الحمار)»، واليوم تنتج أوروبا وأمريكا واليابان وإسرائيل حليب الحمير بكميات كثيرة لأغراض علاجية.

ولقد أثبتت الدراسات أن حليب الحمير مفيد لصحة الإنسان، ولا يحتوي على أي مواد مضرة بالصحة، وهناك دراسات ذهبت إلى أبعد من ذلك بحيث رأت أنه البديل الأفضل لحليب الأم.

ومن أبرز فوائد لبن الحمير الصحية: أنه غني بالكالسيوم ويعزز قوة العظام لدى الأطفال الرضع، بالإضافة إلى احتوائه على بكتيريا «البروبيوتيك» التي تعزز صحة الأمعاء. وفقَ ما كشف الموقع الطبي الأمريكي «Top١٠Homeremedies».

كما أن حليب الحمير غني بشكل استثنائي بالبروتين والكالسيوم والأحماض الدهنية، أوميجا ٣، التي تحافظ على صحة القلب والأوعية الدموية.

وتقوم الهند باستهلاك كميات كبيرة من حليب الحمير لعلاج كثير من الأمراض وفي مقدمتها السرطان والأمراض الخبيثة الأخرى، بينما تفكر إسرائيل بتقديمه للأطفال في مدارس الرياض قبل المرحلة الابتدائية لعظم فوائده.

وخلال السنوات الأخيرة انتشر مجال بيع منتجات ألبان الحمير، وفي الأسواق العالمية يعتبر «جبن حليب الحمير» الأغلى ثمنًا في العالم بعد تزايد الطلب عليه بفضل قيمته الغذائية، وهذا الجبن تنتجه مزرعة واحدة فقط في صربيا، وربما يصبح أحدث صيحة في عالم المواد الغذائية.

وأوضحت صحيفة «إندبندنت» البريطانية أن ثمن الكيلو الواحد من جبن الحمير يكلف حوالي ٨٨٠ إسترليني (١٠٩٢ دولار).

ويُعزى ارتفاع ثمن الجبن الذي يعرف باسم «بيول تشيز» إلى أن الأمر يحتاج إلى ٢٥ لترًا من حليب الحمير الطازج لصناعة لتر واحد من الجبن، فضلًا عن أن الحمير تنتج حليبًا أقل كثيرًا من الأبقار أو الماعز.

---

١ مصادر هذه القضية:

-موقع صحيفة الأنباء الكويتية. https://www.alanba.com.kw/kottab/youssuf-abdulrahman/

-موقع جريدة الرياض السعودية. http://www.alriyadh.com/

-موقع cnn بالعربية. http://archive.arabic.cnn.com/

-موقع اليوم السابع: https://www.youm7.com/

كما أشارت بعض وكالات الأنباء إلى أن أحدث صيحة في عالم صناعة الآيس كريم هو النوع الجديد المصنع من حليب الحمير، والذي يتوافر بنكهات مختلفة، وهي صناعة منتشرة في أنحاء مختلفة من إيطاليا.

وقد ظهر مؤخرًا في بعض الدول كتركيا وإنجلترا والصين صابون وكريم البشرة المصنوع من حليب الحمير الذي يعمل كمضاد للالتهابات البكتيرية، ويعمل على ترطيب البشرة ويقلل من تهيج الجلد، كما يمنع ظهور التجاعيد المبكرة على الوجه والعنق، ويساعد في التخلص من حب الشباب، ويقلل ظهور علامات الشيخوخة المبكرة على الوجه.

وقد سمعنا مؤخرًا ترويجًا للبن الحمير من قِبَل بعض المسلمين، وهذا الترويج مصدره ما يشاهدونه في الغرب من أن لبن الحمير دخل في كثير من المنتجات كالصابون والألبان والأجبان وغيرها.

الأثر الإفتائي للقضية:

يتعلق بهذه القضية المستجدة بعض المسائل الفقهية، التي تتطلب بحثًا للوصول إلى الحكم الشرعي في هذه النازلة، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:

الفرع الأول: ما الحكم الشرعي في تناول منتجات لبن الحمير؟

فقد وردت الشريعة بالنهي عن أكل لحوم الحمير الأهلية، ومن المعلوم أن حكم الألبان يستتبع حكم اللحوم، ومن هنا تبدو المسألة الفقهية، وهي: ما حكم تناول الجبن المصنوع من لبن الحمير بغرض الاستفادة من فوائده الغذائية، وكذلك الأيس كريم المصنوع منه، وما الحكم الشرعي إذا صُنِع من هذا اللبن لبنٌ للأطفال؟

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في مسألة أكل منتجات لبن الحمير الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت أقوال فقهاء المذاهب فيما يتعلق بلحم الحمير ولبنه وأدلتهم.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، لابن مَازَه البخاري

الحنفي (٥/ ٣٧٣)، دار الكتب العلمية-بيروت.

- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي ومعه حاشية الشلْبِي (٦/ ٣٣)، المطبعة الكبرى الأميرية -بولاق.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل؛ للحطاب الرعيني المالكي (١/ ١٢١)، دار الفكر.
- -الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي (٢/ ٤٦٣، ٤٦٤)، عالم الكتب.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- الدر النثير في حكم شرب لبن الحمير، للدكتور عبد التواب سيد محمد، بحث بمجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، السنة (٥)، العدد (٩)، ٢٠٠٨م.
- القواعد والضوابط الفقهية في حل الأطعمة والأشربة تأصيلًا وتطبيقًا، إعداد: محمد عطا الله الصرايرة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة بالأردن، ٢٠١٢م.
- استعمال المواد النجسة والمحرمة في الغذاء والدواء والتجميل، إعداد سوسن بونقيشة، رسالة ماجستير، جامعة الزيتونة، تونس، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
- المستخلص من النجس وحكمه في الفقه الإسلامي، نصري راشد، مكتبة الصحابة (أصل الكتاب رسالة ماجستير).

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٦م، بعنوان «حكم أكل لحم الخيل والحمر الأهلية».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١١-٠٥-٢٠١٠م، بعنوان «حكم حليب الرضع الذي يدخل فيه أنزيم مأخوذ من بنكرياس الخنزير».

الفرع الثاني: ما حكم استعمال لبن الحمير في العلاجات والمستحضرات الطبية؟



أثبتت أبحاث علمية نشرت مؤخرًا صلاحية لبن الحمير في الرضاعة وعلاج الأطفال من الحساسية، لكونه حليبًا مثاليا ويشبه لبن الأم، كما أن هناك شركة إيطالية تنتج لبن الحمير بودرة وتطرحه بالأسواق.

ويستخدم لبن الحمير كعلاج للسعال الديكي، كما أنه يستخدم في علاج بعض الفيروسات في الهند، ولا يحتوي على أي أنواع من البكتيريا مثل لبن الأبقار ولبن الماعز.

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في مسألة استعمال لبن الحمير في المستحضرات الطبية والتجميلية الرجوع إلى المصادر والدراسات التي تناولت قضية العلاج بالنجس والمحرم، والوصول إلى الحكم الشرعي فيما يتعلق بمسألة استخدامات لبن الحمير في الأدوية والمستحضرات العلاجية، والضوابط التي وضعها الشارع في هذا الصدد.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- «المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه» لابن مازه البخاري الحنفي (٥/ ٣٧٢-٣٧٤)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) (١/ ٢١٠)، دار الفكر-بيروت.
- حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، للشيخ علي بن أحمد العدوي (٢/ ٤٩١-٤٩٣)، دار الفكر-بيروت.
- المجموع شرح المهذب، للإمام النووي (٩/ ٥٣)، دار الفكر-بيروت.
- المغني، لابن قدامة (٩/ ٤٢٣، ٤٢٤)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- أحكام التداوي والدواء في الفقه الإسلامي، لكمال الدين جمعة بكرو، دار الضياء-الكويت.
- المستخلص من النجس وحكمه في الفقه الإسلامي، نصري راشد، مكتبة الصحابة-الشارقة (أصل الكتاب رسالة ماجستير).
- التداوي بالمحرمات: دراسة فقهية مقارنة، إعداد: صالح كمال صالح أبو طه، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية-غزة، ٢٠٠٧م.
- التداوي ببول الإبل فقهيًّا وطبيًّا، للدكتورة مفيدة عبد الوهاب محمد إبراهيم، بحث بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة، العدد (٣٣)، ٢٠١٦م.
- الاستحالة وتطبيقاتها المعاصرة في مجال التداوي تأصيل وتنزيل، للدكتور قطب الريسوني، بحث بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإمارات، العدد (٤٠)، ديسمبر ٢٠١٠م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٨/ ٠٣/ ٢٠٠٤م، بعنوان «استعمال العقاقير التي يخالطها بعض النجاسات».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٤-٠٢-٢٠١٤م، بعنوان «حكم الدواء من أصل خنزيري رغم وجود البديل البقري».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٩٧٩م، بعنوان «حكم استخدام الخمر في التداوي».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٥٢م، بعنوان «حكم شرب النبيذ والتداوي به».

الفرع الثالث: ما حكم استعمال لبن الحمير في مستحضرات التجميل؟



أنتجت بعض الشركات في الغرب مستحضرات تجميل مصنوعة من لبن الحمير، منها الصابون والكريمات، وهي ذات فوائد جمة لبشرة الإنسان، وفي هذه المسألة يتم التفريق بين مستحضرات التجميل التي تستخدم لتحسين البشرة من باب الزينة والجمال، ومستحضرات التجميل التي تكون لأغراض علاجية أو طبية؛ فإن مستحضرات التجميل من باب التحسينات، والدواء من باب الضرورات، كما أن من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة عليه أن يعرف هل استحال لبن الحمار إلى مادة أخرى بالمعالجة الكيمائية أو بغيرها أو لا؟

ببليوجرافيا الفتوى:

يتعين على من يتصدر للإفتاء في هذه المسألة الرجوع إلى المصادر والمظان التي تناولت الحكم الشرعي في استعمال لبن الحمير، مع الرجوع إلى المصادر التي تناولت مقاصد الشرع فيما يتعلق بالضرورات والحاجيات والتحسينات، كما يتعين عليه الرجوع إلى المصادر التي تناولت موضوع الاستحالة؛ وذلك للوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح في هذه المسألة.

أولًا: أهم المصادر التراثية:

- «المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه» لابن مازه البخاري الحنفي (٥/ ٣٧٢-٣٧٤)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) (١/ ٢١٠)، دار الفكر-بيروت.
- حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني للشيخ علي بن أحمد العدوي (٢/ ٤٩١-٤٩٣)، دار الفكر-بيروت.
- المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٩/ ٥٣)، دار الفكر-بيروت.
- المغني، لابن قدامة (٩/ ٤٢٣، ٤٢٤)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة.

ثانيًا: أهم المصادر المعاصرة:

- حكم التجميل بالمطعوم، للدكتور عادل مبارك المطيرات، بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجلد (٢٥)، العدد (٨٠)، مارس ٢٠١٠م.
- أحكام التجميل في الفقه الإسلامي، إعداد ردينة إبراهيم حسين الرفاعي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م.
- استعمال المواد النجسة والمحرمة في الغذاء والدواء والتجميل، إعداد سوسن بونقيشة، رسالة ماجستير، جامعة الزيتونة، تونس، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
- الاستحالة وتطبيقاتها المعاصرة في مجال التداوي تأصيل وتنزيل، للدكتور قطب الريسوني، بحث بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإمارات، العدد (٤٠)، ديسمبر ٢٠١٠م.
- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان-المملكة العربية السعودية.
- ضوابط الحاجة التي تنزل منزلة الضرورة وتطبيقاتها على الاجتهادات المعاصرة، لوليد صلاح الدين الزير، بحث بمجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (٢٦)، العدد الأول، ٢٠١٠م.

ثالثًا: أهم الفتاوى ذات الصلة:

- فتوى دار الإفتاء المصرية عن الطلب المقيد برقم ٣٠١ لسنة ٢٠١٤م، بعنوان «حكم أكل حيوان الحلزون والانتفاع به».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٤-٠٢-٢٠١٤م، بعنوان «حكم الدواء من أصل خنزيري رغم وجود البديل البقري».
- فتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٢م، بعنوان «استخدام الكحول في العطور وأدوات التجميل ونحوها».
- فتوى دار الإفتاء الأردنية بتاريخ ١٦-٠٤-٢٠١٣م، بعنوان «حكم استعمال مشيمة جنين الحيوان في المستحضرات الطبية والتجميلية».
- قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، المنعقد في دورته الثانية والعشرين بدولة الكويت، خلال الفترة من: ٢-٥ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ، الموافق: ٢٢-٢٥ مارس ٢٠١٥م، قراررقم ٢١٠ (٦/ ٢٢) بشأن الاستحالة والاستهلاك في المواد الإضافية في الغذاء والدواء.

الفروع الإفتائية المستقبلية مرتبة على أبواب الفقه

أولًا: العبادات:

١. هل يصلح الماء على المريخ للوضوء؟

٢. كيف يمكن تحديد القبلة في الصلاة، وتحديد أوقات الصلاة مع اختلاف مقدار اليوم بين المريخ والأرض؟

٣. لو حدث خسوف لأي من القمرين هل تشرع صلاة الخسوف؟

٤. كيف يتوضأ رائد الفضاء ويصلي ويصوم في المركبة الفضائية؟

٥. كيف يمكن تحديد الحول في الزكاة؟

٦. لو تمكنت دولة إسلامية من استغلال ثروات الفضاء فهل يجب في هذه الثروات زكاة الركاز؟

٧. هل تثبت الزكاة في العملات الرقمية؟

٨. كيف يمكن تحديد شهر الصيام وحساب ساعات الصوم؟

٩. كيف يمكن تحديد شهور الحج؟

١٠. إذا مات رائد الفضاء فكيف يمكن تجهيزه ودفنه إذا تعذر ذلك بالطرق الشرعية المعروفة؟

ثانيًا: المعاملات المالية:

١١. هل يمكن اعتبار الروبوت شخصية ذات ذمة مالية مستقلة أو أهلية إذا وصل إلى مرحلة الاستقلال الذاتي في التفكير واتخاذ القرار؟

١٢. ما ضوابط جواز التعامل بالعملات الرقمية؟ وهل تدخل في عموم البلوى إذا تم تعميم التعامل بها على مستوى الدول برغم محاذيرها الشرعية؟

١٣. هل يجري الربا في العملات الرقمية؟

١٤. هل تنطبق أحكام الصرف على العملات الرقمية؟

١٥. تولي شركات التأمين دفع الدية في حوادث السيارات ذاتية القيادة؟

١٦. ضمان متلفات السيارات ذاتية القيادة.

١٧. هل يجوز لولي الأمر فرض ضرائب على تقنية الروبوت لتسببه في نقص العمالة والوظائف؟

١٨. هل يجوز الوقف على رواد الفضاء وأبحاثهم؟

١٩. هل يجوز التأمين على حياة رائد الفضاء؟

ثالثًا: الأحوال الشخصية:

٢٠. كيف يمكن حساب شهور العدة على المريخ؟

٢١. لو ظُفِر بإنسان في كوكب المريخ، فهل يكون التعاطي بيننا وبين إنسان المريخ كالتعاطي بيننا على الأرض، في قضايا المناكحة والمواريث وغيرها؟

رابعًا: الجنايات:

٢٢. المسئولية الجنائية لحوادث السيارات ذاتية القيادة.

٢٣. الكفارة عن المقتول خطأ في حوادث السيارات ذاتية القيادة.

٢٤. إذا ارتكب الروبوت جريمة جنائية فمن سيكون المسئول جنائيا عن تلك الجريمة؟

٢٥. ضرورة إصدار الدولة لقانون ينظم أوضاع جرائم الروبوتات وتقنياته.

٢٦. هل للعملات الرقمية حرز؟

٢٧. هل يجوز للإنسان الاستعانة بالروبوت برغم أضراره ومخاطره وسلبياته؟

خامسًا: الحدود:

٢٨. هل معاشرة الروبوتات الجنسية تعد من الزنا؟ أم أن معاشرتها تعد من قبيل الاستمناء شرعًا؟

سادسًا: العادات:

٢٩. هل رسم الروبوت على صورة الإنسان أو غيره من ذوات الأرواح يعد من التصوير المحرم؟

٣٠. هل تجوز الحياة على كوكب المريخ؟

٣١. إذا وُجِدت حيوانات على سطح المريخ فما يجوز أكله منها وما لا يجوز؟

٣٢. هل يجوز أن تكون المرأة المسلمة رائدة فضاء؟

٣٣. ما مدى توافق تقنية الإغماء الحراري مع ضوابط وشروط التذكية الشرعية؟

٣٤. ما الحكم الشرعي في نقل أعضاء الخنزير إلى جسم الإنسان؟

٣٥. هل يجوز تحصيل أجزاء الخنزير بغرض الاستفادة منها في زراعة الأعضاء؟

٣٦. ما الحكم الشرعي في تناول منتجات لبن الحمير؟

٣٧. ما حكم استعمال لبن الحمير في العلاجات والمستحضرات الطبية؟

٣٨. ما حكم استعمال لبن الحمير في مستحضرات التجميل؟

سابعًا: السياسة الشرعية:

٣٩. حكم التجسس من الفضاء.

٤٠. لمن تعود ملكية موارد الفضاء؟ للشركة التي نقبت أم أن موارد الفضاء مِلْك للبشرية؟

٤١. هل يجوز للدول المسلمة الانضمام للحكومة العالمية التي يترأسها غير المسلمين؟

٤٢. إذا انضمت الدولة الإسلامية للحكومة العالمية فهل تُلزم بتنفيذ قرار فيه بعض الإجحاف بحقوق المسلمين، أو تُلزم بتنفيذ قرار يتعارض مع الشرع إذا كان ميثاق هذه الحكومة يلزم كل الدول بالتنفيذ؟

الخاتمة:

إن الفقه الافتراضي ليس ترفًا فقهيًّا ولا مضيعة للوقت، وإنما هو دلالة على القدر العالي الذي بلغه العلماء المتقدمون، وعلى رأسهم الإمام أبو حنيفة، من رقي في درجات العلم والمعرفة، والذي سمح لهم بفرض مسائل صارت واقعًا ملموسًا في عصرنا، مما يسَّر على المتأخرين من علمائنا إدراك الحكم وربح الوقت والجهد.

كما أن إعمال الفقه الافتراضي يزيد في حركية الفقه ونموه –إذا استوفى شروطه- لأنه يعمل على إيجاد حلول لقضايا لم تقع من قبل؛ فالفقه الافتراضي استشراف للمستقبل فهو يربط ماضي الشريعة بحاضرها ويجمع فروعها بأصولها، ويقدم لكل جديد حكمًا سريعًا، ولا يترك النازلة عند حدوثها معلقة حتى يصل الفقهاء إلى نتيجة البحث فيها، وإنما يقدم حلولًا وأحكامًا مناسبة للنازلة قبل وقوعها فإذا ما نزلت كان حكمها جاهزًا حاضرًا، وهذا دليل على مرونة الفقه وصلاحية شريعة الإسلام لكل زمان ومكان.

ولهذا فإننا نوصي بضرورة إدخال دراسة فقه استشراف المستقبل ضمن مناهج التدريس في الجامعات العربية والإسلامية حتى تتكون لدى الفقيه والمفتي الخلفية المعرفية في أساسيات هذا العلم؛ لتكون أداة توظف في استشراف المستقبل، ضمن أصول علمية ومنهجية، على ضوء مبادئ التوجيهات الربانية.

كما نوصي بضرورة دعم الدراسات الجامعية العليا لتأصيل واستشراف فقه العواقب، وإيجاد منهجيات بحثية مستمدة من تعاليم الدين.

والله من وراء القصد.